أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
الأحد 2018/01/14 الموافق لـ27 ربيع الثاني 1439
السنة 40 العدد 10869
Sunday 14/01/2018
40th Year, Issue 10869

العرب

alarab.co.uk

جدل عبثي حول ولاية خامنئي وشرعية خلافته » ص4

ملف

النقاد العرب يتساءلون
حال النقد والتفكير النقدي في الثقافة العربية
» ص10-11-12

خوان بيتزي

كلمة سر الكرة السعودية في مونديال روسيا
» ص22

طارق صالح يمهّد لبناء قوة ثالثة بين هادي والحوثيين

● حملة إخوانية تعارض انضمام نجل شقيق الرئيس السابق إلى صف الشرعية

❑ **صنعاء** – أثار نجاح العميد طارق صالح، نجل شقيق الرئيس اليمني الراحل علي عبدالله صالح في مغادرة صنعاء جدلا واسعا حول دوره المستقبلي في اليمن، وهل أنه سيلتحق بالشرعية التي يمثلها الرئيس الانتقالي عبدربه منصور هادي أم أنه سيبحث عن تجميع قيادات سياسية وعسكرية موالية للرئيس الراحل ويشكل قوة لإحداث توازن سياسي في المشهد اليمني بين هادي والحوثيين.

وقالت مصادر يمنية مطّلعة لـ"العرب" إن طارق صالح لا يستعجل تحديد موقفه من الشرعية، وأن هدفه الآني استكشاف مواقف ما تبقى من قيادات المؤتمر والقوات التابعة للرئيس السابق، فضلا عن مواقف عائلة صالح وعلى رأسها أحمد علي عبدالله صالح قائد الحرس الجمهوري الذي ينتظر أن ينهض بدور مفصلي في الحرب على الحوثيين.

ويتوقع متابعون للشأن اليمني أن يركز طارق صالح على تجميع مختلف تلك القيادات، وذلك لتقييم الوضع وتحديد استراتيجية التصدي للحوثيين سواء من داخل الشرعية أم من خارجها، لافتين إلى وجود من يعارض العمل تحت سقف حكومة الرئيس هادي بسبب مواقفه من احتجاجات 2011، وما يعتبرونه قفزا من المركب والالتحاق بالأطراف التي كانت تخطط للإطاحة بالرئيس السابق.

ويشير المتابعون إلى أن قبول قيادات من عائلة صالح بالعمل تحت سقف الشرعية تعترضه مشكلة أخرى أكثر تعقيدا من المؤاخذات على هادي، وهي وجود حزب الإصلاح الإخواني الذي تزعم حملة الإطاحة بالرئيس السابق، ويتهم بالوقوف وراء محاولة اغتياله في جامع النهدين 2011، فضلا عن الشكوك التي تحيط بارتباطه بجهات خارجية مثل قطر وتركيا.

وبعد مقتل صالح تضاربت الأنباء بشأن مصير ابن شقيقه طارق قبل أن يظهر في شبوة لتقديم التعازي في مقتل عارف الزوكا الأمين العام للمؤتمر الشعبي العام.

وقالت أوساط يمنية لـ"العرب" إن ظهور قيادات من عائلة صالح يمكن أن يوفر بديلا جديا ينجح في تجاوز المآخذ على الشرعية الحالية، وخاصة من دول التحالف العربي، وأن وجود قوة جديدة محاربة للحوثيين لا يمكن أن تؤثر على دور الرئيس هادي والقيادات الحليفة له.

واعتبر الكاتب السياسي اليمني علي البخيتي على موقعه في تويتر أن الاعتراف بشرعية هادي ليست شرطا على من أراد قتال الإماميين (الحوثيين)، مشددا على أن هادي ليس من الثوابت الوطنية.

وغمز وزير الخارجية اليمني عبدالملك المخلافي في تغريدة له على تويتر إلى ضرورة اعتراف طارق صالح بشرعية هادي. وقال "كل من لا يعترف بالشرعية أو يتجاهلها وأصحاب المشاريع الصغيرة وكل من يعتقد أنه سيفرض سلطته من دون مشروعية وبالقوة كأمر واقع (...) نقول له ليس على أرض اليمن إلا سلطة شرعية واحدة".

وأحيا محسوبون على ما يعرف بـ"جناح إسطنبول" في إخوان اليمن الذي تتزعمه توكل كرمان احتفالا مثيرا للجدل في مدينة تعز في الذكرى الأولى لأربعينية الرئيس اليمني الراحل علي عبدالله صالح.

وتم إطلاق الألعاب النارية مساء الجمعة في عدد من أحياء تعز، عقب ساعات من رفع صور تطالب بمحاكمة أحمد علي نجل الرئيس الراحل، وكذلك نجل شقيقه طارق صالح، بالترافق مع حملة اعتقالات قامت بها قوات عسكرية بحق العشرات من أنصار صالح قاموا بإحياء مرور أربعين يوما على مقتله في مديرية "الشمايتين".

وتزامن التصعيد الجديد ضد عائلة صالح وحزب المؤتمر مع حملة منظمة على مواقع التواصل الاجتماعي شارك فيها المئات من الناشطين في حزب الإصلاح، تبنت خطابا مناهضا لعائلة الرئيس السابق وحزبه.

وأثار ظهور طارق صالح حفيظة إخوان اليمن في مؤشر على استمرار قيادة حزب الإصلاح في التمترس خلف مواقفها ما قبل الانقلاب الحوثي، وعدم قدرتها على تجاوز الخلافات القديمة وترتيب قائمة جديدة بأولوياتها، وهو ما كشف عنه استدعاء الخطاب الإعلامي والسياسي لاحتجاجات العام 2011.

ويبدي حزب الإصلاح ممانعة غير معهودة لأي دور لعائلة صالح في معركة تحرير اليمن من الميليشيا الحوثية، كما تكشف مواقف إعلام وناشطي الحزب عن قلق يساور الجماعة من مشاركة قائد الحماية الخاصة بالرئيس السابق الذي يتمتع بشعبية كبيرة في صفوف عناصر الحرس الجمهوري والقوات الخاصة المنحلة.

ظهور مفاجئ أربك الفرقاء

وأشارت تقارير صحافية إلى إمكانية قيام التحالف العربي لدعم الشرعية بإسناد دور عسكري في الأيام القادمة للعميد طارق صالح للمشاركة في معارك الساحل الغربي وتحرير محافظة الحديدة الاستراتيجية، وهو الأمر الذي يواجه برفض حزب الإصلاح الذي يخشى من أي تغيير في موازين القوى داخل الشرعية التي باتت تميل لكفته بشكل كامل من خلال سيطرة قيادات محسوبة على حزب الإصلاح على أهم الوحدات العسكرية والأمنية وخصوصا في مأرب والجوف وتعز.

وتلقي المخاوف الإخوانية بظلالها على المشهد السياسي في معسكر الشرعية، حيث يسعى الإعلام التابع للجماعة لفرض واقع جديد داخل حزب المؤتمر، وفرض قيادات جديدة، والتشكيك في القيادات الأخرى التي عرفت بمواقفها المناهضة لحزب الإصلاح وهو ما يعده الكثير من أنصار المؤتمر وكوادره تدخلا سافرا في شؤون الحزب.

ولفت مراقبون يمنيون إلى أن ممارسات حزب الإصلاح السياسية والإعلامية والتي تستهدف بالدرجة الأولى عائلة الرئيس السابق وقيادات حزبه الفارين من جحيم الحوثي بأنها تصب في صالح الانقلاب وتعمل على خلخلة الجبهة الداخلية وتبعث برسائل سلبية لأنصار صالح بأنه لا مكان لهم في صفوف الشرعية، الأمر الذي يجبرهم على التماهي مع الواقع الجديد والانصهار مع المنظومة الفكرية والسياسية للحوثيين.

المالكي ينقلب على قرار حزب الدعوة

❑ **بغداد** – علمت "العرب" أن توترا شديدا يسود الآن علاقة رئيس الوزراء العراقي الحالي حيدر العبادي وسلفه نوري المالكي بسبب ما وصفته مصادر من داخل حزب الدعوة بالانقلاب على قرار الحزب.

وقالت المصادر إن قرار حزب الدعوة، والذي وقع عليه أعضاء قيادة الحزب ومن ضمنهم الأمين العام نوري المالكي، هو النزول بقائمة انتخابية برئاسة العبادي، ولكن المالكي تحرك في الخفاء وبصورة غير قانونية للإخلال بذلك.

ولقطع الطريق أمام استحواذ المالكي على الحزب وتحويله إلى يافطة خاصة، علمت "العرب" أن قيادة حزب الدعوة اجتمعت أمس وقررت عدم دخول الحزب بعنوانه السياسي في التحالفات الانتخابية، وتركت الحرية للأعضاء بمختلف مستوياتهم التنظيمية والقيادية لتحديد كيفية المشاركة في أي قائمة أو ائتلاف آخر.

ومن شأن هذه الخطوة أن تحرر قيادات حزب الدعوة ومنتسبيه من أي التزام حزبي تجاه المالكي.

ويعتقد المتابعون أنه إذا لم تحل أزمة الزعامة في الحزب، فإن إجراء الانتخابات سيكون مهددا، ويرون أن التدخل الإيراني حاسم في حل هذا الخلاف، وما على الجميع سوى الترقب لمعرفة من سينال دعمها.

ويكشف المقربون من رئيس الوزراء أن الرجل يدعو إلى قائمة وطنية عابرة للطائفية لإكمال المشوار الذي ابتدأه وتم إنجازه بتحرير العراق من داعش ومحاربة الفساد، لافتين إلى أن العبادي لا يخطط للانضمام إلى تحالفات أو ائتلافات أخرى، وأن ما يذكر من تسريبات لا يعدو أن يكون مجرد تخمينات.

ويؤكد العبادي لمقربين منه أن رئيس الوزراء القادم تحدده نتائج الانتخابات والتحالفات التي تتم بعد الانتخابات وليس لأحد تحديد ذلك الآن أو التفاوض بشأنه.

وأوضح مصدر مقرب من المفاوضات الجارية حول التحالفات الانتخابية أن مفوضية الانتخابات تتعرض لضغط كبير من قبل جهة أو أكثر لتكون غير حيادية، مؤكدا وجود أجندة مخفية للإخلال بالانتخابات.

وحذر مراقب سياسي عراقي في تصريح لـ"العرب" من أن رهان العبادي على إيران لن يفضي إلى ما يريده من بناء جبهة عابرة للطائفية، لإصرارها على ضبط مختلف التفاصيل داخل أي تحالف مقرب منها، وأنها لن تسمح للعبادي أو غيره بأن يحصل على كل الأوراق بيده، خاصة في ضوء مساعاه لتنويع العلاقات الخارجية لتشمل السعودية والولايات المتحدة.

النظام الإيراني يشكو من تدخل «خارجي»!
خيرالله خيرالله
» ص5

الحكومة التونسية تعلن إجراءات عاجلة لتهدئة الخواطر

● رفع المساعدات للفقراء ومحدودي الدخل عقب الاحتجاجات ● تحميل الأحزاب الشاهد عبء الأزمة هروب من المسؤولية

❑ **تونس** – لم تجد الحكومة التونسية من حل لاسترضاء الآلاف من الشباب الذين تظاهروا في مناطق مختلفة من البلاد سوى الإعلان عن إجراءات عاجلة لتهدئة الخواطر، وهو الموقف الذي تم اتخاذه خلال اجتماع الأحزاب والمنظمات الداعمة للحكومة أمس تحت إشراف الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي.

وقال الأمين العام لاتحاد الشغل، نورالدين الطبوبي، في تصريح صحافي عقب الاجتماع، إنه تم "الاتفاق على أن يُعلن، في الساعات القادمة، عن حزمة إجراءات اجتماعية لفائدة الطبقة الضعيفة".

وشدّد الطبوبي على أن "الوضع الاجتماعي يتطلب اتخاذ إجراءات عاجلة لتخفيف وطأة وتأثير الزيادات، التي أقرها قانون الموازنة، على الطبقات الضعيفة، على غرار رفع معدل الأجر الأدنى (نحو 140 دولارا)، ورفع المنحة الاجتماعية للعائلات ضعيفة الدخل (من 30 إلى 60 دولارا شهريا)".

وأشار إلى ضرورة إيلاء الشباب العاطلين عن العمل اهتماما أكبر من خلال تمتيعهم بمجانية الرعاية الصحية والتنقل في ظل الوضع الاجتماعي الصعب الذي يعيشونه.

وعقد الرئيس التونسي السبت اجتماعا مع الأحزاب الداعمة للحكومة وأهم منظمات المجتمع المدني لبحث سبل الخروج من الأزمة بعد الاضطرابات الاجتماعية التي غذتها إجراءات التقشف.

وشارك في الاجتماع بشكل أساسي حزب نداء تونس وحزب النهضة الحاكمين. واستمر الاجتماع نحو ساعتين.

وقالت وداد بوشماوي رئيسة الاتحاد التونسي للصناعة والتجارة (منظمة أصحاب العمل) إنه تم التطرق "للوضع العام في البلاد والإصلاحات خصوصا الاجتماعية والاقتصادية الواجب اتخاذها لتجاوز المشاكل الحالية".

وكشف رئيس حزب النهضة راشد الغنوشي أنه تم عرض مقترحات للخروج من حالة التوتر لكن ليس لإسقاط قانون المالية لعام 2018، دون توضيح المقترحات.

وقال المصدر الحكومي إن هذه الإجراءات الاجتماعية لم تكن نتيجة الاحتجاجات بل كانت دراستها تجري منذ أشهر سعيا لمساعدة الطبقات الفقيرة والمتوسطة.

وقال متابعون للشأن التونسي إن الإجراءات الظرفية ستعطي الفرصة لداعمي حكومة يوسف الشاهد للبحث عن إصلاحات جدية، وتسريعها قبل أن تعود الاحتجاجات إلى الشارع وبزخم أكبر، محذرين من أن محاصرة الاحتجاجات بحملة إعلامية تتهمها بالتخريب والعنف، أو اتهام الجبهة الشعبية بتحريك الشارع لحسابات سياسية، لن يفضيا سوى إلى حل وقتي.

وأشار هؤلاء المتابعون إلى أن تحميل رئيس الحكومة مسؤولية الفشل، والتفكير في بديل له مثلما يروج في الساحة السياسية، هو محاولة للهروب من الأزمة، وتأجيلها إلى حين لتعود بأكثر قوة لأنها لا ترتبط بالشاهد، وإنما بالخيارات الاقتصادية لقانون المالية، الذي صادق عليه أغلب النواب في البرلمان بمن في ذلك كتلة الجبهة الشعبية التي تعارضه الآن.

وقال خالد عبيد المحلل السياسي التونسي "لا أعتقد أن حكومة الشاهد يمكن تحميلها وزر هذه الخيارات باعتبار أنها ورثت تركة ثقيلة للغاية من الحكومات المتعاقبة منذ 2011 وحتى قبل ذلك".

وأضاف عبيد في تصريح لـ"العرب"، "وبالنتيجة فقد وجدت الحكومة نفسها مضطرة إلى أن تتعامل مع ما هو قائم وتحاول التصرف وفق الإمكانيات المتاحة". لكنه شدد على أنها "لن تجد الوقت الكافي لخيارات تكون اجتماعية أكثر وتلبي مطالب المحتجين".

وشهدت تونس احتجاجات عنيفة على ارتفاع أسعار بعض المواد الاستهلاكية والبنزين وغاز الطهي وفرض ضرائب جديدة بدأ سريانها منذ مطلع الشهر الحالي. ولكن حدة الاحتجاجات تراجعت الجمعة وشهدت العاصمة مظاهرة سلمية شارك فيها المئات.

وينظر الغرب إلى تونس باعتبارها الدولة الوحيدة التي نجحت ديمقراطيا من بين دول ما يسمى بانتفاضات الربيع العربي التي تفجرت في 2011. لكن لم تتمكن تسع حكومات تولت زمام البلاد منذ ذلك الحين من علاج المشكلات الاقتصادية المتزايدة.

حمة الهمامي
الشاهد يكرر أخطاء الترويكا
» ص7

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

تونس قصّة نجاح يعكّر صفوها الواقع الاقتصادي الصعب

اضطرابات اجتماعية جديدة بسبب وعود تعجز الحكومة عن تحقيقها

تعيش تونس أوضاعا اقتصادية صعبة انعكست على الأوضاع الاجتماعية، مما أثار موجة جديدة من الاحتجاجات ضد غلاء المعيشة وعدم توفر فرص عمل للعاطلين. وتجد الحكومة نفسها في موقف صعب، فهي مطالبة بتنفيذ برنامج تقشف قد يخفف من أزمتها، لكنها بالمقابل اضطرت لمواجهة احتقان اجتماعي أجّجته إصلاحات بدأت بها.

سيدي بوزيد.. لا فرق بين الأمس واليوم

❏ **سيدي بوزيد (تونس)** – في مدينة سيدي بوزيد التونسية الفقيرة يقف خريجو جامعات أمام مكتب حكومي ويرددون هتافات ويرفعون لافتات تحمل رسالة للمسؤولين مفادها "وفروا لنا فرص عمل تجنّبا للمشاكل".

والمشهد جزء من احتجاجات مناهضة للحكومة انتشرت في أرجاء تونس خلال الأيام الماضية. وأثارت الاضطرابات أزمة سياسية جديدة في دولة تعاني بالفعل تحت وطأة إجراءات تقشف يطالب بها مقرضون أجانب.

ونفس المدينة شهدت قبل سبع سنوات اندلاع احتجاجات سرعان ما اجتاحت أنحاء البلاد وأطاحت بالرئيس الأسبق زين العابدين بن علي في أولى انتفاضات الربيع العربي.

والآن يعود الشبان والشابات الذين قادوا الاحتجاجات في سيدي بوزيد إلى شوارع المدينة، المتربة والمتداعية، يشكون من أنهم لم يجنوا الثمار التي بشّرتهم بها الثورة.

وينظر إلى تونس على أنها قصة نجاح الديمقراطية الوحيدة في انتفاضات الربيع العربي، لكن على أرض الواقع يعيش أغلب الناس حالا أسوأ من ذي قبل.

وألحقت هجمات مميتة نفذها إسلاميون متشددون ضررا شديدا بقطاعي السياحة والاستثمار المهمين للاقتصاد مما أدى إلى انخفاض قيمة العملة بنسبة 60 بالمئة منذ 2011 وصعود التضخم إلى أعلى مستوى في ثلاثة أعوام ونصف العام.

وقال بشير حسين "كنا نأمل بأن تصبح حياتنا أفضل وأن نحصل على وظائف وسكن، لكن كل شيء أصبح أسوأ".

ويشعر حسين، وهو أحد الخريجين الساخطين، بالحرج لأنه لا يزال يعيش بمنزل أسرته بعد أن أصبح عمره 32 عاما عاجزا عن العثور على وظيفة مناسبة منذ تخرجه قبل عشر سنوات. وهو مصير يشاركه فيه كثيرون في دولة تصل فيها نسبة بطالة الشباب لنحو 30 بالمئة. وقال "لا أستطيع أن أتزوج ولم يعد لدي أمل في تحسن الأوضاع".

> المستثمرون والدبلوماسيون الغربيون قلقون من أن تضغط الاحتجاجات على الحكومة لتخفيف الإصلاحات لضمان السلم الاجتماعي

وكان حسين وأصدقاؤه يحدوهم الأمل في أن تساعدهم ثورة 2011 في العمل بالهيئات العامة. وبلغ إنفاق تونس على مرتبات القطاع العام نحو 15 بالمئة من الناتج المحلي الإجمالي، وهو من أعلى المستويات على مستوى العالم.

وتراجعت صادرات الفوسفات تأثرا بالاحتجاجات المطالبة بفرص العمل علاوة على تراجع عائدات السياحة، مما دفع تونس للحصول على قروض من صندوق النقد الدولي ودول غربية.

ويريد المقرضون أن توقف الحكومة إنفاق ما يقرب من ثلثي الميزانية على رواتب القطاع العام وأن تركز على التعليم والبنية التحتية لتوفير فرص عمل على المدى البعيد.

ويقول المحتجون في سيدي بوزيد إن السلطات تعهدت في 2015 بتشغيل نحو 60 خريجا من المدينة، وهي بادرة يقول محللون إنها كثيرا ما تستخدم لتثبيط المعارضة. ولم تتجسد مثل هذه الوعود على أرض الواقع قط مع تجميد التوظيف بفعل سياسة التقشف.

واستجابت الحكومة لضغط النقابات العمالية من أجل عدم تسريح الموظفين، الأمر الذي لا يدع مجالا لتعيين موظفين جدد.

ورفعت الحكومة منذ بداية العام الضرائب والكثير من الأسعار بدءا بالبنزين وانتهاء بمكالمات الهاتف المحمول. وفي حين أن الاحتجاجات أقل مما كانت عليه في 2011، يشعر المستثمرون والدبلوماسيون الغربيون بالقلق من أن تضغط تلك الاحتجاجات على الحكومة لتخفيف الإصلاحات، كما حدث من قبل، لضمان السلم الاجتماعي.

وتقع سيدي بوزيد على بعد 200 كيلومتر فقط من العاصمة تونس على ساحل البحر المتوسط، لكن الرحلة إلى المدينة التي يقطنها 300 ألف نسمة تستغرق أربع ساعات بالسيارة، إذ لا يوجد أي طريق سريعة أو خدمة سكك حديدية.

وقال عطية العثموني، وهو ناشط من أوائل من دعوا إلى الاحتجاج في سيدي بوزيد منذ أواخر 2010، "طالبنا مرارا بالربط بطريق سريعة أو خط سكك حديدية كي يأتي المستثمرون، لكن يقال لنا لا توجد أموال".

وأضاف "المال موجود لكنه لا يوزع على الناس لأن الفساد لا يزال قائما"، مشيرا إلى الإسكان المتداعي كدليل على "الاستيلاء على أموال الاستثمار في البنية التحتية".

وينفي المسؤولون الحكوميون هذه الاتهامات ويقولون إن رئيس الوزراء يوسف الشاهد يعطي أولوية لمكافحة الفساد.

وحتى الآن حكم على ثمانية مسؤولين بالسجن لكن البرلمان أصدر عفوا العام الماضي عن شخصيات متهمة بالفساد تنتمي لنظام بن علي، الأمر الذي أثار استياء الكثير من عموم المواطنين. ومع تجميد التعيين في الوظائف العامة سعى البعض للعمل في المزارع.

واعتادت أسر كثيرة تدبير معيشتها من عائدات الأقارب العاملين في ليبيا المجاورة الغنية بالنفط إلى أن أطيح بمعمر القذافي في 2011. لكن ليبيا سقطت في حالة من الفوضى المزمنة.

وغادر أغلب التونسيين ليبيا، لكن مع ارتفاع تضخم أسعار اللحوم وغيرها من السلع بنسبة تزيد على 10 بالمئة عاد البعض رغم خطر العنف.

وقال مهران العلوي (24 عاما)، وهو يجلس مع صديق بمقهى في سيدي بوزيد، "جئت للتو من ليبيا وربما أعود في غضون أسبوعين". وأضاف أنه يعمل في متجر على الطريق الساحلي في مدينة الزاوية بغرب ليبيا حيث كثيرا ما يحدث تبادل لإطلاق النار بين الفصائل المسلحة. وقال "هناك مخاطر في ليبيا، لكن في تونس لا يمكنني العثور على عمل والأسعار عالية جدا".

وأفاد العثموني بأن الآلاف من الشبان غادروا سيدي بوزيد منذ 2011 سعيا للعمل في الخارج وعادة ما يحاولون السفر بالقوارب إلى أوروبا في هجرة غير شرعية أو ينضمون إلى تنظيم داعش في ليبيا أو العراق أو سوريا. وأضاف "عندما يتملكك اليأس تفعل أي شيء".

وأشارت تحذيرات فراد في تصريح سابق لـ"العرب"، إلى تداعيات خطيرة للملف بسبب ما أسماه بـ"تنطّع السلطة وتطرف البعض من الناشطين وتكفل السياسيين بالملف بدل إحالته على المختصين والأكاديميين". كما حذر من مساعي توظيف الملف لخلق حواجز عرقية بين مكونات المجتمع الجزائري.

وأبدى محمد بلعالية، المستشار الرئاسي السابق والقيادي في حزب طلائع الحريات، قلقا كبيرا من "انحراف النقاش إلى منحى خطير، إذ تحول الخلاف بين الشعب والسلطة الحاكمة على المطالب المشروعة إلى خلاف بين مكونات الشعب الواحد مما يضع البلاد على حافة أزمة تهدد وحدة ومستقبل الأجيال القادمة".

وأظهر بلعالية شكوكا في خلفيات القرار الصادر "في وضع يشوبه الكثير من الغموض حول هرم السلطة والوضع الصحي لبوتفليقة"، موضحا أن الأخير "أعلن في مدينة تيزي وزو خلال سنوات حكمه الأولى بأن الأمازيغية لن تكون لغة رسمية وإذا كانت كذلك فلن تمر إلا على استفتاء يشارك فيه جميع الجزائريين".

ويرى مراقبون أن إقرار العيد الأمازيغي ينطوي على مزايدات سياسية بين أجنحة السلطة المتصارعة حول المستقبل السياسي في البلاد قبل حوالي عام ونصف من انتهاء الولاية الرئاسية الرابعة لبوتفليقة. كما اعتبر هؤلاء أن القرار يفتح البلاد أمام سجال قد يأخذ أبعادا عرقية بين المكونات المشكلة للمجتمع الجزائري.

ولفتت ردود الفعل المتداولة في القواعد الشعبية إلى ارتفاع أصوات لا تقف عند حدود مطلب اللغة والهوية والموروث التاريخي بل

تحذيرات في الجزائر من صراع عرقي بسبب الجدل حول الأمازيغية

صابر بليدي

❏ **الجزائر** – تخفي الاحتفالات الشعبية والرسمية في الجزائر بالعيد الأمازيغي، الموافق للثاني عشر من يناير، تهديدا محتملا للاستقرار الاجتماعي في البلاد مرده محاولة توظيف مسائل الهوية سياسيا وأيديولوجيا من قبل تيارات متطرفة.

وتتوقع البعض من الأوساط تداعيات متوقعة لقرار السلطة، باعتبار رأس السنة الأمازيغية عيدا وطنيا ويوم إجازة مدفوعة الأجر.

وحذّر محمد أرزقي فراد، الباحث والمؤرخ الجزائري، من مغبة تلقف ملف الهوّية الأمازيغية من قبل الدوائر المتطرفة وتوظيفه في تصفية حسابات أيديولوجية وسياسية تكون خطرا كبيرا على الاستقرار الاجتماعي والثقافي في البلاد.

وانخرطت الحكومة، بإيعاز من رئيس البلاد عبدالعزيز بوتفليقة، بشكل لافت في الاحتفالات الرسمية التي نظمت في مختلف المحافظات. وأثنى مسؤولون كبار على ما وصفوه بـ"القرار الحكيم لرئيس الجمهورية، باستكمال إرساء عناصر الهوية الوطنية".

وأمر محمد عيسى، وزير الشؤون الدينية والأوقاف، أئمة المساجد بتخصيص خطبة صلاة الجمعة إلى احتفالية يناير والحض على المصالحة مع الذات والاعتزاز بالتاريخ والانتماء إلى الأمة. كما أعلن خلال زيارته لمحافظة البويرة القبائلية عن تخصيص برنامج تدريبي للأئمة في المساجد والزوايا، من أجل التحكم في اللغة الأمازيغية.

وتبادل الجزائريون التهاني برأس السنة الأمازيغية في مختلف وسائل التواصل الاجتماعي. لكن قراءات سياسية وإعلامية ألمحت إلى معالم أزمة ثقافية وأيديولوجية في البلاد في ظل الانحراف المبكر نحو خلق صراع لغوي وإثني بين المكوّنين الأمازيغي والعربي، والذي ظهر عبر منصات التواصل الاجتماعي بين المنتشين بتخصيص عيد يناير وبين رافضين أو متخوفين من تحويله إلى تصفية حسابات أيديولوجية إثنية.

وأعلن عبدالعزيز بوتفليقة عن تخصيص رأس السنة الأمازيغية عيدا وطنيا ويوم إجازة مدفوعة الأجر في أعقاب احتجاجات لنشطاء أمازيغ عاشتها البعض من مدن البلاد خلال الأسابيع الماضية، بعد إسقاط الأغلبية البرلمانية لمقترح تخصيص دعم مالي في ميزانية الدولة لتدريس اللغة الأمازيغية وتفعيل الأكاديمية الأمازيغية المنصوص عليها في الدستور الجديد.

وأظهرت الدوائر الحكومية وأحزاب السلطة مرونة غير مسبوقة في التعاطي مع الحراك الأمازيغي، خشية وقوعها في خصومة سياسية مع سكان منطقة القبائل. وانتقل الرجل الأول في حزب جبهة التحرير الوطني جمال ولد عباس، مساء الجمعة، إلى عاصمة القبائل تيزي وزو، حيث أشاد في كلمة ألقاها هناك بقرار الرئيس وباعتزاز الحزب بالبعد الأمازيغي.

جدل الهوية يتجدد

> باحثون يتخوفون من توظيف دوائر متطرفة لملف الهوية الأمازيغية لتصفية حسابات أيديولوجية وسياسية تكون خطرا كبيرا على الاستقرار الاجتماعي والثقافي في البلاد

وأشار مختصون إلى أن تعميم تعليم اللغة الأمازيغية يتطلب وقتا طويلا وجهودا مضنية من طرف الأكاديميين لوضع أسس لغة عملية قابلة للتجسيد في مختلف المجالات التعليمية والإدارية ومختلف المعاملات اليومية.

وعاشت منطقة شمال أفريقيا تطورات تاريخية واجتماعية عديدة، مما ساهم في تفجير اللغة الأصلية إلى لهجات محلية مختلفة. وتوجد في الجزائر 12 مجموعة أمازيغية تتكلم لهجات مختلفة.

العنصرية تدفع المهاجرين المغاربة نحو التطرف

محمد بن امحمد العلوي

❏ **الرباط** – تتواصل التقارير الدولية التي تؤكد أن العنصرية تجاه المهاجرين المغاربة هي السبب الأول وراء وقوعهم ضحية جماعات متشددة. وأكد تقرير لمؤسسة "أورتيغا إي غاسيت" الإسبانية، صدر هذا الأسبوع، على ضرورة أن يحظى الشباب من أصول مغربية ومن أصول مسلمة أخرى بعناية كبيرة من قبل السلطات والمجتمع بهدف تجنب أن يكون التركيز على انتمائهم الديني سببا في تبنيهم لأفكار متطرفة.

وتفشت العنصرية في دول أوروبية عديدة، بعد سلسلة من الاعتداءات الدموية. وتفاقمت الظاهرة في إسبانيا بشكل خاص بعد الهجوم الإرهابي الذي استهدف مدينة برشلونة في أغسطس الماضي.

وحذر التقرير الإسباني من مخاطر التهميش والعنصرية ضد الأطفال والشباب المغاربة الذين يعيشون في هذا البلد، مما يجعلهم هدفا سهلا للجماعات المتطرفة التي قد تستقطبهم لتنفيذ مخططاتها كما حدث مع الجهاديين الـ11 المغاربة الذين نفذوا اعتداء برشلونة والذي خلف 14 قتيلا والعشرات من الجرحى.

ويعتقد عبدالله بوصوف الأمين العام لمجلس الجالية المغربية بالخارج، لـ"العرب"، أن الهجوم الإرهابي على برشلونة كشف الغطاء عن أحد المسارات التي يمكن أن يتخذها الشباب بسبب تهميشه وعزله بسبب هويته أو أصوله "بحيث يصبح هؤلاء الشباب لقمة صائغة للجماعات المتطرفة التي لا تتردد في استغلال وضعيتهم الهشة لتجعل منهم أعداء للمجتمع الذي يعيشون فيه".

ودعا التقرير السلطات والوسطاء الاجتماعيين إلى ضرورة الاهتمام بالجيل الثالث للمهاجرين وتسهيل اندماجهم في المجتمع. ويعتبر بوصوف أن اعتماد سياسة عمومية حقيقية هي السبيل لجعل الشباب المهاجرين يندمجون إيجابيا في المجتمعات التي يقيمون بها. ويقول إن هذه السياسة العمومية يجب أن تتعامل مع المهاجرين الشباب باعتبارهم مواطنين أوروبيين كاملي المواطنة.

وأشارت دراسة أجرتها الشبكة الأوروبية لمناهضة العنصرية، شملت الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، إلى أن العنصرية تأججت بسبب تزايد الخطاب السياسي والقومي المناهض للمهاجرين وكذلك بسبب بروز الأحزاب اليمينية المتطرفة.

وقال بوصوف إن الخطاب السياسي يستغل الحالة النفسية للمواطنين خصوصا بعد الأحداث الإرهابية من أجل بث مشاعر الخوف من الآخر وشيطنة المهاجرين، مما يولد مشاعر العنصرية والإسلاموفوبيا داخل المجتمع. وتابع "هذا الأمر لاحظناه في الانتخابات الفرنسية الأخيرة، لكن في إسبانيا ومن حسن الحظ ليست هناك تيارات يمينية متطرفة ممثلة في أحزاب سياسية كبرى". واستدرك بوصوف "لكن هذا لا يلغي وجود البعض من المجموعات اليمينية الرافضة للوجود الأجنبي المسلم خصوصا".

تعديل وزاري لامتصاص الغضب قبل الانتخابات في مصر

السيسي يسعى لاستعادة شعبيته قبل ترشحه رسميا

يناقش البرلمان المصري، الأحد، تعديلا وزاريا مقترحا من قبل الرئيس عبدالفتاح السيسي. ويرى مراقبون أن هذا التعديل يهدف لامتصاص غضب الشارع من أداء الحكومة بسبب فشل وزراء في معالجة ملفات حيوية تزامنا مع أزمة اقتصادية تعيشها البلاد، في خطوة من السيسي تستبق إعلان ترشحه لولاية رئاسية ثانية.

أحمد حافظ

❏ **القاهرة** – استبق الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي إعلان ترشحه لانتخابات الرئاسة لولاية ثانية بالسعي نحو إجراء تعديل وزراي في عدد من الحقائب الوزارية الخدمية والاقتصادية، وإقصاء الوزراء المغضوب عليهم شعبيا بعد إخفاقهم في ضبط الملفات الموكلة إليهم.

ويعقد مجلس النواب، الأحد، جلسة طارئة للنظر في التعديل الوزاري. ويتطلب تمرير التعديل موافقة ثلث الأعضاء على الأقل، لاكتمال الإجراءات الدستورية.

وقال مصدر برلماني لـ"العرب"، إن التعديل لن يشمل تغيير شريف إسماعيل رئيس الحكومة الذي يعاني من مرض عضال اضطره للبقاء في المنزل، مؤكدا أن مصطفى مدبولي وزير الإسكان مستمر في منصبه كقائم بأعمال رئيس الحكومة.

ومن شأن تغيير رئيس الوزراء أن يسقط الحكومة، وهو ما يسعى السيسي لتجنبه قبل إعلان ترشحه للانتخابات الخميس المقبل، كما أن الأجواء السياسية قد لا تسمح بإجراء تغيير موسع. وأضاف المصدر ذاته، وهو قريب من دائرة التعديل الوزاري، أن التغيير يشمل وزراء الريّ والزراعة والتنمية المحلية والنقل والسياحة مع إمكانية إضافة آخرين في اللحظات الأخيرة.

وتصاحب التعديلات الوزارية في مصر البعض من الارتباكات في أسماء الوزراء المرشحين، وتم استبعاد أسماء جرى تبليغها بتولي حقائب وزارية في اللحظات الأخيرة وإدخال أخرى.

والتعديل الجديد في الحكومة الحالية هو الرابع منذ تولي شريف إسماعيل مهامه في سبتمبر 2015. وجرى التعديل الأول في مارس 2016 بتغيير 10 وزراء وإثر ذلك تم تغيير حقيبة التموين في سبتمبر من نفس العام، وكان التعديل الثالث في فبراير الماضي وشمل 9 حقائب.

> مصادر برلمانية تؤكد أن هناك إصرارا رئاسيا على مشاركة مجلس النواب في خطوات التعديل الوزاري الحالي على خلاف ما كان يجري في السابق من إرسال أسماء الوزراء الجدد والراحلين للتصديق عليها فقط

ويصطدم الرئيس السيسي قبل ترشحه للانتخابات بتصاعد غضب مجتمعي وبرلماني على أداء الحكومة، وهو ما يريد تداركه سريعا عبر التضحية بالبعض من الوزراء الذين أصابوا الشارع بحالة من الإحباط وأخفقوا في التعامل مع عدد من الملفات الحيوية، بل أصبحوا محل اتهام بزيادة حدة الأزمات الاقتصادية.

وكشف مصدر برلماني آخر لـ"العرب"، أن هناك إصرارا رئاسيا على مشاركة مجلس النواب في خطوات التعديل الوزاري الحالي على خلاف ما كان يجري في السابق من إرسال أسماء الوزراء الجدد والراحلين للتصديق عليها فقط. وأضاف "هذه المرة شاركنا في تقارير أداء الحكومة للتأكيد على التناغم بين السلطتين التنفيذية والتشريعية وتغيير الصورة العامة عند الناس بشأن الدور الرقابي للبرلمان، خاصة أن هناك شعورا يتنامى بأن مجلس النواب بلا مخالب أو أنياب".

ويأتي التعديل الوزاري المنتظر وسط تصاعد لهجة الهجوم من النواب على أداء الحكومة وتمرير طلبات استجواب الوزراء واستدعائهم إلى البرلمان ومحاسبتهم من قبل الأعضاء، في محاولة لتحسين الصورة المأخوذة عن المجلس بأنه الظهير السياسي للنظام ويصادق على الأسماء المرشحة دون مناقشة.

وقال خالد علي، الحقوقي الذي أكد ترشحه لانتخابات الرئاسة، في تصريحات صحافية، إن "الفشل الحكومي سوف يظهر مع استمرار تهميش دور البرلمان في محاسبة الوزراء والقيام بالدور الرقابي المخول له وفق الدستور".

وتنطلق الانتخابات الرئاسية في مارس المقبل، وسط منافسة تبدو غير متكافئة بين الرئيس الحالي ومنافسيه، سواء خالد علي أو الفريق سامي عنان رئيس أركان حرب الجيش المصري الأسبق، إذ ينظر إلى هذه الانتخابات على أنها محسومة مبكرا لصالح السيسي.

وحصل الرئيس السيسي على تزكية 520 نائبا للترشح في الانتخابات الرئاسية ما ساعده على استيفاء شرط الترشح مبكرا، حيث كان يحتاج تأييد 20 نائبا له أو جمع 25 ألف توكيل من المواطنين في 15 محافظة لقبول أوراق ترشحه.

الهدف.. الفوز بولاية ثانية

وفسّر معارضون للحكومة قيام النظام بإعلاء كلمة البرلمان في التعديل الوزاري بأن ذلك يأتي في سياق مكافأته على تزكية ودعم السيسي بالأغلبية المطلقة والإيحاء بأن هناك سلطة تشريعية لا يتم توظيفها لخدمة أهداف النظام أو تسحب منها اختصاصاتها.

ويرى عبدالحميد زايد، أستاذ الاجتماع السياسي بجامعة الفيوم (جنوب مصر) لـ"العرب"، أن دخول البرلمان كطرف أصيل في التعديل الوزاري وتقييم أداء الحكومة على غير المعتاد يمكن تفسيره بأن السيسي لم يعد يريد أن يتحمل وحده مسؤولية إخفاق الوزراء.

ويتنامى الشعور المجتمعي بالإحباط من استمرار تدني الأوضاع الاقتصادية والتراخي في حسم البعض من القضايا الشائكة التي تثير مخاوف الناس، أبرزها استمرار أزمة السياحة وسد النهضة الإثيوبي ومقاطعة أكثر من دولة للصادرات الزراعية المصرية.

ويضاف إلى ذلك، استمرار الحديث من جانب الحكومة عن قرب اتخاذ قرارات اقتصادية قاسية وآخرها تصريحات هشام عرفات وزير النقل عن رفع أسعار القطارات نهاية يناير الجاري، وهي الأزمات التي يبدو أنها عجّلت برحيل وزراء السياحة والري والزراعة والنقل والتنمية المحلية.

وذهب البعض من المراقبين إلى أن لجوء السيسي المفاجئ لإجراء تعديل وزاري قبل أيام قليلة من ترشحه للرئاسة، يعكس شعوره بضرورة التضحية بالوزراء المغضوب عليهم لترميم شعبيته واستعادة عافيتها التي تراجعت مؤخرا وقطع الطريق على منافسيه ومعارضيه لاستثمار الغضب المجتمعي على أداء الحكومة.

حماس والجهاد تقاطعان المجلس المركزي

❏ **غزة** – قررت حركتا حماس والجهاد الإسلامي، السبت، عدم المشاركة في اجتماع المجلس المركزي الفلسطيني الذي يعقد الأحد في رام الله بالضفة الغربية المحتلة، مشيرتين إلى أنه لن يخرج بقرارات "ترقى إلى مستوى طموحات" الفلسطينيين في ظل الظروف الحالية.

وقال عضو المكتب السياسي لحركة حماس حسام بدران، في بيان، إن "الظروف التي يعقد المركزي في ظلها لن تمكنه من القيام بمراجعة سياسية شاملة ومسؤولة وستحول دون اتخاذ قرارات ترقى لمستوى طموحات شعبنا واستحقاقات المرحلة".

وأضاف "وعليه، اتخذت الحركة قرارا بعدم المشاركة في اجتماع المجلس المركزي في رام الله".

وأكد عضو المكتب السياسي لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين محمد الهندي رفض حركته المشاركة في الاجتماع. وقال الهندي، لإذاعة القدس التابعة لحركة الجهاد الإسلامي، "القرارات التي سيخرج بها الاجتماع لن تتجاوز السقف السياسي للسلطة (الفلسطينية) التي مازالت ترى في المفاوضات واتفاق أوسلو كأنه جار ومن ممارسات على الأرض مثل التنسيق الأمني كطريق".

وأضاف الهندي "التصريحات الإيجابية التي سمعناها من السلطة خلال الأيام الماضية بعد قرار الرئيس الأميركي حول القدس لم تترجم على أرض الواقع، وكأنها تصريحات لا قيمة لها". وتابع "كان من المفترض أن تبنى على هذه التصريحات قرارات كوقف المفاوضات ووقف التنسيق الأمني وسحب الاعتراف (بإسرائيل) وإنجاز المصالحة الوطنية، لكن فوجئنا بالإعلان عن اجتماع المركزي في رام الله".

وقال الهندي إن الحركة "لهذه الأسباب ولأسباب أخرى اتخذت قرار عدم المشاركة".

ويعقد المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية اجتماعه لبحث الردود المناسبة على قرار الرئيس الأميركي دونالد ترامب المثير للجدل الاعتراف بالقدس كعاصمة لإسرائيل.

وقال مسؤولون كبار إن من بين الخيارات التي سيتم بحثها في الاجتماع الذي يستمر ليومين، تعليق محتمل لاعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بالدولة العبرية والذي يعود إلى العام 1988.

وسيجتمع المجلس المركزي ليومين في رام الله بحضور 121 عضوا، في فترة تشهد العلاقات الأميركية الفلسطينية توترا شديدا منذ قرار ترامب. ومهما كان قرار المجتمعين، سيعود القرار النهائي إلى الرئيس الفلسطيني محمود عباس.

وقرر المجلس المركزي في 2015، إنهاء التعاون الأمني مع إسرائيل لكن القرار بقي حبرا على ورق.

تقرير أممي يعزز الاتهامات السعودية بشأن أسلحة إيران في اليمن

❏ **نيويورك** – أفاد تقرير للأمم المتحدة بأن إيران انتهكت الحظر الذي فرضته الأمم المتحدة على إرسال أسلحة إلى اليمن بامتناعها عن منع وصول صواريخ باليستية إلى المتمردين الحوثيين أطلقت على السعودية، مؤكدا بذلك الاتهامات السعودية لطهران بالتورط في اليمن.

ولم يورد التقرير الجهة التي قامت بتسليم هذه الصواريخ، لكنه قال إن حطام الصواريخ التي فحصها خبراء من منشأ إيراني.

وقال التقرير، الذي عرض على مجلس الأمن الدولي الثلاثاء، إن الخبراء "تعرفوا على مخلفات صواريخ مرتبطة بتجهيزات عسكرية وآليات عسكرية جوية مسيّرة من منشأ إيراني أدخلت إلى اليمن بعد فرض الحظر على الأسلحة" في 2015.

وأضاف النص الذي يقع في 79 صفحة "نتيجة لذلك، يعتبر فريق الخبراء أن إيران لم تمتثل للفقرة 14 من قرار مجلس الأمن رقم 2216 حول حظر نقل الأسلحة إلى اليمن.

ونفت إيران بشدة، في وقت سابق، تسليح الحوثيين واتهمت سفيرة الولايات المتحدة في الأمم المتحدة نيكي هيلي الشهر الماضي بتقديم أدلة "مفبركة" على أن صاروخا أطلق على الرياض في الرابع من نوفمبر كان إيراني الصنع.

وأبلغت هيلي مجلس الأمن الدولي في ديسمبر بأن الولايات المتحدة ستدفع باتجاه تحرّك ضد إيران بسبب الهجمات الصاروخية التي تستهدف حليفتها، لكن روسيا أعلنت على الفور أنها لن توافق على خطط من هذا النوع.

وحذّر خبراء من أن الهجوم الصاروخي على مطار الرياض "غيّر جوهر النزاع ويمكن أن يحول نزاعا محليا إلى نزاع إقليمي أوسع . وأضافوا أنهم يحققون في ما إذا كانت إيران قد أرسلت "مستشارين" لمساعدة الحوثيين في حربهم ضد التحالف الذي تقوده السعودية.

> فريق خبراء الأمم المتحدة يؤكد أن إيران لم تمتثل للفقرة 14 من قرار مجلس الأمن حول حظر نقل الأسلحة إلى اليمن

وسافر الخبراء المكلفون بمراقبة الحظر على الأسلحة إلى السعودية في نوفمبر، ثم قاموا الشهر الماضي مجددا بفحص بقايا صواريخ أطلقها الحوثيون في مايو ويوليو ونوفمبر وديسمبر.

وأكد هؤلاء الخبراء أن مواصفات بقايا الصواريخ "مطابقة لصاروخ قيام1- الإيراني التصميم والصنع وأنه "من شبه المؤكد أنها من إنتاج المصنع نفسه".

وتابعوا في التقرير أن الطائرات دون طيار "مماثلة في شكلها في التصميم" لطائرات مسيّرة إيرانية تصنعها المؤسسة الإيرانية لصنع الطائرات.

ورأوا أن طهران "لم تتخذ التدابير اللازمة لمنع توريد أو بيع أو نقل صواريخ بركان 2 إش القصيرة المدى بشكل مباشر أو غير مباشر وخزانات أكسدة سائلة ذاتية الدفع تعمل بالوقود الحيوي للصواريخ وطائرات دون طيار من نوع أبابيل" إلى الحوثيين.

وفي تقرير منفصل، الشهر الماضي، كشف أن مسؤولين في الأمم المتحدة فحصوا حطام صواريخ ووجدوا أنها "من منشأ واحد"، لكنهم لم يتمكنوا من تأكيد أن مصدرها هو إيران.

ويشهد اليمن، الذي يعد من أفقر الدول العربية، نزاعا بسبب محاولة الجماعة الحوثية الانقلاب على شرعية حكومة الرئيس عبدربه منصور هادي خلال العام 2015. وبدأ التحالف العربي لدعم الشرعية بقيادة السعودية في تنفيذ عمليات عسكرية ضد الحوثيين خلال نفس العام.

وقتل أكثر من 8750 شخصا في هذه الحرب في اليمن، الذي قالت الأمم المتحدة إنه يشهد أسوأ أزمة إنسانية.

وقال التقرير إن الخبراء "لم يجدوا أي أدلة على أن إجراءات مناسبة تتخذ من قبل أي من الطرفين للحد من التأثير المدمر لهذه الهجمات على السكان المدنيين".

وفي نوفمبر الماضي، حمل التحالف العربي الداعم للشرعية في اليمن المتمردين الحوثيين مسؤولية سقوط مدنيين في الحرب الدائرة في هذا البلد. وأكد التحالف تعمّد الحوثيين تركيز مقراتهم بالقرب وبداخل المنشآت المدنية بهدف الاحتماء بها من الغارات الجوية.

وفي وقت سابق، استولى المتمردون الحوثيون على إدارة أمن الزيدية ما جعلهم هدفا لقصف طائرات التحالف كما سيطروا على متحف قصر صالة واستخدموه لأغراض عسكرية.

وشكلت السعودية، بأمر ملكي، لجنة خاصة بمتابعة طلبات المتضررين في اليمن.

وأكد فريق تقييم الحوادث التابع للتحالف العربي بالعاصمة السعودية الرياض أن عمليات القصف التي تنفذها قوات التحالف تستند إلى معلومات استخباراتية وتتوافق مع القوانين الدولية والإنسانية.

كما عرض الفريق صورا تفنّد الادعاءات بشأن قصف التحالف لمبان سكنية، وتظهر استهداف منصات إطلاق صواريخ باليستية يستخدمها الحوثيون.

وكثف التحالف العربي خلال الفترة الأخيرة من غاراته على المواقع العسكرية للمتمردين الحوثيين، موفرا بذلك الغطاء الجوّي للقوات الموالية للحكومة الشرعية للتقدّم في عدة محاور أبرزها محور شرقي العاصمة صنعاء.

ينفذون أجندة طهران في اليمن

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977

أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن

Al-Arab Publishing House

المكتب الرئيسي (لندن)

The Quadrant

177 – 179 Hammersmith Road

London, W6 8BS, UK

Tel: (+44) 20 7602 3999

Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان

Advertising Department

Tel: +44 20 8742 9262

ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk

editor@alarab.co.uk

ما جدوى الحديث عن أهلية خامنئي فيما البحث جار عن خليفته!

التسريب حول طريقة اختيار خلافة المرشد الأعلى تفصيل تاريخي لا وقع له على راهن البلد

حين توفي الخميني وطرح اسم الرئيس علي خامنئي كبديل من بين عدّة بدائل محتملة لم يعتقد المتابعون أنه سيكون الأوفر حظا. إذ كان خامنئي يفتقد إلى كاريزما الخميني ومكانتـه. لكن خلال اجتماع فـي 4 يونيو 1989، اليوم الذي أعقب وفاة الخميني، أخبر رئيس البرلمان حينذاك علي أكبر هاشمي رفسنجاني مجلس الخبراء بأنّ الخميني كان يعتبر خامنئي مؤهّلا للمنصب. والرواية بحسـب ما تناقلتها المراجع أن رفسـنجاني قال خلال اجتماع المجلس "سـمعت من آية الله شبستري نقلا عن آية الله طاهري عن حديث دار بينهما وبين الإمام الخميني بخصوص القيادة من بعده بأنه طالما أن خامنئي بينكـم لا تبحثوا عن أحد"، ليرقى بذلك خامنئـي خلال دقائق إلى آية الله خامنئي بـ60 صوتا مقابل 14. وكان انتخابه مخالفا للدسـتور الإيراني. لا تخفى هذه الحقائق على أي متابع للشأن الإيراني، وهي معلومة متداولة منذ سنوات طويلة، الأمر الذي يقلل من أهمية التسـريب الذي شـكل الحدث في اليومين الماضيين ونال الاهتمام باعتبار أنه يؤكد صحة الرواية عما جرى خلف الستار لوصول خامنئي إلى منصب المرشد الأعلى رغم افتقاره إلى المواصفات الدسـتورية والشرعية الأساسية. يثبت التسجيل مجهول المصدر ما حدث قبل 28 سـنة لكنه لا يمثل فارقا كبيرا وتوقّعُ أنه سـيكون أداة جديدة لتهديد النظام في إيران أمر عبثي في وقت يجري فيه الاسـتعداد لاختيار مرشـد أعلى جديد خلفا لخامنئي، المريض والمتقدم في السن، والذي نجح على مدى سنوات حكمه فـي أن يرسـخ نظاما خاصا به ودولة عميقة، من بين أركانهـا الحرس الثوري ورجال الدين المتنفّذين والمقربين من خامنئي منهم ابنه مجتبى أحد المرشحين لخلافته.

تفطنوا لعدم قدرته على الحكم وهو يشارف على مغادرته

❑ **لندن** – في خضـم التصعيد الداخلي الذي يعيـش على وقعـه النظام الإيراني واتسـاع رقعـة الاحتجاجـات وتجـاوز المظاهـرات للخطـوط الحمراء بمناداتها بالموت للمرشـد الأعلى وسقوط النظام، مدعومة بموقف دولي متصاعـد ضـد سياسـات إيران في الشـرق الأوسـط، ظهر على سـطح الأحداث تسـريب يتحـدث عن عملية اختيار المرشـد الأعلى آية الله علي خامنئي ويشـكك في أهليته بعد قبل 28 سنة على خلافته للخميني.

كشف عن التسريب عشـية الذكرى الأولى لوفـاة الرئيـس الأسـبق علي أكبر هاشـمي رفسـنجاني، وقيل إن مجهولين سرّبوا فيديو مـن 19 دقيقـة سـجل داخل الجلسـة الأولى لمجلس خبراء القيادة عقب وفاة المرشـد الأول روح اللـه الخميني يوم وفـاة الخميني في 4 يونيو 1989.

لم يحمل التسـريب معلومـة جديدة حول تفاصيل تولـي خامنئي المنصـب، وإن كانت بعـض التفاصيـل مهمة خصوصـا اعتراف خامنئي نفسه بأنه غير مؤهل للقيادة، وأيضا تفاصيـل اجتمـاع مجلـس خبـراء القيادة وتفاصيل اختيار الرئيس علي خامنئي ليدير أمور القيادة بشـكل مؤقت لفترة شهرين فقط، حتى يتم تعديل الدستور الإيراني.

لا يكتسـب التسـريب أهميته من المعلوم الذي جاء فيـه لكن من التوقيت الذي صدر به وطريقة التعامل معه، ففـي الوقت الذي تقف فيـه إيران على بركان بصـدد الانفجار لا فقط بسـبب المظاهـرات التي هـزت أركان الدولة العميقة التي بناها خامنئي على مدى 28 سنة بـل أيضا بسـبب ما يتردد منذ حوالي سـنة بشـأن مرض المرشد الأعلى والجدل الدائر في أعماق هذه الدولة عن خليفته.

هنا، يبـدو الاهتمـام، العربـي والدولي، بما جاء في هذا التسـريب أمـرا عبثيا، وفق المراقبـين، فالنظـام يحكم منذ أربعـة عقود، كمـا أن الحديث عن أهليـة خامنئي، في وقت يبحـث فيه عـن خليفة له، جعجعـة لن تكون لها أهمية إلا إذا كان لغاية اسـتيعاب الوضع من جهة أنه يعكـس عمق الأزمة داخل النظام الإيرانـي الراهـن، ومـن جهة التنبّـه إلى ما يجري خلف أسوار بيت ولاية الفقيه وما تقوم به اللجنة السـرّية التي تم إنشـاؤها لتقييم أهلية الشـخصيات المرشـحة لخلافة المرشد، دون إغفـال الدور الذي يلعبه الحرس الثوري للتأثيـر في الاختيـار في ظـل تدهور صحة المرشـد الأعلى آيـة الله وغيابـه الذي يمكن أن يُفجّر صراعا بين أجنحة السـلطة، لا أحد بإمكانه التكهن بمدى تأثيره على البلاد.

ويقلـل بعـض المراقبـين مـن شـأن هذا التسريب ويعتبرون أن مضمونه بات متقادما بعد مـرور 28 عامـا، وأن الجدل حـول الأمر حُمّل أكثـر من حجمه. وما قالـه خامنئي في ذلـك الحين أثنـاء تلك الجلسـة لا يعدو كونه تواضعـا أراد الرجل إبـرازه في لحظة رحيل الخمينـي ومـداولات اختيـار البديـل، وأن التصريـح بالعجـز مـن قبل من كان رئيسـا للجمهورية آنذاك لا يعنـي العجز الفعلي عن تبوء تلك المسـؤولية. ويضيـف هؤلاء أن أمر التسـريب هو تفصيل في تاريخ إيران لا وقع كبيرا له على راهن البلد ومسـتقبله، لا سيما في أمـر التعامل مع أزمتـه الحالية المتعددة الأوجه، داخليا وخارجيا.

أزمة النظام

لا شـك في أن التسـريب المتعلـق بعملية انتخاب المرشـد الأعلى آيـة الله علي خامنئي فـي منصب الولـي الفقيه يأتي ضمـن دائرة الأزمة البنيوية التي يعيشها النظام السياسي في البلاد. ويفصح الكشـف عن هذه المداولات في هـذا الوقت والظـرف عن ورشـة تصفية حسـابات بـين منابر النظـام القديمـة التي لا تمـتّ بالضـرورة بصلـة مباشـرة للجيل التنفيذي المتحكم بمفاصل الدولة في إيران في هذه الأيام.

ويأتـي حراك المـدن الذي انفجـر مؤخرا، لا سـيما داخل تلك التي تدين بالـولاء للتيار المحافظ والدوائر الدينية في البلاد، ليُفرج عن علة خبيثة تنخر أحشـاء نظـام الولي الفقيه وعقيدتـه الفقهية، فيما يسـتهدف التشـكيك بظروف انتخاب المرشـد الحالي تجويف هذا المفهـوم وإسـقاط وهجه وتقويض القدسـية التـي تحيط بالولي الفقيه المفترض أنه "نائب المهدي حتى عودته في آخر الزمان".

لكن جهـات إيرانيـة معارضـة تعتبر أن حديث خامنئي نفسه، من خلال هذا التسريب، عن عدم أهليته الشـرعية لحكم البلاد، يكشف عن الماكيافيلية الخطيـرة التي انتهجها ورثة روح اللـه الخمينـي لضمـان الإمسـاك التام بمفاصـل الحكم فـي البلد بعد سـاعات على وفاة مؤسـس الجمهورية الإسـلامية، والتي تولى رفسـنجاني بدهاء وحنكة رسم خططها ومسالكها.

وتضيـف هـذه الأوسـاط أن دوائر الحكم آنـذاك كانـت مدركة أن الطابـع الديني لنظام الحكم هو السبيل الوحيد للحفاظ على هيمنة الملالي على النظام السياسي رغم ركاكة مفهوم ولايـة الفقيه الذي أعاد الخمينـي اسـتخراجه مـن بطون فقه شـيعي لا إجمـاع حوله، على الأقل بالمفهوم السياسـي الحاكـم الذي أراده الخميني في إيران.

وتلفت مصادر عايشـت تلك الفترة إلى أن اعتبار خامنئـي غير كفؤ فقهيا لتولي منصب ولاية الفقيه كان صادقا ربما لجهة إيمانه التام بأن المنصب يمثل مرجعا يعلو فوق كل مراجع الشـيعة في العالـم بالمعنى الفقهي، مسـقطا من حسـاباته أن المنصب كمـا أراده الخميني هو منصب سياسـي لحكم إيران يلبس لبوسا دينيا يشـبه مفهوم الإكليروس في أوروبا في العصور الوسطى.

وربمـا كان رفسـنجاني المعـروف بدهائه مـدركا لمحدوديـة كفـاءات خامنئي فـي ذلك الوقت لكنه كان يريد حسم الجدل بشكل سريع في مسـألة خلافـة الخميني تلافيـا لأي فراغ يمثل خطرا على نظام الجمهورية الإسـلامية وعلى نفوذه وطموحاته الشخصية داخل هذه الجمهورية.

ويكشـف التسـجيل أن خامنئـي قـال إن ترشيحه لخلافة الخميني يعاني من إشكالات، ذلـك أنه لا يملـك الأهلية. ويتحـدث خامنئي لاحقا عـن افتقاره إلى المشـروعية الشـرعية متخوفا من رفـض الفقهاء له لأنه ليس مرجع تقليد واجتهاد، ليقـول بعد ذلك إنه "يجب أن نبكي دما على حال الأمة الإسلامية لو انتخب شخص مثلي لمنصب القيادة".

ويقول مهـدي خلجي، الباحـث في معهد واشنطن لدراسات الشـرق الأدنى، إن النخب السياسية ذات التأثير الكبير في إيران وقتها، ضغطـت علـى المجلـس للتصويـت لصالح خامنئي، (الذي كان مقرّبا من الخميني)، وعدم الظهور أمام العالـم بصورة تعكس الاختلاف الحـاد مما قد يؤثر على صـورة النظام، الأمر الـذي لم يعد متوفرا الآن، فلم يعد بمقدور أحد إدعـاء القدرة على الضغط بعد مرور سـنوات مـن التناقـض والعزل السياسـي مارسـها خامنئي نفسـه ضد كل من خالفـه الرأي، من ذلك المسـؤولين الذين تسـببوا فـي أن يكون المرشد الأعلى.

وتؤكد مراجع متابعة للصراع داخل الطبقة السياسـية فـي إيـران أن التسـريب في هذا التوقيـت يعني أن جهة داخل النظام تكشـف وهن الأسـس التي بني عليهـا النظام الحالي الحاكم فـي إيـران والذي أدى في الأسـابيع الأخيـرة إلـى انتفاضـة الذخيرة الشـعبية الموالية للنظـام والولي الفقيه ومجتمع رجال الديـن ودوائـر الحرس الثوري والمؤسسـات الرديفـة للمرشـد الأعلـى على كل شـخوص النظام ومنابره.

ويضيـف هـؤلاء أن مقاصد التسـريب قد يراد من ورائها تحميل مسـؤولية أزمة النظام السياسي لشـخص علي خامنئي واستخدامه كبش فـداء يبـرئ النظام من مسـؤوليته في ما وصلـت إليه البلاد وإلصاق الأمر بمرشـد لا يتمتـع بالأهلية والكفاءة بحسـب اعترافه شخصيا. ويأتي التسريب في وقت حرج جدا لم تستفق من حدته تيارات النظام و"قبائله". ولأول مرة يشـعر النظام بزلـزال يهز أركانه على الرغم من السـيطرة الشـكلية التي تمت على أمور الشارع في البلاد.

ويـدرك أركان النظـام، لا سـيما داخـل المؤسسـات الأمنية والعسـكرية وخصوصا داخـل الحـرس الثـوري نفسـه، تمامـا أن الحراك الأخير بيتي داخلي لا شـأن لأي دولة فـي الخارج بالتخطيـط لـه، وأن العلة باتت متجذرة داخل الشـرائح الاجتماعية وبات من المسـتحيل فك عقدها من خلال خطب المرشـد الشـعبوية وعظاتـه الفقهية وسـخطه على أعداء الثورة في البلاد.

ولـم يعد التيـار المحافظ الملتـفّ تقليديا حول المرشد الأعلى يرى في التيار الإصلاحي والمعتـدل عدوا له، بل إن هذا التناغم العجيب بـين التياريـن ينم عـن شـعورهما بالحاجة المشـتركة إلـى التكاتـف درءا لانهيـار كامل للنظام يطيح بجناحيه.

ومثير للاسـتغراب التصويـب على عدم أهلية خامنئي بعد مـرور حوالي ثلاثة عقود علـى تبوئه منصب المرشـد الأعلى وهو الذي قـاد بلاده فـي مواجهة محن شـديدة وأظهر كفـاءة عالية في الدفـاع عن منظومـة إيران السياسية واستقرارها خلال هذه الفترة.

من يقـود إيران عليـه أن يتمتّـع بأهلية سياسـية للحكم وليـس كفاءة فقهيـة تركيز التسـريب على اعتبـار خامنئي نفسـه غير مؤهـل فقهيـا لا ينفي، جـدلا، أهليـة الرجل السياسية أو تطور كفاءاته في ما بعد، بغض النظر عن تقييم الموالـين والمعارضين للنظام الإيرانـي لنتائج سياسـاته المعتمدة منذ عام 1989.

> الكشف عن المداولات بعد 28 عاما يفصح عن ورشة تصفية حسابات بين منابر النظام القديمة التي لا تمت بالضرورة بصلة مباشرة إلى الجيل التنفيذي المتحكم بمفاصل الدولة في إيران في هذه الأيام

أهلية خامنئي

لـم يكن روح اللـه الخميني الذي أسـس الجمهورية الإسـلامية وقاد الثورة في إيران عـام 1979 الأكثر كفاءة على المسـتوى الفقهي وأن نظريتـه حـول ولايـة الفقيـه تنـم عن محدوديـة فكريـة وليس عن عبقريـة في علم السياسـة، وأن الرجل اجتـرح نظرية للحكم تغرف من التاريخ ومن نصوص الفقه والتراث غير معترف بقواعد العمل السياسي الحديث في العالم على الرغم من إقامته الفرنسية.

وبالمقارنة ما بين الخميني وخامنئي، فإن الأخير أظهر كفـاءة عالية في تحقيق ما عجز الخميني عن تحقيقه، ذلك أن انغلاق الخميني وتهـوره وعنـاده حجبـت عنه رؤيـة أبعاد اسـتطاع خامنئـي إدراكهـا والتعامل معها ليصبـح اللاعـب الحقيقي الأول فـي البلاد. بالمقابل فإن خامنئي أظهر دهاء اسـتطاع من خلاله تحقيق أحلام الخميني نفسـه في كامل المنطقة.

التسـريب يراد منه محاسبة تاريخ الحكم في إيران وليس الحكم بمعناه الراهن، والتهم تكال فجاة ضد مرشد مريض تبحث إيران عن خليفة له وضد علي أكبر هاشـمي رفسنجاني المتوفي فـي ظروف غامضة يـدور جدل كثير حول إمكانات فتح تحقيقات بشأنها.

وفي خضم ما تعيشـه إيـران اليوم، يأتي التسـريب ليحاسب شخصا متوفيا ويحاسب معـه دائـرة حكم عملـت معه، كما يحاسـب بدايات المرشـد الحالي ليحملها مسؤولية ما آلت إليها الأمور في نهاياته.

ومؤكد أن هذه التطورات المرتبطة بالمرشد الاعلى سـتصب داخل الجـدل القديم الجديد حـول نظرية ولايـة الفقيـه التـي لا تحظى بإجماع فقهي لدى الشيعة في العالم، من حيث أن عدم الكفاءة التي يعترف بها خامنئي نفسه تؤكـد عـدم أهلية أي شـخص لتولي منصب نائب المهدي والتصرف وفق مشـروعية دينية إلهية فيما اختيار الشخص يتم وفق حسابات بشـرية تدخـل فيها أجنـدات ظرفيـة تتعلق بشروط الحكم وقواعد النفوذ وأصحابه.

ويسعر تشكيك رفسنجاني نفسه بوجاهة ولاية الفقيه ثم تشكيك مراجع شيعية بشرعية النظرية إضافة إلى تشـكيك دوائر سياسـية إيرانيـة، خصوصا داخل التيـار الإصلاحي، جدلا سيسـتفيد مـن هذا التسـريب للانتقال نحـو نظام سياسـي آخر بعد رحيل المرشـد الأعلى الحالي.

❑ هاشـمي رفسـنجاني أتـى بخامنئي خليفـة لروح اللـه الخميني. لكن مـع الوقت صار رفسـنجاني الشـبح الذي يطارد خامنئي حتى بعد وفاته، حيث نقلت وسـائل إعلام إيرانية وغربيـة، منها صحيفة الغارديان البريطانية، أن السـلطات الإيرانية سـتعيد فتح التحقيق بشأن وفاة رفسنجاني بناء على طلب عائلته التي تؤكد أن جسده كان يحتوي على مستويات عالية من الإشعاعات تشي بأن الرئيس الإيراني الأسبق "توفي بصورة غير طبيعية".

النظام الإيراني يشكو من تدخّل «خارجي»!

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ من أطرف ما تخلّل فصول الانتفاضة الأخيرة للشعب الإيراني في وجه نظام الملالي، شكوى غير مسؤول في طهران من وجود جهات "خارجية" تدعم المتظاهرين. وصل الأمر بأحدهم إلى الشكوى من أن لعائلة صدّام حسين يدا في ما شهدته إيران من تحرّكات شعبية شملت نحو ستين مدينة وبلدة في أنحاء مختلفة من البلد.

من لديه درهم عقل ودراية ومعرفة بالواقع، يعرف تماما أن عائلة صدّام مشتتة ومنقسمة على نفسها. لم يعد من وجود لما يجمع بين أعضائها باستثناء الترحّم على الماضي وذكرياته. كيف يمكن لنظام قام على فكرة "تصدير الثورة"، أي التصدير المستمرّ لأزماته إلى خارج إيران اتهام جهات "خارجية" بتحريض الإيرانيين على النزول إلى الشارع والانتفاض لكرامتهم كمواطنين يستحقون الاستفادة من ثروات إيران.

> ليس ما يشير، إلى الآن، إلى أن الكثير سيتغير في عهد دونالد ترامب. سيستمر النظام في إيران في الشكوى من تدخل «خارجي» يصب في مصلحته. هذا جزء من اللعبة التي صار الشعب الإيراني من ضحاياها

يستحقّ الإيرانيون ذلك بدل ذهاب هذه الثروات لتخريب لبنان عبر ميليشيا "حزب الله" وما شابهها من ميليشيات مذهبية أو لحركة مثل "حماس" التي لا تاريخ لها سوى القضاء على أي أمل في حصول الفلسطينيين على بعض حقوقهم المشروعة بدل البقاء تحت الاحتلال.

الأمر نفسه ينطبق على اليمن حيث يلعب الحوثيون (أنصارالله) الدور الذي يلعبه "حزب الله" في لبنان. ما ينطبق على اليمن ولبنان ينطبق خصوصا على سوريا حيث يدعم النظام الإيراني نظاما طائفيا لم يكن لديه همّ منذ قيامه في العام 1970، وحتّى قبل ذلك عندما كان حافظ الأسد لا يزال وزيرا للدفاع، سوى لعب دور الحارس لجبهة الجولان المحتل بعد قبض ثمن تسليم الهضبة المحتلة إلى إسرائيل في العام 1967.

منذ قيام "الجمهورية الإسلامية" في إيران، لم يسلم بلد عربي من شرورها، بما في ذلك المملكة العربية السعودية ودولة الكويت ومملكة البحرين ودولة الإمارات العربية المتحدة التي لا تزال ثلاث من جزرها محتلّة منذ أيّام الشاه في 1971. لا جواب منطقيا بعد عن السبب الذي دفع إيران إلى تأسيس "حزب الله" في لبنان والعمل في الوقت ذاته على تغيير طبيعة المجتمع الشيعي في بلد كان رمزا للانفتاح على العالم في المنطقة. ربّما الجواب الوحيد هو التخريب ولا شيء آخر غير ذلك بحثا عن دور إقليمي مرحّب به أميركيا وإسرائيليا.

ليت هناك جهات "خارجية" تتدخل في إيران. المشكلة أن لا أحد يريد التدخل ضدّ النظام الإيراني. على العكس من ذلك، هناك تفرّج على ما تفعله إيران في المنطقة، بل هناك تشجيع لها على السير في الخط الذي تسير عليه منذ العام 1979. وهو خطّ استفادت منه إسرائيل إلى أبعد حدود، خصوصا بعدما اعتبرت إيران أن القدس قضيّتها وخصص آية الله الخميني يوما للقدس في الأسبوع الأخير من شهر رمضان.

لم تبعد مدينة القدس العربية عن أهلها، الذين يريدون البقاء فيها والمحافظة عليها، أكثر مما ابتعدت منذ إعلان الخميني عن "يوم القدس" بهدف واحد وحيد. يتمثل هذا الهدف بالمزايدة على العرب فلسطينيا وخطف قضية فلسطين منهم.

لا وجود لحسيب أو رقيب على تبديد ثروة كان يمكن أن تستثمر في مصلحة الشعب الإيراني الذي بات محروما الآن حتّى من تعليم أبنائه اللغة الإنكليزية في الصفوف الابتدائية. ليست اللغة الإنكليزية هذه الأيّام سوى لغة العالم، أو على الأصحّ، لغة كلّ ما هو حضاريّ في هذا العالم. هل هدف "المرشد" علي خامنئي عزل إيران عن العالم الذي يبدو أنّه يستثمر في الدور الذي تؤديه "الجمهورية الإسلامية" على الصعيد الإقليمي كي تزداد حاجة دول الخليج ودول المشرق العربي إلى الولايات المتحدة أكثر فأكثر؟ هل من استثمار أسوأ من الاستثمار في نشر الجهل بين الإيرانيين تمهيدا لتعميمه في كلّ أنحاء المنطقة؟

يظلّ العراق أهمّ مثل عن الدور التخريبي لإيران والدعم الخارجي، خصوصا الأميركي لهذا الدور. كان الاحتلال الأميركي للعراق في العام 2003 بمثابة انطلاقة جديدة للدور الإيراني على صعيد المنطقة. منذ تقديم إدارة جورج بوش الابن العراق على صحن من فضّة إلى إيران، لم يعد هناك من عراق موحّد. ما نشهده اليوم هو فصل أخير من تسليم قسم من العراق إلى إيران.

هناك في العراق سباق بين نوري المالكي وحيدر العبادي على من هو أكثر ولاء لإيران. مجرّد قبول العبادي بأن يكون حليف "الحشد الشعبي" في الانتخابات النيابية المقبلة بمثابة دليل على مدى استعداده لاسترضاء إيران كي يبقى رئيسا للوزراء في السنوات المقبلة.

ليس "الحشد"، في نهاية المطاف، سوى مجموعة ميليشيات تابعة لـ"الحرس الثوري" الإيراني. ليست معروفة نسبة الإيرانيين، المجنّسين في العراق حديثا، الذين ينتمون إلى "الحشد الشعبي"، لكن المعروف أن آلاف الإيرانيين دخلوا إلى العراق بمجرّد سقوط نظام صدّام حسين وذلك بمعيّة الميليشيات التابعة للأحزاب العراقية، وهي أحزاب شاركت في الحرب التي خاضتها إيران مع العراق بين العامين 1980 و1988 من القرن الماضي.

انتهت تلك الحرب التي قاتلت فيها هذه الميليشيات مع "الحرس الثوري" بتمكن العراق من احتواء الهجمة الإيرانية عليه إلى حين... أي إلى حين ارتكاب صدّام مغامرته المجنونة في الكويت عام 1990 ثمّ قيام جورج بوش الابن بمغامرة لا تقلّ جنونا عن مغامرة صدّام عندما احتلّ العراق في العام 2003 وذلك من دون أيّ رؤية لمرحلة ما بعد الاحتلال والنتائج التي ستترتّب على إدخال الميليشيات العراقية التابعة لإيران إلى بغداد والبصرة وغيرهما.

معه حقّ الرئيس سعد الحريري، الذي يعرف تماما من قتل والده، الذي شرح في حديث قبل أيّام إلى "وول ستريت جورنال" الأسباب التي تدعو إلى المحافظة على الحكومة اللبنانية الحالية على الرغم من مشاركة "حزب الله" فيها.

قبل كلّ شيء يوضح الحريري إلى المراسل الذي أجرى معه الحديث ويدعى ياروسلاف تروفيموف، الذي له أحد أفضل الكتب عن السعودية وعنوانه "حصار مكّة"، أن "لبنان لا يستطيع وحده التصدي لـ"حزب الله" الذي صار "مشكلة إقليمية". ينتقل بعد ذلك إلى القول "مشكلتي مع الإسرائيليين أنّهم يقولون في كلّ مرّة إنّهم ينوون شنّ حرب بهدف إضعاف "حزب الله". في كلّ مرّة شنوا حربا في لبنان، كانت النتيجة تقوية "حزب الله" وإضعاف الدولة" اللبنانية.

من يعود إلى حرب صيف 2006، يكتشف كم كلام سعد الحريري دقيق. لم ينتصر "حزب الله" على إسرائيل في تلك الحرب. تركت له إسرائيل المجال لينتصر على الدولة اللبنانية. فبعد تلك الحرب، اعتصم الحزب في وسط بيروت لتعطيل الحياة فيها ثمّ نفذ غزوة بيروت والجبل في أيّار – مايو 2008.

الإيرانيون في المهجر أكثر العارفين بقيمة التغيير

هل من حاسب إيران على ما قام به "حزب الله"، أم أن إيران كوفئت على غزوة بيروت والجبل مثلما كوفئت على مشاركة "حزب الله" في الحرب على الشعب السوري وقبل ذلك على الاستثمار في ترسيخ الشرخ الطائفي والمذهبي في العراق؟

نعم، هناك تدخّل "خارجي" في إيران. هذا التدخّل لمصلحة النظام في إيران وهو موجّه ضدّ الشعب الإيراني. ليس ما يشير، إلى الآن، إلى أن الكثير سيتغيّر في عهد دونالد ترامب. سيستمر النظام في إيران في الشكوى من تدخّل "خارجي" يصب في مصلحته. هذا جزء من اللعبة التي صار الشعب الإيراني من ضحاياها... مثله مثل اللبنانيين والسوريين واليمنيين والبحرينيين وآخرين.

واشنطن تهرب من ورطة الاتفاق النووي مع إيران بمعاقبة رئيس سلطتها القضائية

قال الرئيس الأميركي دونالد ترامب إنه سيمدد تعليق العقوبات النووية على إيران لكن فقط بوصفها "فرصة أخيرة" لن يكررها. وردت إيران بأن الاتفاق النووي مع القوى العالمية غير مطروح لإعادة التفاوض. وسوف تشكل المهلة ضغطا على الأوروبيين، الداعمين الرئيسيين وعلى أطراف الاتفاق الدولي الموقع في 2015.

❑ **طهران** – لم يسجل الجدل حول الاتفاق النووي أي تقدم يذكر وبقي يدور في نفس فلك التهديد الأميركي بالانسحاب في حال لم يتم تحسين الاتفاق والرد الإيراني بالتصعيد، خاصة بعد فرض واشنطن لعقوبات على رئيس سلطتها القضائية صادق لاريجاني، والقلق الأوروبي من تصرف هذا الطرف أو ذاك.

وأبقى ترامب على التزام بلاده بالاتفاق النووي الإيراني، والذي يتم بموجبه تعليق العقوبات ضد طهران. ونفس اللهجة الحادة التي تحدث بها خلال حملته الانتخابية عن تمزيق الاتفاق، والتي تحدث بها أيضا في أكتوبر 2017 بشأن الإقرار بمدى التزام إيران بالاتفاق النووي، وتقريبا تكرّر المشهد الجمعة، حيث رمى الكرة مجددا في ملعب الكونغرس وطرف التفاوض الأوروبي لتعديل الاتفاق.

ودعمت المندوبة الأميركية لدى الأمم المتحدة، السفيرة نيكي هيلي، ما قاله ترامب مؤكدة أن الرئيس الأميركي "اتخذ إجراءات حاسمة لتوضيح أن الولايات المتحدة ستواصل الالتزام بشروط الاتفاق النووي الإيراني، ولكنها لن تتسامح مع سلوك إيران الخطير والمزعزع للاستقرار، ونتوقع أن تنضم إلينا بلدان أخرى".

واضطرار ترامب إلى مواصلة العمل بالاتفاق، مع الحرص في الوقت نفسه على وصفه بأنه أحد أسوأ الصفقات التي شاركت فيها الولايات المتحدة، يمكن تفسيره في ضوء اعتبارات عديدة، ترتبط بضغوط داخلية ومساع أوروبية وتحركات إيرانية.

وقال المحلل ريتشارد نيفيو، إن تحقق شروط ترامب سيعتمد على ما إذا كان يريد سبيلا لحفظ ماء الوجه مع الإبقاء على الاتفاق النووي بغطاء سياسي يتمثل في تشريع أميركي صارم أم أنه يريد حقا إعادة صياغة الاتفاق.

وأضاف نيفيو، وهو خبير سابق في عقوبات إيران بالبيت الأبيض ووزارة الخارجية، أن التشريع يمكن صياغته ليبدو يخفف مخاوف ترامب لكن من المستحيل أن تقبل إيران بعمليات تفتيش دولية غير مقيّدة أو بعدم وجود حدود زمنية لقيود الاتفاق النووي.

وقال مسؤول أميركي بارز إن "ترامب قال وراء الكواليس إن الاتفاق النووي يجعل الولايات المتحدة تبدو ضعيفة". وأضاف أن "حجة البقاء فيه كانت قائمة على إتاحة وقت لتشديد بنود الاتفاق".

ووقّع الرئيس الأميركي على المرسوم بناء على توصية قدمها وزيرا الدفاع جيمس ماتيس والخارجية ريكس تيلرسون ومستشار الأمن القومي هربرت ماكماستر، وهو الفريق الذي ما زال يرى أن الانسحاب من الاتفاق أو التسبب في انهياره سوف يفرض عواقب وخيمة على مصالح واشنطن.

ولا تتصل هذه العواقب فقط بما يمكن أن تتجه إليه إيران من مسارات تصعيدية على غرار إعادة تنشيط برنامجها النووي حيث هددت بذلك فعلا عشية قرار ترامب، وإنما تمتد أيضا إلى إضعاف موقع الولايات المتحدة في الأزمات الدولية الأخرى، واتساع نطاق الخلافات مع الشركاء الأوروبيين.

كما أن ذلك جاء بعد محاولات حثيثة من جانب الدول الأوروبية المعنية باستمرار الاتفاق، لإقناع الإدارة بضرورة مواصلة العمل به، على الأقل في المرحلة القادمة، وعدم منح فرصة للمتشددين داخل إيران من أجل العودة مرة أخرى لتسريع النشاط النووي.

وتوازى ذلك مع جهود مضنية من جانب حكومة الرئيس الإيراني حسن روحاني من أجل دعم فرص بقاء الاتفاق وتجنب انهياره، خاصة في ظل الموقف الصعب الذي تمر به في الوقت الحالي، بسبب استمرار الاحتجاجات وتحميل روحاني وسياساته المسؤولية عن اندلاعها وانتشارها.

وكان من شأن إعادة فرض العقوبات أن تنهي عمليا الاتفاق الذي يحد من برنامج إيران النووي. والأطراف الموقعة على الاتفاق في 2015 مع إيران هي الولايات المتحدة والصين وفرنسا وروسيا وبريطانيا وألمانيا والاتحاد الأوروبي. وليس من المرجح أن تنضم هذه الدول للولايات المتحدة حال إعادة فرضها للعقوبات.

ومقابل عدم الانسحاب المشروط من الاتفاق، اتجهت إدارة ترامب إلى التركيز على ملف انتهاكات حقوق الإنسان، وهو أكثر الملفات التي تهرب إليها الإدارة الأميركية، والقوى الدولية، عندما تجد نفسها أمام مواجهة حاسمة مع إيران.

وفرضت وزارة الخزانة الأميركية عقوبات على 14 مسؤولا إيرانيا، استنادا إلى اتهامات تتعلق بانتهاكات حقوق الإنسان وقمع المتظاهرين وزعزعة الاستقرار في الشرق الأوسط، ومن بين أبرز الأسماء صادق لاريجاني رئيس السلطة القضائية.

ويعود تركيز تلك العقوبات على صادق لاريجاني تحديدا إلى دوره الرئيسي في السياسة القمعية التي يتبعها النظام في التعامل مع المحتجين، إلى جانب رفضه إبرام صفقات مع بعض الدول الغربية في شأن تبادل السجناء أو الإفراج عن بعض مزدوجي الجنسية من الذين صدرت بحقهم أحكام بالسجن.

وكانت قضية نازانين زغاري راتكليف البريطانية من أصل إيراني والموظفة في مؤسسة تومسون رويترز آخر تلك القضايا التي اعترض لاريجاني على الوصول إلى تسوية لها بين إيران وبريطانيا خلال زيارة وزير الخارجية البريطاني بوريس جونسون إلى طهران في 9 ديسمبر الماضي، رغم أن ذلك ما زال محل نقاش داخل الدوائر السياسية الإيرانية.

ويرى النظام الإيراني أن ضم لاريجاني لقائمة العقوبات يمثل رسالة تحدّ له، ستدفعه إلى رفع مستوى انخراط مؤسساته الأمنية لاحتواء الاحتجاجات، وعدم الاستجابة إلى أي دعوات لإجراء مفاوضات جديدة حول القضايا التي تكتسب اهتماما خاصا من جانب واشنطن إلا وفق شروط محددة لا يرى أنها متوافرة الآن.

وقالت وزارة الخارجية الإيرانية في بيان "عمل نظام ترامب العدائي (ضد لاريجاني) تجاوز جميع خطوط الحمراء للسلوك في المجتمع الدولي ويمثل انتهاكا للقانون الدولي وسترد عليه بالتأكيد الجمهورية الإسلامية بجدية".

> المندوبة الأميركية الدائمة لدى الأمم المتحدة نيكي هيلي تؤكد أن ترامب اتخذ إجراءات حاسمة لتوضيح أن واشنطن ستواصل الالتزام بشروط الاتفاق النووي ولكنها لن تتسامح مع سلوك إيران الخطير والمزعزع للاستقرار

والمسألة لا تعود فقط إلى أن صادق لاريجاني يعد أبرز مسؤول إيراني يتعرض لعقوبات أميركية في الفترة الأخيرة، وإنما ترجع أيضا إلى أنه يحظى بمكانة خاصة داخل النظام ويعتبر أحد المقربين من المرشد الأعلى علي خامنئي وأحد المرشحين المحتملين لخلافته.

ويعتبر النظام أن تلك العقوبات تمثل مؤشرا لمحاولة واشنطن ترجمة الوعود التي أعلنها ترامب قبل أيام بدعم المحتجين الإيرانيين، الذين ربطوا بين تردي أوضاعهم الاقتصادية والتكاليف التي يفرضها دور إيران في الخارج ودعمها للميليشيات الإرهابية والمسلحة التي تنتشر في بعض دول المنطقة. لذا، فحرص ترامب على تفويت فرصة الانسحاب من الاتفاق أو التأثير على استمرار العمل به مجددا لن يمثل نهاية المطاف للأزمة الحالية، في ظل إصرار واشنطن على دفع طهران نحو تغيير سلوكها، وإمعان الأخيرة في توجيه رسائل عكسية رافضة لذلك، ضمن سياسة لا تخدم إلا مصلحة النظام الإيراني والسياسة الخارجية الأميركية.

هل يكون التنازل الأخير حقا؟

العراق: من يجمعهم الحزب تفرّقهم السلطة

د.ماجد السامرائي
كاتب عراقي

❏ قيل في السياسة إن السلطة هي مفسدة السياسيين وإنها مخرّبة لأواصر المؤتلفين وحتىٰ منظومات الحزب الواحد ذي الأيديولوجيا الواحدة. حصل ذلك عند الأحزاب القومية واليسارية فقد انقسم تنظيما البعث السوري، الحاكم في دمشق، والعراقي، الحاكم في العراق، عام 1964 بعد حكم دام تسعة أشهر في العراق. وتحوّل ذلك الانشقاق إلىٰ نكبة وتراجع للتيار القومي العروبي. وهذا ما يحصل لحزب الدعوة اليوم الذي حكم العراق باسم الإسلام السياسي لأربعة عشر عاما.

علامات الانشقاق التنظيمي والسياسي داخل حزب الدعوة أخذت تتعمق حول السلطة وإدارة الحكم وحول نتائج تلك السياسات سواء في عهد أطول حكم لرئيس وزراء بعد عام 2003 هو نوري المالكي أو في عهد خليفته وابن حزبه حيدر العبادي الذي يحاول أن يرث دورة إعادة الحكم لمرة ثانية خلال الانتخابات المقبلة التي يدور الجدل حول توقيتها.

> مسؤوليات العبادي واستحقاقات رئاسته للحكومة لا تحصر في الانتصار العسكري على داعش، بل في متطلبات ما بعد هذا الانتصار الذي قد يضيع بريقه إذا لم يف بواحدة من تلك الاستحقاقات، وهذا ما يراقبه المالكي ويراهن عليه في معركة كسر العظم الراهنة

ومنذ الساعة التي لم يرض فيها المالكي بقرار عدم تجديد ولايته عام 2014 رغم فوز قائمة ائتلاف حزبه وتسليمها للعبادي، أخذ الصراع يتمدد ويتصاعد. ابتدأ بشكليات كانت تبدو صغيرة كتردد المالكي في تسليم مقر مكتب رئيس الوزراء للخلف الجديد. لكن هذه الشكليات الصغيرة كانت تخفي الكثير من العلامات التي كبرت في ما بعد، والتي تشير إلىٰ عدم تسليم المالكي لنهايته مع علمه بأن مجيئه تم عبر الانتخابات والتداول السلمي للسلطة. لكن منطق الأبوة الحزبية هيمن علىٰ مخيلته السياسية وشعوره بأنه أكفأ قيادات حزبه وأكثرهم إخلاصا "لطائفته"، وهو الذي قال في تصريح صحافي نسب إليه، "أنا شيعي قبل أن أكون عراقيا"؛ وهو الذي فتح معارك القيادة الحزبية مع الأمين السابق إبراهيم الأشيقر الجعفري، الذي اضطر إلىٰ الانشقاق وتشكيل حزب الإصلاح أو فتحه لمعارك سياسية وعسكرية مع حلفاء من طائفته مثل التيار الصدري الذي حاربه بجولة الفرسان عام 2008 في مدينة البصرة أو اقتحامه لمنصات الأنبار الاحتجاجية والتي تحولت في نظره إلىٰ "فقاعة" ثم إلىٰ وكر لداعش.

المالكي لم يقتنع بنظرية أن الحزب هو الذي يصنع القادة الذين يتجددون عبر المهمات والمراحل وإذا ما فشلوا أو أخطأوا يأتي من بعدهم من يعدّل المسيرة، لكنه يعتقد بأنه هو الذي يصنع الحزب والولاء والجمهور. كانت قصتا داعش والفساد هما علامة الصراع السياسي ما بين المالكي والعبادي، وهناك تفصيلات كثيرة تقع تحت تلك العلامتين البارزتين. فالعبادي أدار معارك تحرير العراق من داعش في الموصل والأنبار وصلاح الدين وكركوك وحقق النصر العسكري بعد ثلاث سنوات من حكمه بعد فتوى "الجهاد الكفائي" للمرجع الشيعي علي السيستاني وتحالف أكثر من 63 دولة علىٰ رأسها الولايات المتحدة الأميركية.

وقبل إنجاز التحرير بثلاث سنوات فتح ملف هزيمة القوات العسكرية العراقية في الموصل في مجلس النواب وجرى حولها ضجيج كبير وتوظيف سياسي بين الكتل المؤيدة لسياسة المالكي وتلك الناقدة له، وبتاريخ 2015/08/16 صدر تقرير لجنة التحقيق البرلمانية بخصوص تسليم الموصل لداعش، وحمّل المسؤولية إلىٰ رئيس الوزراء العراقي السابق نوري المالكي و30 شخصية عسكرية ومدنية.

لكن توصيات التحقيق وإجراءاته ركنها حيدر العبادي لحساباته الحزبية والسياسية. لكن المالكي ردّ علىٰ اتهامه بقوله في مقابلة تلفزيونية إن "ما حصل في الموصل مؤامرة ويجب محاسبة المسؤولين عنها وفي مقدمتهم مسعود البارزاني الذي كان له الدور في سقوط الموصل ووجود داعش إلىٰ جانب بعض القيادات السنية"، كما طالب بالتحقيق في سقوط مدينة الرمادي في بداية عهد العبادي. مما دعا العبادي إلىٰ تجميد ملف الموصل واتفق مع رفيق دربه "المالكي بأن الفساد في الجيش هو الذي قاد إلىٰ هزيمة الموصل" بحسب تصريحاته بتاريخ 31 يناير 2017.

رغم عدم تسليم المالكي بنهاية طموحه السياسي فإنه اعترف في مقابلة تلفزيونية بتاريخ 2015/8/16 أن "الطبقة السياسية التي تدير العملية السياسية فشلت فشلا ذريعا، وأنا منهم، وينبغي ألا يكون لهم دور في رسم الخارطة السياسية".

ومع ذلك تشير التقارير والتسريبات الإعلامية الكثيرة إلىٰ النشاطات الكثيرة للمالكي في وسطه الشيعي لحفظ الولاء له ومحاولة تجميع الأخطاء ضد العبادي ووصفه بالرجل الضعيف وخشيته من تطور التحالفات السياسية الأولية مع الزعيم مقتدى الصدر الذي يكن له العداء العميق إلىٰ احتمالات قيام جبهة انتخابية عريضة تسقط أحلام المالكي.

ولا تحصر مسؤوليات العبادي واستحقاقات رئاسته للحكومة في الانتصار العسكري علىٰ داعش بل في متطلبات ما بعد هذا الانتصار الذي قد يضيع بريقه إذا لم يف بواحد من تلك الاستحقاقات، وهذا ما يراقبه المالكي ويراهن عليه في معركة كسر العظم.

أهم تلك القضايا يتمثل في إعادة النازحين إلىٰ محافظاتهم الغربية الست وتحقيق الاستقرار الأمني والمعيشي لهم، أمام حالة هيمنة بعض القوى العسكرية التابعة للحشد الشعبي علىٰ تلك المحافظات، والشعور العام بأنه من غير اللائق عدم احترام قادة العملية السياسية لما يعيشه أبناء تلك المحافظات من معاناة مازالت تدور حول العثور علىٰ جثث أهاليهم وأبنائهم بين الركام خصوصا في مدينة الموصل، فكيف يجبرون علىٰ الإدلاء بأصواتهم في مخيمات النزوح ولا يمتلك أكثرهم بطاقات الانتخاب.

أدت هذه القضية الجدلية إلىٰ اصطفافات تتعلق بالمناخ المبكر للتنافس الانتخابي. فالزعامات السنية والعشائرية ترى أن الإصرار علىٰ موعد الانتخابات في الثاني عشر من مايو المقبل سيؤدي إلىٰ تعقيدات كثيرة تفقد من خلالها تلك الزعامات مكانتها بين جمهورها، أما المالكي فيجد نفسه في مناخ أفضل إذا ما جرت الانتخابات في هذا الموعد ليحقق الغلبة لائتلاف دولة القانون.

والعبادي فموقفه الإعلامي مازال مصرا علىٰ الموعد الدستوري للانتخابات، فهو من ناحية يعتقد أن التأجيل ليس لصالح دعوته للقضاء علىٰ الفاسدين، لأنه لم يحرك أي ملف من تلك الملفات إلىٰ الجهات القضائية، لكنه من ناحية أخرى بحاجة إلىٰ عمل سياسي مكثف لإنضاج مشروعه الانتخابي لقائمته الجديدة (النصر والإصلاح) في ظل جدل آخر لا يقل أهمية يتعلق بمصير جمهور حزب الدعوة من الوسط الشيعي إلىٰ أين يتوجهون، للمالكي أو للعبادي، في ظل وجود وقت هناك كلام حول تجديد نشاط المالكي بين الوسط العربي السني.

تبقىٰ أكثر مسألة شاقة أمام العبادي هي معركة الفساد وهي ذات بعدين عسكري وسياسي مدني. فشبكات الفساد الأكثر خطورة هي داخل المؤسسة العسكرية، ويتذكر الناس ما أعلنه العبادي عن وجود أكثر من خمسين ألف "فضائي" أي منتسبين وهميين للمؤسسة العسكرية لهم يتقاضون رواتب ومخصصات تذهب لجيوب الفاسدين من القادة والآمرين، وأغلبهم موالون للمالكي الذي ردّ في تصريح لوكالة فرانس برس "بأنه لا صحة لهذه المعلومة مطلقا، والجيش سليم من الفضائيين، إلا من حالات نادرة تتم ملاحقتها، ومعاقبة المسؤولين عنها".

كل في طريقه

وتحولت قضية الفساد إلىٰ مادة للتوظيف السياسي بين قادة البيت الشيعي في حين جعلها العبادي عنوانا لخطابه اليومي ويقارن معركته بالمعركة علىٰ داعش، فيقول في إحدى خطبه إن "المرحلة المقبلة في العراق ستشهد حربا علىٰ الفساد والفاسدين ومثلما كان الخيار أمام إرهابيي داعش الاستسلام أو الموت، فإن الفاسدين سيخيرون بين أن يسلموا ما سلبوه للعفو عنهم أو أن يقضوا بقية حياتهم في السجن".

هناك كلام يدور خلف الكواليس مفاده أن "استهداف زعامات الفساد يعني رجال المالكي في أروقة الدولة. وهناك حادثة تبدو عرضية وهي اتهام أحد قادة حزب الدعوة (محافظ بغداد صلاح عبدالرزاق) بملف فساد كبير وتم إقصاؤه من قبل رئيس الحزب نوري المالكي.

وتأتي قضية الأكراد أيضا لتسجل حضورها ضمن أزمات مرحلة ما بعد داعش. بعد إجراء الاستفتاء في الخامس والعشرين من سبتمبر الماضي رغم أن العبادي حقق ولاء سياسيا وطنيا في إجراءاته بالسيطرة علىٰ مدينة كركوك النفطية والمنافذ الحدودية، لكن قضية الحوار مع القيادات الكردية أصبح ميدانا للتنافس بين العبادي الذي يصّر علىٰ تطبيق آليات التخلي عن الاستفتاء، والمالكي الذي أخذ يبعث لقيادة البارزاني رسائل ودّية بعد أن سبق وأن اتهمه بإدخال داعش للعراق وتجب محاسبته، لكنه اليوم يؤدي هذا الدور نكاية برفيق دربه حيدر العبادي. وفي النهاية تبرز الحقيقة المرّة في السياسة "من يجمعهم الحزب تفرقهم السلطة".

ماذا تعلّم سنة العراق بعد سقوط الخلافة الداعشية

أسعد البصري
كاتب عراقي

❏ قبل عام واحد من سقوط الموصل أثار اهتمامي الشيخ محمد خميس أبوريشة الذي ظهر بتسجيل يقول إننا وبسبب عملاء الفرس صار الموت والحياة عندنا سيان، أصبحنا نبحث عن الموت لنرتاح. وتوّعد الجيش العراقي وهدّد بالتمرد المسلح متعهدا بأنه سيطرد الجيش العراقي من الأنبار نهائيا، قائلا إنه جيش طائفي حتىٰ الجيش الأميركي كان أكثر أخلاقا ورحمة منه.

كان السيد أبوريشة يرتدي نظارات شمسية إيطالية "ريبان" وأناقته توحي بأنه شيخ قطري مترف وخلفه "جكسارات" دفع رباعي حديثة. كان يتحدث ويحرّض بصفته أحد قادة منصات الاعتصام في الأنبار.

بعدها بأيام صرف له رئيس الوزراء السابق نوري المالكي صكا بمبلغ كبير وصار قائد صحوات الأنبار والمدافع عن الحكومة ثم قام رجل انتحاري من معارفه بتفجيره ليحضر جنازته المالكي شخصيا. هذه ليست سياسة بل تصرفات عصابة من قطاع الطرق.

يجري الحديث في الأنبار هذه الأيام عن محاولات تنظيم القاعدة لتحريك خلاياها النائمة بعد هزيمة داعش والتحرك لضرب أهداف أجنبية حيوية في الأنبار. لهذا ترى الناس تتعاون مع مكاتب للحشد الشعبي والجيش العراقي في المحافظة وتزوّدهم بالمعلومات. فلم تعد لدى الشعب رغبة بانفلات أمني جديد أو نزوح جديد.

كتب لي محمود فهمي، من تورنتو، عن هذه الظاهرة الغريبة في الأنبار قائلا إنها قديمة وذات جذور. "أستاذ أسعد قرأت كتابا عن الرحالة الأوروبيين الذين زاروا العراق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ومنهم فريزر الفرنسي ورحلته عام 1848 التي مر خلالها بالشام ومنها إلىٰ الفرات وبغداد. معظم الرحالة تعرضوا للنهب والبعض الآخر يدفع للجندرمة العثمانية لحمايته وكان اسم أبوريشة وعصابته الخطر الأول لدرجة تحصل معارك ويهجمون علىٰ القوافل بالسلاح. منذ ثلاثة قرون هذه طريقتهم".

لهذا نرى أن الرسامين الاستشراقيين رسموا القليل عن العراق بسبب صعوبة السفر، بينما رسموا عن مصر وشمال أفريقيا كالمغرب والجزائر وتونس وكذلك سوريا ولبنان وفلسطين. لقد حُرمنا من أجمل فترة للفن الاستشراقي واللوحات الجميلة بسبب عصابات أبوريشة و"السلابة".

هذا يفسر لنا سلوك بعض شيوخ الأنبار مع الدولة في العراق الجديد بعد 2003. تراهم ينتمون للإرهاب وبعدها يشتغلون صحوات لدى الدولة. يخلقون وظائف وهمية من تحت الأرض ويكلفون ميزانية العراق مبالغ طائلة بلا إنتاج مثمر. يقومون بعمليات سلب وسطو علىٰ الطريق السريع الذي يربط الأردن ببغداد وبعدها يطالبون بعقد ضخم مع أميركا ليعمل أبناء المحافظة في حماية الطريق السريع. كلها بطالة مقنعة وأخلاق سطو ونهب علىٰ ثروات العراق.

لهذا رفضت الحكومة العراقية ذاك بقوة لأن هذا يشجّع كل المحافظات العراقية كميسان والكوت والبصرة وغيرها علىٰ أن تقطع الطريق السريع أو تفجر السكة الحديد لغرض الحصول علىٰ عقود عمل بالملايين لحماية الطرق.

محافظة البصرة مثلا تنتج ما قيمته 70 بالمئة من ميزانية العراق ولا تكلف الدولة نفقات صحوات وحمايات ولا أعمال تخريبية كما تفعل الأنبار التي لا تنتج إلا القليل مقارنة بالبصرة. أعتقد بعد هزيمة داعش هذه الثقافة ذات الجذور التاريخية من السطو والإتاوات يجب أن تتوقف ولا يبقىٰ سوى الأمان وهيبة الدولة.

نحن سنّة العراق علينا امتلاك الشجاعة الكافية لمراجعة النفس ونقد الذات والتوقف تماما عن شيطنة الشيعي وتحميله المسؤولية كاملة عن خراب البلاد.

تم الانتصار علىٰ داعش بسواعد العراقيين وهذا ليس بالأمر الهيّن. في العام 2014 صديق من محافظة الناصرية يقول لي إن ابنته كانت تبكي وتقول "أنا خائفة يا أبي. ماذا لو وصل داعش إلىٰ هنا؟ لماذا نحن شيعة؟ ماذا سنفعل الآن؟ هل سيبيعونني في السوق لأنني رافضية؟". إن العالم متلهّف لسماع الحكمة التي تعلمناها نحن سنة العراق بعد هذا الدرس التاريخي المتمثل بهزيمة داعش. إن أول الدروس يجب أن يكون تحمل المسؤولية عن الأخطاء وعدم إلقائها علىٰ الآخر.

البارحة شاهدت فيلما أجنبيا؛ المراهق يقول لأبيه أشعر بغضب ومستعد لأن أحارب العالم كله. والأب يقول له لقد كنت مثلك وحين تقدم بي العمر تعلمت أن من الأفضل لو أحارب هذا الشعور لأنه من الواضح أن العالم كله سينتصر؟ لهذا لا داعي لمحاربته ولا داعي للغضب. داعش هو هذا المراهق وعلينا أن نتعلم درسا. يجب أن يكون هناك تغيّر وأن نخاطب الحكومة العراقية بلغة جديدة تثبت لحكماء العراق أننا قد تعلمنا شيئا.

> ليس مهما هدم الموصل المهم سلامة المدن العربية، ليس مهما بيوتنا بل المهم بيوت العرب، وحتى بعد بناء مدننا وبيوتنا نعود مرة أخرى للقيام بدورنا كعرب وليس كعراقيين وهو حماية البوابة الشرقية من إيران

فتاة من الموصل كتبت لي "أسعد من يكون داعش؟ هو المئات إن لم يكن الآلاف من السنة العراقيين الذين لا أعرف ما إذا كانوا يعرفون بالمخطط الأصلي الذي شرحته لنا أم تم الضحك عليهم جميعا؟ كلامك صحيح أنا فتاة صغيرة والمفروض أعيش حياة حلوة وردية. غير أن هذا الحلم يصطدم بأنقاض مدينتي التي لازلت أبكيها هي وقتلاها. الطريق الذي أعبره من الجانب الأيمن للموصل إلىٰ الأيسر كفيل بأن يجعلني أعبر مرحلة متقدمة من الاكتئاب، وأنا أتساءل يا ترى كيف كانت الحرب هنا؟ هل تختلف عن حربنا؟ لماذا هذا الدمار؟ كيف كان شعور الأهالي وهم يلفظون أنفاسهم الأخيرة؟ هل كانوا جائعين شبعانين خائفين أم استسلموا للموت بهدوء؟ وأتساءل أيضا ما ذنبهم؟ هل فروا ونجوا؟ أم ماتوا جميعا؟ أقضي رحلتي اليومية، التي تتجاوز الساعتين، إلىٰ الجامعة وأنا شاردة الذهن في الخراب المحيط، أتساءل وأتمنىٰ من يجيب. مدينتي التي أحبها تاريخيا وحضاريا وعمرانيا انتهت وحتىٰ بشريا لم يعد البشر كما كانوا".

الاعتصامات ضد الحكومة التي استمرت لسنوات ومهدت لظهور داعش كانت لتحرير بغداد من الفرس والحكم الشيعي وحماية البوابة الشرقية بتحريض قطري بالمال. فلنراجع أنفسنا بصدق. هل هناك دولة تقبل بأن تعتقل العشائر ضباطها وتلبّسهم "دشداش" بدلا من لباسهم العسكري؟ قمنا بتسقيط هيبة الجيش والضباط وخلقنا شرخا ليس بين الضابط والشعب السني بل بين الضابط والضابط لأسباب مذهبية. لهذا هرب الجيش من الموصل فلا توجد ثقة بين الضابط الشيعي والسني ليقوما بحماية الموصل من داعش. لهذا سقطت المدينة بيد الانتحاريين الدواعش.

وخلال شهر واحد تحول الدواعش من عدة مئات إلىٰ 30 ألف متطوع داعشي ولم يجدوا مقاومة تذكر. السنة قالوا ثوار عشائر عمدوا لتوفير الغطاء لهم حتىٰ يتمكنوا، وأميركا منحتهم وقتا ليرسّخوا أقدامهم. ثم حدثت مجزرة سبايكر الرهيبة لشل العقل الشيعي بإصدار مرعب وتخويفه. استغرق الأمر وقتا حتىٰ استعاد الشيعة ثقتهم بأنفسهم. ما الهدف من كل هذا؟ مجرد حقد علىٰ الشيعة وإيران.

عندنا خلاف سياسي مع إيران والشيعة ولكن ليس إلىٰ درجة الانتماء لداعش، وليس إلىٰ درجة ترويج الإشاعات بأن كيس المغذي الإيراني في مستشفيات الأنبار محقون بالإيدز أو أن المواد الغذائية المستوردة من إيران فيها مواد مسرطنة أو تسبّب العقم. هذه الكراهية المنظمة والإشاعات هي التي خرّبت البلاد وأوصلتنا إلىٰ داعش في النهاية.

كلما ضجرت من القراءة أسمع مقطعا لأم كلثوم بصوت الشاعر نضال العياش. غنىٰ علىٰ العود وكأنه زرياب الساحر وأرسلها لي علىٰ الخاص "شوف الأسوة بتعمل إيه" لكنه حين غنىٰ بالعراقي لم يعجبني. هذه مشكلتنا نحن سنة العراق نسمع أغاني عربية من الطفولة ونسمع القرآن بصوت عبدالباسط عبدالصمد. نحن "حراس بوابة شرقية" لا نعرف من الغناء المحلي سوى الكاولية (الغجر)، ولا نصلي حين نتوب إلا خلف إمام سعودي. علينا التواضع قليلا خصوصا بعد هزيمتنا في الموصل. نحن ورثنا السلطة وإدارة الشعب العراقي من العثمانيين غير أن الشيعة هم العراق ولا جدوى من مدافعتهم بهذه الطريقة العنيفة واتهامهم بالخيانة والعمالة لإيران. فجذورهم في البلاد عميقة. الأشجار نبتت بسواعدهم والجداول جرى بها الماء الصافي بعرق جبينهم. الأفضل التفاهم معهم ووقف هذا النزيف الطائفي المدمر.

سؤال يطرح عليّ كثيرا: لماذا نحن عرب أولا وبالدرجة الثانية عراقيين؟ هذا في الحقيقة سببه التثقيف البعثي الطويل الذي تمكن منا لنصف قرن. وبعدها جاء التثقيف الديني السني والسلفي، كلها ثقافة أرضعتنا أن وظيفتنا محاربة الفرس المجوس والشيعة.

ليس مهمًا هدم الموصل المهم سلامة المدن العربية. ليس مهما بيوتنا بل المهم بيوت العرب. وحتىٰ بعد بناء مدننا وبيوتنا نعود مرة أخرى للقيام بدورنا كعرب وليس كعراقيين، وهو حماية البوابة الشرقية من إيران. لهذا لا يوجد تذمر سني حتىٰ من التقارب الشيعي السعودي العلني مثل فتح مكاتب تجارية في البصرة والنجف وليس في الموصل والرمادي وهذا الغزل البراغماتي بين الطرفين.

نحن نرضىٰ بالقليل جدا من المملكة حالنا حال جميل بثينة ونضحي بكل شيء في سبيل العرب. حتىٰ لو كان معنىٰ التقارب الشيعي السعودي في العراق هو أنهما حلفاء كتب الله لهما النصر علىٰ داعش والإرهاب وأن المهزوم في الحقيقة هو نحن سنة العراق.

حمّة الهمامي: حكومة الشاهد تكرر أخطاء الترويكا

النهضة متمسكة بالتحالف مع نداء تونس لتحمي نفسها من الرياح العاصفة بالإسلام السياسي

وسام حمدي
كاتب تونسي

❏ **تونس** – بين يناير 2011 و2018، سبع سنوات انقضت على اندلاع أحداث 14 يناير 2011، والتي أفضت إلى سقوط نظام زين العابدين بن علي في تجربة ألهمت المنطقة الإقليمية وألهبتها. نجحت تونس في أن تكون الاستثناء وأن تبقى كذلك مقارنة بما شهدته مصر وما يعيشه اليوم اليمن وسوريا وليبيا.

شهدت تونس عمليات انتقال سلمي للسلطة، بما في ذلك جولتان من الانتخابات الرئاسية والبرلمانية. وحافظت على صورتها باعتبارها النموذج المضيء في حلقة الربيع العربي، رغم أن السنوات السبع الماضية لم تكن سهلة على التونسيين والبلاد في ظل التهديدات الإرهابية والأزمة الاقتصادية التي أثقلت ظهرهم والاحتقان الاجتماعي الذي تغذيه وسائل الإعلام وتصريحات المسؤولين وتبادل الاتهامات بين قوى المعارضة ونظيرتها في السلطة.

> لا نقبل أي دروس من حركة النهضة الإسلامية في التمدن لأن تحركاتنا متحضرة ولا نستعمل العصي ولا ماء النار ولا التفجيرات لتحقيق أهدافنا

وفي لقاء مع "العرب" قدّم زعيم حزب العمال التونسي والناطق الرسمي للجبهة الشعبية حمّة الهمامي تصوّرات ومواقف الجبهة ممّا تعيش على وقعه البلاد من احتقان وخاصة أسباب إصرارها على تحريك الشارع التونسي للاحتجاج على خيارات الحكومة والائتلاف الحاكم الاقتصادية، عشية الذكرى الثامنة لثورة 14 يناير 2011.

الوضع على حاله

بعد سبع سنوات، تجد تونس نفسها في خضم احتجاج اجتماعي يرفع الشعارات ذاتها التي رفعتها الثورة "عمل، حرية، كرامة وطنية" وسط شعور الكثير من التونسيين باليأس من تحسن ظروف عيشهم دفعتهم إلى الخروج إلى الشارع من جديد عشية ليرفعوا أصواتهم دون خوف، وهو المكسب الوحيد الذي خرجوا به من هذه الأحداث، ضد تطبيق ميزانية 2018 التي نصت على رفع "مؤلم" للأسعار لكنه ضروري لتقليص العجز الاقتصادي، بحسب الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي.

وتطورت الأحداث إلى مظاهرات وأعمال عنف واعتقالات وتبادل للاتهامات بين الأحزاب السياسية. وأنحت الحكومة باللائمة على المعارضة و"مخربين" في تأجيج الاضطرابات وهو اتهام نفته المعارضة. وحدث الصدام الأبرز بين رئيس الحكومة يوسف الشاهد والجبهة الشعبية.

ووجّه رئيس الحكومة التونسية يوسف الشاهد أصابع الاتّهام للجبهة الشعبية بالضلوع في التحريض على الفوضى والعُنف، معتبرا أن موقفها من قانون المالية غير مسؤول، ليرد الناطق الرسمي باسم الجبهة بقوله إن "يوسف الشاهد ارتكب خطأ اقترفه من قبله رؤساء حكومات متعاقبة أمثال حمادي الجبالي وعلي العريض والحبيب الصيد الذين حاولوا مغالطة الشعب وإلهاءه عن مطالبه الشرعية عبر إلصاق تُهم كيدية للجبهة الشعبية لا صلة لها بالواقع".

ودعا زعيم حزب العمال المسؤولين بمصارحة الشعب بأنّ الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في البلاد زادت في التردّي بسبب اقتصار خيارات الحكومة على تنفيذ إملاءات صندوق النّقد الدولي.

وفي الوقت الذي سيطرت فيه الحكومة التونسية على الوضع خصوصا عبر تعزيز تمركز القوات الأمنية والعسكرية في مختلف أنحاء البلاد، تُصر العديد من الأحزاب ومنظمات المجتمع المدني مثل الجبهة الشعبية أو حملة "فاش تستناو" (ماذا تنتظرون؟) على التصعيد بخطاب قد يفضي إلى تغيير حكومي على أعلى مستوى.

وأكّد حمّة الهمامي أنّ الجبهة الشعبية تتعامل بكل مسؤولية مع كل التطورات التي تشهدها البلاد، مشدّدا على أنّ بعض الأطراف وفي مقدّمتها أحزاب الائتلاف الحاكم مازالت لم تتخلّص من إرث السياسات الاتّصالية لنظام الرئيس الأسبق زين العابدين بن علي عبر محاولتها كبت أصوات المحتجين وتوجيه الرأي العام إلى حقيقة مغلوطة مفادها أن ما يحصل لا يعدو أن يكون سوى أعمال عنف وتخريب وليس احتجاجا على واقع بائس ودون النظر في الأسباب الحقيقية للمطالب الشعبية المشروعة.

وفي ردّه على ما تُتّهم به الجبهة الشعبية بعدم وضوح المواقف ممّا عرفته الاحتجاجات من أعمال عنف وفوضى، قال الهمّامي "لا للمزايدات على الجبهة الشعبية التي لا تناضل ولا تتحرك إلا في إطار سلمي مدني يكفله الدستور، موقفنا ثابت ونندّدنا منذ أول يوم انطلقت فيه الاحتجاجات بكل أعمال التخريب ونكرّر نحن ضدّ أي عنف وضدّ كل من يتحرّك خارج القانون".

وأضاف "نقولها بوضوح سنواصل دعم الاحتجاجات السلمية إلى غاية التراجع عن إجراءات قانون المالية المجحفة في حق ضعاف الحال، كما أننا لا نقبل أي دروس من حركة النهضة الإسلامية في التمدّن لأنّ كل تحركاتنا متحضّرة ولا نستعمل فيها لا عصي ولا ماء فرق (ماء النار) ولا تفجيرات".

وتصف الأحزاب المكونة لحكومة الوحدة الوطنية تحرّكات الجبهة الشعبية بـ "اللاّمسؤولة" على اعتبار أنّها كانت من المصوّتين في البرلمان على الفصل 39 من قانون المالية لعام 2018 والمتعلق بالترفيع في نسب الأداء على القيمة المضافة والذي يعتبر من أهم الإجراءات التي يطالب المحتجون بمراجعتها.

وردّ الناطق الرسمي للجبهة الشعبية على هذا الموقف قائلا "اعتدنا مثل هذه الممارسات المغلوطة من حكام تونس. الجبهة الشعبية عارضت قانون المالية وصوتّت لإسقاطه برُمته وكل مداولات لجنة المالية أو الجلسة العامة في مجلس نواب الشعب دليل على عدم وقوعنا في أي تناقض تتعلّل وتتبجّح به السلطة الحاكمة ومساندوها".

انتقادات للرئيس وللنهضة والنداء

منذ انبعاثها في العام 2012 تتّهم الجبهة الشعبية أيضا من قبل كل من حكموا البلاد عقب ثورة يناير بـ"المعارضة الهدامة" "وبرفع شعار "نحن ضدّ" دون تقديم أي بدائل واقعية لحلحلة أزمات البلاد. وردّ حمّة الهمامي على ذلك بقوله إن "كل الحكومات المُتعاقبة انتهجت نفس الخطاب في محاولة لإقحام المعارضة في فشلها، وليتذكّر النهضة والنداء أنهما أغرقا تونس في بحر من الوعود الزائفة خلال الحملات الانتخابية"، مضيفا "من يتحمّل نتيجة الفشل من يحكم أم من يُعارض؟".

وأضاف الهمامي "لا يمكن مُحاسبة الجبهة الشعبية على ما يحدث في البلاد من تأزّم وفشل في إدارة الملفات الاقتصادية والاجتماعية وهي خارج منظومة الحكم. ورغم ذلك كنا قد نبّهنا في أكثر مرة من خطورة السياسات الاقتصادية التي ينتهجها الائتلاف الحاكم وقدمنا عدة مقترحات عملية، فالجبهة ستنفذ برامجها حين تكون في الحكم". واعتبر أنّه من الصعب التقاء الجبهة الشعبية مع من يحكم تونس اليوم على اعتبار أن هناك اختلافات عميقة في كل شيء وخاصة في منوال التنمية الذي "لم يتغيّر وكرّس نفس توجّهات بن علي بسبب إنفراد ائتلاف يميني بالسلطة".

وحول التطور الأخير في علاقة حزبي الحكم النهضة ونداء تونس بعد أن أعلن الأخير عن فك تحالفه بالأول، قال الهمّامي إن "النهضة والنداء يتحمّلان مسؤولية الفشل بعد أن غالطا الشعب في الحملة الانتخابية في عام 2014 ومن ثم تحالفا لاقتسام السلطة".

وتساءل عن نوعيه الطلاق "المغشوش" بين الحزبين طالما أنّهما يحكمان جنبا إلى جنب في حكومة لا هدف لها سوى التضحية بالأجراء وضعاف الحال، مشيرا إلى أن النهضة هي الأكثر تمسّكا بالتحالف بسبب مخاوفها من أن تشملها الرياح الإقليمية التي عصفت بالإسلام السياسي وأظهرته على حقيقته.

ثابت في موقع المعارضة

وشدّد زعيم حزب العمال على أن حركة النهضة لم تقف تاريخيا منذ أن كانت تُسمى بحركة الاتجاه الإسلامي في صفّ الشعب أو في صفّ مطالبه الاجتماعية المشروعة.

وبدوره، كان الرئيس الباجي قائد السبسي محل انتقاد لاذع من قبل حمّة الهمامي الذي تساءل "أين اختفى رئيس البلاد؟ ولماذا لم يظهر لمصارحة الشعب بحقيقة الوضع؟".

وأرجع الهمامي أسباب عدم ظهور السبسي إلى فرضيتين، إمّا لإقراره بعجز وفشل الحكومة التي كان هو من هندسها وإما لما يدور في الكواليس السياسية حول وجود حرب خفية بين القصبة (مقر الحكومة) وقرطاج (قصر الرئاسة) أجّجتها إمكانية أن يصبح يوسف الشاهد منافسا في الانتخابات الرئاسية القادمة.

وأضاف أن "الرئيس الضامن للدستور وللحقوق الاقتصادية والاجتماعية في البلاد وكان عليه الخروج للدفاع عن خيارات حكومة كان وراء تشكيلها عبر مبادرته التي تُسمى بحكومة وحدة وطنية".

أثار حرق مقر حزب العمال بمنطقة العروسة التابعة لمحافظة سليانة (مسقط رأس الهمامي) جدلا واسعا في الساحة السياسية التونسية خصوصا وأن بعض قيادات الجبهة أكّدت أنّ في هذا العمل رسالة تهديد واضحة لاغتيال حمّة الهمامي. وفي علاقة بتطوّرات هذه القضية، أشارت تقارير إعلامية تونسية السبت إلى أن رئيس الحكومة يوسف الشاهد أذن لوزير الداخلية لطفي براهم بفتح بحث تحقيقي في ملابسات الحادث.

وفي حديثه عن هذه التطورات، قال الهمامي "لا نهرول لاتهام أي طرف، سننتظر ما ستؤول إليه التحقيقات". وختم مؤكدا "رغم تصاعد وتيرة التحريض ضدّي وضد الجبهة الشعبية على غرار ما حدث مع الشهيدين شكري بلعيد ومحمد البراهمي، فإني لا أخشى الاغتيال، أنا أتحرك بكل حرية رغم نزع الحماية الأمنية عني من قبل رئاسة الجمهورية. لا أخشى الموت وإذا متّ فإني سأغادر الحياة وأنا أدافع عن مبادئ تخدم مصلحة الشعب وليس رافعا سلاح الإرهاب ضدّ البلاد".

تونس.. أبعد من الاحتجاج

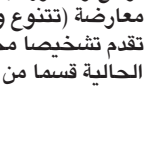

عبدالجليل معالي
كاتب تونسي

❏ الأسابيع الأخيرة في تونس كانت موسومة بالاحتجاجات والتوترات الاجتماعية على خلفية ما صدر، وما قد سيصدر، من قرارات متصلة بإجراءات "موجعة" اضطرت إليها البلاد، أو دفعت إليها دفعا، بعد وصول الاقتصاد إلى تردّ غير مسبوق.

قد تبدو الأزمة، وما صاحبها من احتجاج وتراشق بالتهم أزمة اجتماعية ذات دوافع اقتصادية، لكن التعريف الحقيقي للأزمة ومفهومها، سياسي صرف وإن اتخذ تعبيرات مختلفة.

منذ أشهر، ومنذ بدأ قانون المالية الجديد يفرجُ عن أسراره، أجمعت كل القراءات، بما في ذلك القريبة من السلطة، على أن بداية العام الجديد ستكون صعبة وحافلة بالاحتجاج. هذه المقاربة لم تكن تعني أن السلطة، كانت مطالبة بالتراجع مسبقا على قانون قدّرت أنه سيمثل المخرج لمأزق اقتصادي تردت فيه البلاد، ولكن ذلك يعني أن السلطة كانت مدعوة لأن تقرأ الصلة بين محتوى قانون تعتزم وقتذاك إقراره، وبين ردود الأفعال الشعبية المترتبة عليه، وفي التاريخ التونسي المعاصر دروس كثيرة.

المدخل الآخر لمواجهة القول إن الأزمة سياسية صرفة هو أن الجدال الذي رافق المداولات النيابية حول قانون المالية، وما جاوره من تشريعات قال صانعوها إنها ستخرج البلاد من الأزمة، كان عنوانه الرئيس الصراع بين سلطة (ائتلاف حاكم نواته حزبا النهضة والنداء) تريد فرض تشخيصها لواقع وتصوراتها للخروج من الأزمة، وبين معارضة (تتنوع وتختلف حسب السياقات) تقدم تشخيصا مختلفا للأزمة يحمل السلطة الحالية قسما من المسؤولية في التردي الحاصل، وتقترح لذلك تصورات مختلفة ومنوال تنمية مغاير.

إقرار الزيادات (مع كل ما رافقها من تأويلات لغوية وخصومات حول مفهوم المواد الأساسية) ثم اندلاع الاحتجاجات، لم تكن سوى الجزء الظاهر من الأزمة.

الأزمة سياسية، وتتصل بمفهوم الحكم والمعارضة في تونس، وترتبط بشكل النظام السياسي القائم، وتحيل كذلك على ما ورثته الحكومة القائمة من سابقاتها وتطرح الأسئلة عن الفروقات بين الحكومات المتعاقبة، على الأقل في مستوى التعاطي مع الجروح الاقتصادية والتنموية الغائرة، والتي يُتصدى لها دائما بذات الأساليب، مع انتظار نتائج مغايرة.

قد تبدو الزيادة الأخيرة في الأسعار سببا كافيا ووجيها لاندلاع الاحتجاجات. وهذا الإقرار لا يطال إلا قسما يسيرا من الحقيقة المركبة. وهو أيضا تناول كسول ومتهافت للقضية لا يختلف كثيرا عن اعتبار الأزمة القائمة اقتصادية بالأساس.

السبب العميق لاندلاع الاحتجاج، هو أن البلاد مقدمة على الإفلاس. والإفلاس بدوره ظاهرة مركبة نتجت عن عقود من الارتجال في السياسة الاقتصادية، وتزايد استفحالها في السنوات الأخيرة، جراء التعويضات الكبيرة التي كوفئ بها المناضلون ممن ارتضوا بيع نضالهم مقابل اعتمادات تحتاجها البلاد.

إفلاس البلاد نتج عن التردد في إعلان الحرب على التهرب الضريبي والأيادي المرتعشة في ضرب الاقتصاد الموازي وغياب الإرادة السياسية في إعلان إصلاح حقيقي للمالية العمومية وترشيد النفقات؛ والإفلاس يترتب أيضا على تسيير التعاملات الاقتصادية الخارجية بمنطق الولاءات الأيديولوجية؛ والإفلاس ينتج عن الإرهاب الذي عطل الإنتاج وكبّل السياحة ووأد الاستثمار.

الربط بين هذه المظاهر وغيرها، وبين الطبقة السياسية الحاكمة يؤدي إلى القول إن الحكومة، أي حكومة، التي تعجز عن طرق الأبواب الحقيقية للحل، لن يكون بوسعها مطالبة الآخرين بطرقها. المبدأ السياسي البديهي أن السلطة تتحمل نتائج خياراتها السياسية، وتحاسب عليها إما بانصراف الناخبين وإما بغضب المحتجين. وفي المآلين لا يمكن تحميل الخصم السياسي مسؤولية الخيارات التي تصر عليها السلطة رغم ثبوت عقمها.

هنا مفارقة مفادها أن الائتلاف الحاكم في تونس يتصرف وفق ثنائية تأميم الأرباح وخوصصة الخسائر، أي أنه يريد نسب الإنجازات لنفسه وتقاسم الكوارث والخسائر المترتبة على فشله أو ربما تحميلها لغيره.

دليل آخر على أن الأزمة أعمق من مجرد زيادات أسعار واحتجاج شعبي، يكمن في تلك الحملات من تأثيم الاحتجاج. وهي أيضا مفارقة أخرى تتمثل في الاتفاق النادر الغريب بين أنصار النهضة والنداء على تشويه الاحتجاج بتعلات الدفاع عن مصلحة البلاد.

تضافر هذه العوامل، إضافة إلى حرق مقر حزب العمال بإحدى مدن محافظة سليانة، يحيل إلى أن أمر الاحتجاج لم يترك لسيره الطبيعي السليم في المناخ الديمقراطي، (إذا افترضنا الإجماع حول رفض التخريب والحرق واعتباره خارج سياقات الاحتجاجات المدنية السلمية)، بل تم الانزياح نحو اعتباره ضربا من خيانة البلاد والتآمر مع أطراف خارجية لا تريد للبلاد خيرا، وهو كلام يذكر بالقاموس المعتمد لدى الأنظمة القائمة على منطلقات عقائدية ودينية.

تشويه الاحتجاج الذي انطلق من كونه يضر باقتصاد البلاد، واستند على تهوين أو تقليل من قيمة وأثر الزيادات، لم يكن تشويها باحثا في حقيقته وعمقه عن مصلحة البلاد، بل كان ركونا على الانتماء الحزبي، وفي الذاكرة مساهمة نشيطة للحزبين الأساسيين في الائتلاف الحكومي في احتجاجات سابقة، سواء بالدعم أو بالمشاركة، وسواء في الاحتجاجات النهارية أو الليلية، بل إن بعض الاحتجاجات السابقة لم تكن بنفس وجاهة الاحتجاجات الحالية.

القول إن الاحتجاج يهدد مسار الانتقال الديمقراطي أو أنه لا يجوز الدعوة إلى إسقاط نظام ديمقراطي قول ضعيف ومتناقض، لأن الديمقراطية لا تقوم فقط على الانتخاب بل هي مناخ سياسي وإعلامي واجتماعي متكامل يقبل الموقف الناقد والرافض، بل إن الاحتجاج السلمي هو أحد مظاهر صحة أي نظام ديمقراطي.

الأزمة في تونس لا تحتمل المزيد من إدارة الظهر للحقيقة، والحقيقة التي لا تحبذ الحكومة التونسية سماعها تتمثل في أن ما ينقص البلاد هو إرادة سياسية شجاعة تطرق الأبواب الحقيقية للحل، وتفادي تكرار الحلول القديمة التي ثبت عقمها. أما نقاش معنى الاحتجاج وشكله وتوقيته، أو الجدل حول مفهوم المواد الأساسية التي خضعت للزيادة، فهو نقاش عقيم لن يؤدي سوى إلى المزيد من تعميق الأزمة.

في السياسة طرف يحكم ويتحمل مسؤولية حكمه وخياراته، وطرف يعارض ويبحث عن هنات الحاكم بل يسعى إلى إسقاطه، والفيصل هو مصلحة الوطن لا مصلحة الأحزاب، وفي مصلحة الأحزاب انتماء أيديولوجي أو عقائدي لا يبقي ولا يذر.

تونس: التطورات السياسية والاضطرابات الاجتماعية منذ سقوط بن علي

عقل استراتيجي لبناني يقلّد مشية جنبلاط لكنه يخسر

سمير جعجع
غلطة «الحكيم» بألف

صلاح تقي الدين

لم يخطئ "الحكيم" يوما في قراءة التبدّلات السياسية التي لفحت بالساحة اللبنانية. حافظ على مبادئه وثوابته التي دفع ثمنها سجنا لمدة 11 عاما وحيدا من بين نظرائه من "أمراء الحرب". غير أنه ارتكب "غلطة فادحة" دفع بها شريك دربه الحريري ورفاقه في "ثورة الأرز" إلى القبول باختيار عون رئيسا للجمهورية، وها هو يدفع ثمن هذه الغلطة اليوم عبر محاولات عزل واستفراد وهيمنة.

> جعجع الذي خرج من السجن في العام 2005 لم يعد نفسه العسكري المقاتل الذي دخله قبل 11 عاما. لقد كانت هذه التجربة المريرة بالنسبة إليه بمثابة مدرسة تعلم منها طول الصبر والأناة. لقد غرق في قراءة الكتب التاريخية والسياسية والاجتماعية التي أكسبته فكرا استراتيجيا تجلى بوضوح بعد استعادته نشاطه السياسي

إنه قائد القوات اللبنانية سمير جعجع الذي ولد في عين الرمانة إحدى ضواحي بيروت لعائلة مسيحية أصلها من بلدة بشرّي الشمالية في العام 1952. والده فريد كان رتيبا في الجيش اللبناني. انضم في شبابه إلى حزب "الكتائب" الذي كان يتزعمه النائب الراحل بيار الجميل، وباشر بدراسة الطب في الجامعة الأميركية في بيروت، إلا أنه ترك دراسته إثر بدء الحرب الأهلية عام 1975 وانتقل إلى جامعة القديس يوسف في الضواحي المسيحية لبيروت، وسرعان ما ترك دراسته مجددا في عام 1976 ليشارك في القتال ضد التنظيمات الفلسطينية وقوات "الحركة الوطنية اللبنانية".

توحيد البندقية المسيحية

بعد أن خاض الرئيس الراحل بشير الجميل معركة "توحيد البندقية المسيحية"، انضم جعجع إلى "القوات اللبنانية" التي أنشأها الجميل وطلب منه قيادة المجموعة المسلحة المكلفة باغتيال النائب والوزير الراحل طوني فرنجية في أهدن.

وتوالت مغامرات جعجع العسكرية حيث قاد "القوات اللبنانية" في حربها ضد مناطق الجبل الدرزية وقوات "الحزب التقدمي الاشتراكي" والتي انتهت بخسارة "القوات" والتفاوض على انسحاب جعجع مع مجموعة من مسلحيه إلى ساحل الشوف، حيث انتقل بعدها بحرا إلى المنطقة الشرقية التي كانت تعاني من اغتيال الرئيس بشير الجميل، وعدم الاستقرار، ليتربّع على كرسي قيادة "القوات اللبنانية" التي تناوب على رئاستها مقاتلون من رفاقه هم فادي أفرام، فؤاد أبوناضر، وصولا إلى تولي النائب والوزير الراحل إيلي حبيقة.

وبعد وفاة بيار الجميل، الرئيس المؤسس لـ"حزب الكتائب" في صيف 1984، تفاهم جعجع مع إيلي حبيقة على الانقلاب في 12 مارس 1985 على الرئيس أمين الجميل الذي تولى رئاسة "الكتائب" وبعد إصرار حبيقة على حدّ أدنى من الهرمية داخل "القوات" أدت إلى انتخابه رئيسا لهيئتها التنفيذية، تفاهم جعجع مع الجميل حول الانقلاب في 15 ديسمبر 1986 على حبيقة، بحجة إسقاط "الاتفاق الثلاثي" الذي كان حبيقة قد وقعه مع رئيس حركة "أمل" الرئيس نبيه بري ورئيس "الحزب التقدمي الاشتراكي" النائب وليد جنبلاط، في دمشق وبرعاية سورية.

مع وقوع حادثة اغتيال الرئيس رشيد كرامي، توجهت أصابع الاتهام مجددا إلى جعجع، لكن الانقسام الذي كان يعاني منه لبنان في تلك الفترة منع عنه أي ملاحقة قضائية أو قانونية في هذا الملف، غير أن مفاعيل الاغتيال ظلت نائمة في أدراج معارضي جعجع بانتظار الفرصة المناسبة للانقضاض عليه.

ومع العماد ميشال عون، الذي عيّنه أمين الجميل رئيسا لحكومة عسكرية كانت مهمتها الأولى والأخيرة إجراء الانتخابات الرئاسية وتسليم مفاتيح السلطة إلى رئيس دستوري منتخب، واجه جعجع عون الذي كان يحلم بالوصول إلى كرسي الرئاسة بعدما عطّل كل محاولات انعقاد المجلس النيابي وكانت نشوة السلطة قد تملكته، فلما اطمأن إلى عدم إمكانية انعقاد المجلس النيابي في جلسة لاختيار رئيس جديد، توجهت أنظاره صوب "القوات اللبنانية" التي اعتبر أنها منافسه الأول والأكثر خطورة على طموحاته، فشن عليها ما عرف بـ"حرب الإلغاء" انقطعت معها كل وسائل التواصل مع جعجع الذي صمدت قواته ولم ترضخ لعون والجيش اللبناني الذي كان الضحية الأكبر لهذه المعركة المدمّرة والخاسرة في جميع الأحوال.

المتهم الأعزل

مع وصول الضوء الأخضر الإقليمي والدولي، توجه أعضاء المجلس النيابي المنتخب منذ العام 1972 إلى مدينة الطائف في المملكة العربية السعودية، رغم كل محاولات المنع وحجز الحرية والخطف التي مارسها ضدهم عون، لثنيهم عن التوصل إلى اتفاق ينهي الحرب الأهلية ويعيد توحيد البلد المنقسم، وبالتالي الانقضاض على سلطته المؤقتة من خلال التوصل إلى انتخاب رئيس جديد للبلاد.

كان جعجع من أشدّ المؤيدين لمؤتمر الطائف الذي أنهى الحرب الداخلية ونص على تسليم كل الميليشيات اللبنانية أسلحتها فاستجابت "القوات اللبنانية" وقرّر جعجع بعدها الانتقال للعمل السياسي، خصوصا أن معارضة عون للطائف ولانتخاب النواب لرئيس جديد هو الشهيد رينيه معوض، كانت نتيجتها دخول القوات السورية إلى المناطق المسيحية والإطاحة بعون الذي فرّ إلى السفارة الفرنسية القريبة من قصر بعبدا ومنها إلى المنفى الفرنسي الذي استمر طيلة خمسة عشر عاما.لكن أثناء الدخول السوري إلى لبنان، وقع ما لم يكن في الحسبان حيث اغتيل زعيم حزب "الوطنيين الأحرار" داني شمعون وزوجته وولداه في منزلهم ببعبدا، في عملية أجمع اللبنانيون على إدانتها إذ أنها طالت امرأة مع ولديها وبطريقة وحشية لم تسجل حتى في عزّ الحرب الأهلية، وتوجهت مرة أخرى أصابع الاتهام إلى جعجع.

وبعد اغتيال الرئيس معوض وانتخاب الرئيس الراحل إلياس الهراوي رئيسا، أصدر الأخير قانون عفو عام عن كل الجرائم المرتكبة خلال الحرب الأهلية، وهو ما أسقط جميع الملاحقات القضائية المفترضة بحق جعجع عن الجرائم التي قيل إنه ارتكبها أو أوعز بارتكابها، فاستقرت حياته نسبيا واقترن بزوجته النائبة ستريدا طوق جعجع في العام 1990، لكن النظام السوري، العدو الرئيسي لجعجع، كان قد أحكم قبضته على

مفاصل الحياة السياسية في لبنان، وحاول محاصرته بشتى الوسائل ودفعه إلى "الاستسلام السياسي" من خلال تعيينه وزيرا في حكومة الرئيس الراحل عمر كرامي، لكن قائد "القوات" ظل على ثوابته ورفض التعاون مع سلطة الاحتلال والوصاية ورفض الوزارة.

ثمن الموقف

رفض جعجع التعاون مع السوريين وأدواتهم اللبنانية لم يكن ليمر على خير. إذ جاءت حادثة تفجير كنيسة "سيدة النجاة" الذي يقول جعجع إنها تمّت بتدبير من سلطة الوصاية والاحتلال السوري للإيقاع به، لتكون الشعرة التي قصمت ظهره بعد أن اتهم بالوقوف خلفها، فتم اعتقاله في العام 1994.

ورغم تبرئته من قضية الكنيسة، إلا أن المجلس العدلي الذي حاكم جعجع أعاد فتح القضايا السابقة الموجودة بحقه وحكم عليه بالإعدام بعد إدانته باغتيال كرامي واتهامه باغتيال داني شمعون وعائلته، لكن الرئيس الراحل الهراوي خفّف حكم الإعدام الصادر بحق جعجع إلى الأشغال الشاقة المؤبدة قبل أن يخرج في العام 2005 بقانون عفو صادق عليه المجلس النيابي.

جعجع الذي خرج من السجن في العام 2005 لم يعد نفسه العسكري المقاتل الذي دخله قبل 11 عاما. لقد كانت هذه التجربة المريرة بالنسبة إليه بمثابة مدرسة تعلّم منها طول الصبر والأناة. لقد غرق في قراءة الكتب التاريخية والسياسية والاجتماعية التي أكسبته فكرا استراتيجيا تجلّى بوضوح بعد استعادته نشاطه السياسي.

لقد شكّلت صلابة جعجع في مواقفه السياسية المبدئية، قاعدة استمال إليها حتى من كانوا من أعدائه في السياسة خلال فترة الحرب الأهلية، لقد كان يعتبر ولا يزال سوريا ونظامها الموروث من الأب إلى الابن حالة ينبغي التعامل معها "من الند إلى الند"، وعدم الانصياع لرغبات وأوامر قيادتها الموجهة إلى الداخل اللبناني حفاظا على سيادة واستقلال لبنان، وبذلك جذب جعجع جميع من كانوا يعارضونه الرأي ولم يذهب إليهم. ولهذا كان انضمامه إلى ثورة 14 آذار وتشكيله مع وليد جنبلاط وسعد الحريري المثلث القوي على رأس قيادتها، قاعدة انسحبت على مواقف الآخرين المناهضين لسوريا خصوصا.

لكن غريم جعجع السابق العماد ميشال عون، الذي كان قد استثني من التحالف العريض الذي تشكّل لخوض الانتخابات النيابية في العام 2005، جنح باتجاه عقد تفاهم مع "حزب الله" تحوّل معه إلى غطاء مسيحي داخلي كان الحزب يرغب في الحصول عليه لتشريع سلاحه. ومع الحرب التي شنّتها إسرائيل ضد الحزب ولبنان في يوليو 2006، برز عون و"التيار الوطني الحر" كأبرز مدافع عن المقاومة وسلاحها.

وبوجود جعجع في ذلك المثلث المعارض، تمكن من صوغ علاقات عربية جيدة جعلته يلقى استقبال الملوك والرؤساء لدى زياراته إلى السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة ومصر ويحظى بمكانة متقدمة لدى قياداتها، ناهيك عن أن خوض حزب "القوات اللبنانية" الانتخابات النيابية وفوزه بعدد من المقاعد في المجالس النيابية المتعاقبة منذ العام 2005، أتاحا له الانضمام إلى الحكومات والانخراط في السلطة التنفيذية بعدد من الوزراء نالوا احترام جميع القيادات السياسية لتمتعهم بنظافة الكف والنزاهة وابتعادهم عن ملفات الفساد التي أصابت جميع باقي الفرقاء السياسيين دون استثناء.

مع انتهاء ولاية الرئيس السابق ميشال سليمان في العام 2014، كان جعجع مرشح "14 آذار" إلى الرئاسة في حين أن "حزب الله" رشّح ميشال عون، وظل متمسكا بهذا الترشيح، يعطّل نصاب المجلس النيابي إلى أن حصلت التسوية الكبرى التي أوصلت عون إلى الرئاسة في العام 2016. وفي سياق هذه الانتخابات ارتكب جعجع "غلطته الكبرى".

لقد ظلّ فريق "14 آذار" متمسّكا بترشيح جعجع مدعوما من الدول العربية مقابل تمسّك "حزب الله" بترشيح عون، وأدى هذا الأمر إلى وقوع البلاد في أزمة فراغ في الرئاسة الأولى بدأت انعكاساته تلفح عمل باقي المؤسسات الدستورية، فحاولت جميع القوى السياسية الفاعلة الوصول إلى تسوية لإنهاء هذا الوضع الشاذ الذي كاد أن يطيح البلاد برمتها.ومن هذا المنطلق، حاول الحريري القيام بمساع إنقاذية تجلت باتصالات سرية وأخرى علنية شملت النائب سليمان فرنجية، والذي ينتمي إلى فريق "الممانعة" نفسه الذي يقوده "حزب الله" ويضم إليه عون. وأعلن الحريري عن مبادرته بترشيح فرنجية إلى الرئاسة لكسر الجمود وإنهاء الفراغ الرئاسي ظنا منه أن هذا الأمر سيلقى قبول رفاقه في 14 آذار.

ورغم أن جنبلاط الذي كان أعلن انسحابه من 14 آذار في منتصف العام 2009، فإنه سارع إلى الترحيب بهذه المبادرة واستضاف فرنجية في منزله في كليمونصو للإعلان عن تأييده له في الانتخابات الرئاسية.

لكن رياح الحريري لم تسر كما تشتهي سفنه، فكان جعجع قد عقد العزم على مواجهة هذه المبادرة من خلال "اتفاق معراب" الشهير الذي وقّعه مع عون وأعلن بعدها تبنّيه ترشيح عون إلى الرئاسة. لقد صدم موقف جعجع الكثيرين وبخاصة رفاقه في "ثورة الأرز" ورغم جميع التجارب المرة السابقة التي خاضها مع عون، إلا أن جعجع بدا مصمما أكثر من أي وقت مضى على "إنهاء الحروب المسيحية" الداخلية، وإيصال رئيس "مسيحي قوي" إلى بعبدا، ربما طمعا في احتمال أن يتحوّل مع نهاية ولاية عون إلى "المسيحي القوي" وضمان انتخابه رئيسا أيضا.

حرب الإلغاء الثانية

أقنع جعجع الحريري بالسير بالتسوية، فكان أن أوكل زعيم "تيار المستقبل" إلى مدير مكتبه نادر الحريري الدخول في مفاوضات مع رئيس "التيار الوطني الحر" الوزير جبران باسيل أفضت إلى تسوية ضمنت فوز عون بالرئاسة والحريري برئاسة الحكومة. ولكأنّ جعجع في انعطافته تلك يحاول تقليد المدرسة السياسية الجنبلاطية، لكنه لم يكن يتوقع أن النتائج ستكون مغايرة لما طمح إليه.

> النظام السوري يعد العدو الرئيسي لجعجع. فبعد أن كان قد أحكم قبضته على مفاصل الحياة السياسية في لبنان، حاول محاصرته بشتى الوسائل ودفعه إلى «الاستسلام السياسي» من خلال تعيينه وزيرا في حكومة الرئيس عمر كرامي، لكن قائد «القوات» ظل على ثوابته ورفض التعاون مع سلطة الاحتلال والوصاية ورفض الوزارة

لكن آمال جعجع من هذه التسوية و"اتفاق معراب" سقطت مع مرور الأيام التي تلت وصول عون إلى الرئاسة والحريري إلى الحكومة، فها هو باسيل يتفرّد في التعيينات الدبلوماسية والإدارية والعسكرية والقضائية على حساب "القوات"، ورغم معارضة وزراء القوات في الحكومة لمشاريع وصفقات يتقدّم بها وزراء عون وشركاؤه، فإن هذه المعارضة تقسط أمام القرارات التي تصدر بالمصادقة على المشاريع والصفقات من قبل الحكومة والرئيس عون.

وزاد في الطين بلّة أن حدة الخلافات بين "القوات" و"العونيين" صارت مواضيع تحليلات صحافية ومقابلات تلفزيونية بدا ظاهرا أن الخاسر فيها كان جعجع و"القوات" حتى أن الحريري الذي كان يفترض أنه "الحليف الذي لن يفرقه عن جعجع سوى الموت" أصبح منحازا إلى عون في جميع قراراته حتى تلك التي تستهدف جعجع والقوات.

ربما تكون الأزمة التي مرّ بها الحريري ومسألة "استضافته الاستثنائية" على ما وصفها جنبلاط، وتصاريح جعجع التي أعقبت تقديم الحريري لاستقالته، قد شكّلت مادة "دسمة" للعتب الكبير الذي يحمله الحريري ضد جعجع، غير أن ما لا يمكن أن يغفر لجعجع هو أن تجربته الشخصية مع عون كان يجب أن تكون ركيزة في قناعته بأن الأمور لن تسير على ما يرام بينهما وأن "حرب الإلغاء" سوف تشن ضده مجددا، بطريقة "سياسية" وليس "عسكرية" كما في السابق.

● موقف جعجع المعارض لترشيح سليمان فرنجية العدو اللدود له للرئاسة يمكن تفهمه. لكن أن يتراجع عن ترشيح نفسه ويتبنى ترشيح عون، فذلك لا يصب إلا في خانة "الكيدية".

● أزمة استقالة الحريري وتصريحات جعجع التي أعقبتها، تشكل مادة "دسمة" للعتب الكبير بينهما، غير أن ما لا يمكن أن يغفر لجعجع هو أن "حرب الإلغاء" سوف تشن ضده مجددا.

من الماء وإليه

ثائر هلال

الرسام الذي غمرنا برخاء عاطفته

فاروق يوسف

❑ ما من أحد من الرسامين العرب يحرث سطوح لوحاته مثلما يفعل ثائر هلال. إنه كما يُخَيّل إليّ يعيد النظر مئات المرات في تلك السطوح قبل أن يصل إلى النتيجة التي تقنعه جماليا.

الرسم بالنسبة إليه فعل كدح يتنقل من خلاله بين التنقيب والتحليق.

يمكنه أن لا يتذكر اليوم الذي كانت فيه سطوح لوحاته ملساء تنعم برخاء تصويري باذخ. لقد تغير العالم من حوله ومعه تغيرت طريقته في النظر إلى ذلك العالم.

لم يعد الوصف كفيلا بالإجابة على الأسئلة الكبرى. فما حدث عميقا في الروح هو شيء أشبه بالجرح الذي يسعى هلال إلى استلهام صرخته.

يمكنك أن ترى في تكويناته التجريدية حطاما لمشاهد، آثار عربات وحقولا اضطربت عناصر بنائها.

> لوحاته تتميز بحجومها الكبيرة ويوحي مظهرها الخارجي بثقل وزنها. غير أن مهارة الفنان في التعامل مع المواد المختلفة الجديدة ساعدته على أن يجمع ما بين الخفة التي هي واحدة من أهم ركائز طريقته في النظر إلى الأشياء من خلال الرسم وبين الإيحاء بالثقل

لا يحرم هلال مشاهد لوحاته من متعة جمالية غير أنه في الوقت نفسه لا يخفي رغبته في أن يشرك ذلك المشاهد بألمه الذي يحضر ممتزجا بشعور عميق بالأسى لما يحدث للطبيعة من انتهاك هو الصورة المعلنة للخراب الذي يضرب الروح بعصفه.

أن يقال "رسام" في وصف المهنة التي يمارسها هلال فذلك قول يخون الحقيقة. مَن يزر محترفه الكبير وسط إمارة الشارقة سيجد نفسه في ورشة تختلط فيها أدوات مهن عديدة، وليس الرسم إلا واحدة من تلك المهن وقد تكون أقلها ظهورا.

غير أن خيال الرسام هو الذي ينظم العلاقة بين تلك الأشياء بطريقة تدفع إلى الشعور بالصفاء المريح. لوحاته تدعو إلى الاستفهام غير أنها لا تؤلم. حيرتها لا تخدش واضطرابها لا يخلخل. وهو ما يكشف أن الرسام مارس قدرا من الانضباط سمح له بوقاية مشاهدي أعماله من عدوى ألمه الشخصي الذي يظل ماثلا بالنسبة إلى القلة التي تعرف أن الجمال الفني لا يقع إلا بعد عناء.

فن ثائر هلال صعب لكنه في الدرجة الأولى من سلمه فن ممتع.

ولد هلال عام 1967 في ريف دمشق. عام 1991 تخرج من قسم الفنون البصرية في كلية الفنون الجميلة بدمشق. بعدها انتقل إلى الشارقة ليعمل في الصحافة مصمّما ومن ثم انتقل للتدريس في جامعة الشارقة، كلية الفنون الجميلة. نال جائزة بينالي الشارقة لعام 1997. وحصل على الجائزة الذهبية لبينالي الرسم المعاصر في طهران لاحقا.

المسحور بشفافية الماء

عام 2000 أقام معرضه الشخصي الأول في متحف الشارقة للفنون. ومن يومها وهو يحرص على إقامة معرض سنوي لأعماله وبالأخص حين أصبح بعد عام 2010 رساما معتمدا من قبل قاعة أيام السورية التي أقامت له معارض في دمشق وبيروت ولندن والقاهرة. قبلها كان الفنان قد عرض أعماله في غرين آرت بدبي وفي المركز الثقافي بأبوظبي.

شارك هلال في معارض ولقاءات دولية في كوريا الجنوبية وأبوظبي ودبي والإسكندرية وطهران وبنغلاديش.

تتميّز لوحاته بحجومها الكبيرة كما يوحي مظهرها الخارجي بثقل وزنها غير أن مهارة الفنان في التعامل مع المواد المختلفة الجديدة ساعدته على أن يجمع ما بين الخفة التي هي واحدة من أهم ركائز طريقته في النظر إلى الأشياء من خلال الرسم وبين الإيحاء بالثقل الذي تتمترس وراءه تضاريس المناطق التي يمرّ بها نهر خياله. ذلك النهر الذي لم تقف حيويته وراء الكثير من التحولات الأسلوبية التي مرّ بها فنه. ففي مرحلته الأولى التي يمكن أن أسميها بالمرحلة المائية كان هناك الكثير من المشاهد التي توحي بجريان النهر، إما مباشرة مشهدا تجريديا مستعارا من الطبيعة وإما من خلال سيلان الأصباغ على سطح اللوحة كما لو أن ذلك السطح تشف عنه مياه النهر.

لم يتعب هلال نفسه في التلفّت بين التشخيص والتجريد. لقد اختار الطريق الصعبة. أن يكون تجريديا بعمق وبضراوة مع حرصه الشديد على تعميق صلته بالطبيعة لا من خلال وصفها بل عبر ما يلتقطه من هباتها الاستثنائية، ذلك النظام الخفي الذي يظهر مثل إيقاع. في مرحلة من مراحله المهمّة كان الفنان شغوفا بالتكرار.

> ثائر هلال يمكنه أن لا يتذكر اليوم الذي كانت فيه سطوح لوحاته ملساء تنعم برخاء تصويري باذخ. لقد تغير العالم من حوله ومعه تغيرت طريقته في النظر إلى ذلك العالم

مفردة واحدة تكفي لصناعة لوحة غامضة.

لم يكرر تلك المفردة في نسق بلاغة الفن البصري "اوب آرت" بل عمد إلى أن يرسم مفردته بعشرات الهيئات لتبدو جديدة. كان ولع هلال بالضوء قد ساعده على اللعب بمفرداته القليلة بطريقة ملهمة. وسط العتمة كان إلهام الضوء يحدث انفراجا مدهشا بتنويعاته اللونية. أزرق، أحمر، أبيض، كان الضوء يعيد تعريف الأشياء كما لو أنها لم تظهر من قبل. لم يكن من اليسير رسم مفردة واحدة، لا أساس لها في الواقع بمئات الأشكال. وهو ما فعله الفنان بصبر ومتعة. ما من شيء يحدث بالصدفة. بالنسبة لهلال فإن الرسم كالموسيقى يستند إلى الكثير من العمليات الرياضية. هناك جهد جبّار يبذله الرسام من أجل أن يصل إلى إيقاع بصري هو أشبه بخفقات أجنحة سرب من الطيور. لا شيء يمكن أن يُمسك من تلك اللغة. ما من أحد يكلم أحدا آخر. شيء هو أشبه بالهذيان.

رسوم هلال في تلك المرحلة هي عبارة عن هذيان بصري يمكن أن يستمر إلى ما لا نهاية. كنت كلما رأيت واحدة من لوحاته أفكر بعذابه وبالجنون الذي يلهمه كل هذه الصيغ المتاحة للهذيان.

هلال هو فنان نادر من نوعه من جهة قدرته على تحويل الكلمات إلى أشياء، فبدلا من أن يصرخ سعيدا أو تعيسا يتبع خيال يده الذي يهبه أشياء هي في حقيقتها صناعة عالم لم يعشه سوى كائن واحد هو الرسام.

الرخاء مجسدا

مظهريا تبدو تحولات الرسام الأسلوبية كما لو أنها تتم تحت السيطرة. غير أن ذلك لا يمتّ إلى الحقيقة بصلة. ما فعله هلال أنه استفاد من كل المدارس الفنية التي كرّست الإيقاع هدفا لها. غير أنه لم يقع في الفخ الذي يقيّده في إطار مدرسة بعينها.

كانت لوحاته أشبه بمدونة موسيقية عصية. تعلّم من الزخرفة العربية الشيء الكثير، إلهامها البصري على الأقل. بهره سلوك الرسامين الحركيين وبالأخص جاكسون بولوك غير أنه كان منضبطا. في تفاعله مع المواد لم يتماه هلال مع بيير مانزوي بل تجاوزه حين صنع عالما يذكّر بطفولته. كل شيء فعله هذا الرسام يعيدنا إلى حياته الشخصية التي هي مزيج من شغف بالطبيعة وتطلع ثقافي رفيع. أعتقد أن ثائر هلال هو أكثر الرسامين السوريين رخاء في نظرته إلى وظيفة الرسم. غير أنه الرخاء الذي يشف عن ألم عظيم. وهنا بالضبط تكمن أهمية فن هلال.

حتى في تعليقه على ما تشهده بلاده من فوضى لم يقع الفنان في فخ رد الفعل. كانت لديه رؤيته الخاصة وهي رؤية تميّزت بصفائها وقدرتها على التمييز بين القاتل والقتيل.

سيبدو نوعا من المفارقة القول إن هلال يقاوم عن طريق الفن. ولكنها مقاومة عن طريق الرخاء. هي دعوة لحياة من نوع مختلف. هذا فنان يضع الرسم في مواجهة الحياة. لوحاته لا تكف عن الثناء على حياة مجاورة كان حريّا بنا أن نعيشها.

ثائر هلال هو واحد من سحرة عصرنا. رسومه تقودنا مباشرة إلى تضاريس الروح.

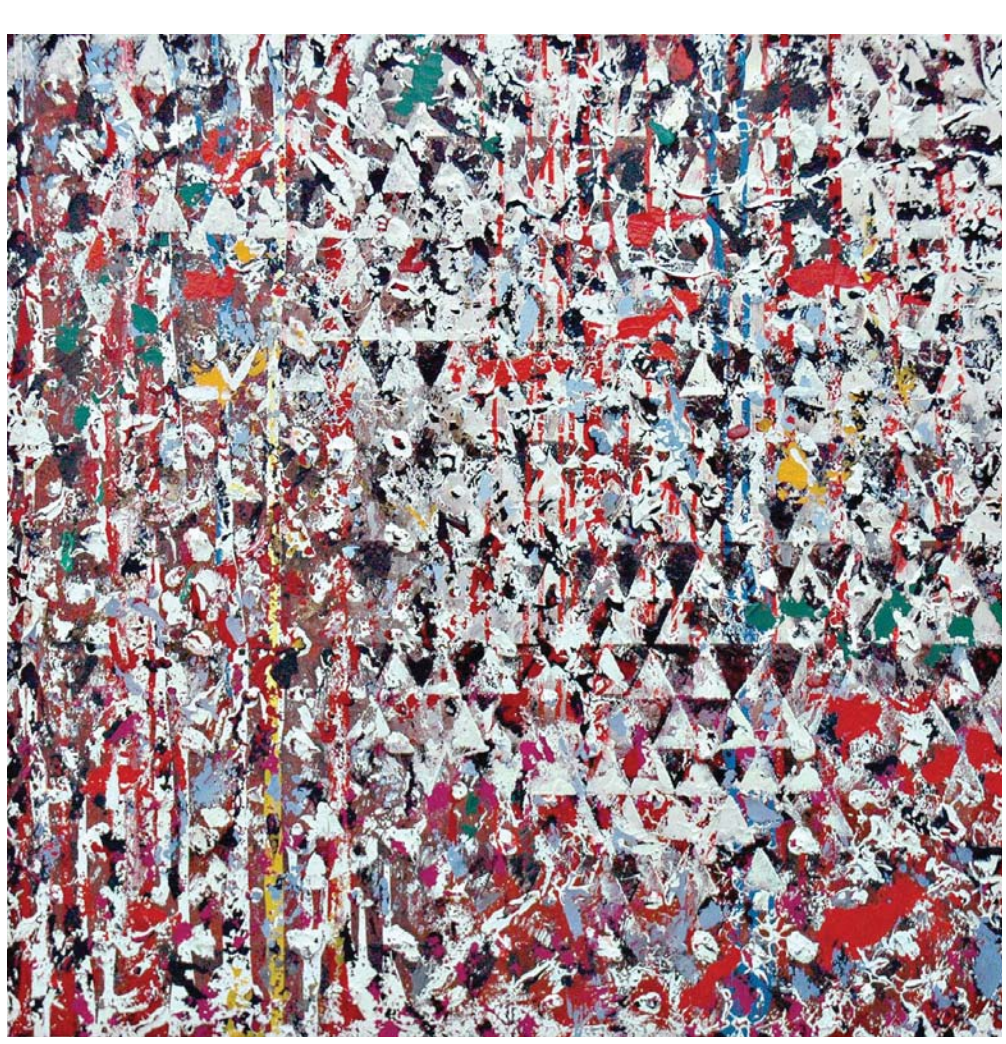

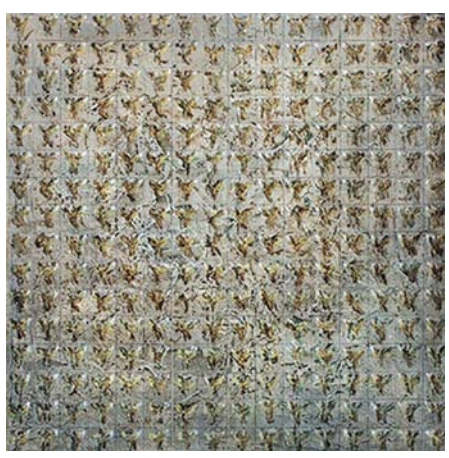

النقاد العرب يتساءلون

التفكير النقدي وحال النقد في الثقافة العربية

يحتوي هذا الملف على مقالات في النقد الثقافي والأدبي، ويقف على طبيعة التفكير النقدي في راهن الثقافة العربية. وهو يأتي استجابة لتساؤلات طرحت على عدد من الأقلام منها ما يتصل بالتفكير، ومنها ما يتعلق بالممارسة النقدية والظواهر الأكثر بروزا في سلبيتها، من ذلك أسباب غياب الناقد الجريء ليحل مكانه الناقد الصحافي المتسم عمله بسمات مضطربة غريبة على جوهر العملية النقدية، إن في مقاربة النقد لقضايا الثقافة ومشكلاتها، أو في قراءته للأدب والإبداعات الأدبية والفنية. فهو إما نقد "ناقد" مضطرب الأدوات، وتعوزه الرؤية الجادة والعميقة، وإما هو نقد تلفيقي مساوم لا يصدر عن موقف وتعوز صاحبه الأمانة والشجاعة الفكرية. وأحيانا كثيرة ما يكون نقد كهذا صادرا عن تعجل بل وعن كسل ذهني مريع.بالمقابل نجد هناك الناقد الأكاديمي، وغالبا ما تستند مرجعياته في المنهج والقراءة إلى المنجز الغربي وتغيب عنها المصادر العربية. وهو– ونستثني هنا ندرة من النقاد– يقدم مادة باردة أو هي صعبة لكونها مبتوتة الجذور مع الفكر النقدي العربي في محطاته المختلفة، ولا جسر لها بالتالي مع قارئ جاد، فضلا عن أنها تخلو من أثر لمغامرة قرائية خلاقة مع النص يسندها فكر جديد.

ولكن أين تكمن العلة؟ وما هي الأسباب الجوهرية في هذه الحال البائسة؟ وكيف يمكن تهيئة السبيل لتبديل هذه الصورة المخزية للناقد في الثقافة العربية؟

المقالات المنشورة هنا تشكل مجتمعة فرصة للتأمل في هذه الأسئلة، من جهة، وفي طبيعة التفكير العربي الراهن في النقد، والظاهرة النقدية، والوعي النقدي، وملامح من الممارسة النقدية في ثقافة عربية تنازعتها تجاذبات شتى على مدار قرن من الاتصال بالمدارس الغربية في النقد، وأقطابها الفكريين الذين شكلوا أسماء وتجارب ذات جاذبية داخل ثقافاتها وخارجها، لكونهم تجاوزوا بأسئلتهم الريادية ومغامراتهم الفكرية البارزة الجغرافيا الثقافية التي صدرت عنها أعمالهم، وباتت آثارهم جزءا من أسئلة النقد واتجاهات الفكر وميوله البارزة في ثقافات العالم، ومنها الثقافة العربية.

مقالات هذا الملف تتناول النقد؛ أسئلته وقضاياه، على غير مستوى من مستويات الانشغال والتفكير، وهي بالتالي تحض على إعادة طرح أسئلة الثقافة العربية بما يتيح لهذه الأسئلة أن تتفاعل مع قضايا الفكر والمشكلات الفكرية والروحية لإنسانه، في لحظة عربية متفجرة، وفي ظل قلق واضطراب عربيين شاملين.

* قلم التحرير

عطالة العقل الجدلي في النقد العربي المعاصر

رامي أبوشهاب
ناقد وأكاديمي وشاعر من الأردن

❏ لا يمكن أن نراجع النقد العربي وأزمته بمعزل عن سياقاته التاريخية والثقافية التي صاغت ملامحه، وهي تتحدد بثلاث إشكاليات، الأولى فكرية، والثانية مؤسساتية، والثالثة وظيفية. ولعل الإشكالية الأولى تتصل بمكون فكري فلسفي حضاري، فالنقد منذ نشأته اتصل بحاضنة فلسفية، وشاهدها أفلاطون وأرسطو، وصولاً إلى النقد المعاصر، وبالتحديد مع تطور العلوم الإنسانية والاجتماعية والطبيعية في العصر الحديث، إذ أسهم كانط وديكارت وهيجل في تحرير العقل، مروراً إلى فصل التمييز بين الدال والمدلول ونبذ التاريخي لدى سوسير، وليس آخراً مفهوم الخطاب لدى ميشيل فوكو والذات لدى بول ريكور.

هذه الممارسات الحضارية ألقت بظلالها على تحولات النقد، حيث وصف ويليم ويليك القرن العشرين بأنه قرن النقد بامتياز، وهذا نتج بعد انفتاح النقد على علوم وفلسفات متعددة، فبرز التحليل النفسي والاجتماعي والشكلاني والماركسية وغيرها. والمتأمل في النقد سيجد أنه متعالق بالمنتج الحضاري، وبما أن الثقافة العربية لم تقدم إسهامات حقيقية حضارية على صعيد البنى الفكرية والفلسفية لجملة من العوامل، فإن النقد العربي بدا تابعاً، لا يمتلك منظوره القائم المتصل بخصوصية الواقع العربي بكل ما يحمله من قضايا وهموم، على الرغم من أن هذه الوقائع تتطلب وعياً نقدياً، غير أن غياب المنتج الحضاري، اضطر النقد العربي للتأثر بالفكر الغربي، ولكن من منظور التقنية والظاهر الاصطلاحي.

لقد تبنى النقد العربي آليات ووجهات النظر الغربية بمعزل عن سياقاتها الفلسفية، غير أن هذا، وإن بدا حتمياً في غياب البديل، مع الإشارة إلى أنه قد حقق بعض التقدم، يبقى غير أصيل، بل منبتّ الصلة بالدور الحقيقي للنقد بوصفه ممارسة تستهدف تطوير العقل نحو صيغة إنسانية تتسم بتبني قيم معينة. إن مفهوم القيمة، أو فلسفة القيم الأكسيولوجيا في الفكر العربي مرتبك، فضلاً عن كونه يستند إلى تراث لاهوتي أو أخلاقي أو ببنية ثابتة تخشى من التحول، ولهذا فإننا نمارس النقد تبعاً لمتغيرات حضارات أخرى، كون حضارتنا أسيرة الثبات، وبناء عليه فإن نقدنا لا يحمل أيّ صيغة راديكالية معرفية، كون قيمنا الحضارية منجزةً، فكان البديل الاشتغال على بدائل نقدية منقولة، لا يتلفّت منها إلا إلى نسقها الوظيفي الخارجي أو بوصفها قيمةً مجردةً من الفكر، فهي ليست إلا أداةً ظاهريةً. لقد بتنا نستعين بمنظومة إشكالية أنتجها الغرب، ولكن كي يتعامل مع وقائعه الخاصة، ونحن لم نتمكن من تطوير هذه الوجهات التي اتخذناها مقدسات نسعى لأن نتمثلها، مع أن هذا يبدو شديد التشاؤم، غير أن ثمة في المشهد ما يدفع إلى شيء من الارتياح كون النقد الغربي أو العالمي قد انشغل في السنوات الأخيرة بأفكار الناقد الفلسطيني الأميركي إدوارد سعيد، وتحديداً خطاب ما بعد الكولونيالية، والذي قد اكتنه واقعاً حضارياً تاريخياً، إذ حاول تلمس القيمة الفكرية للممارسة النقدية القائمة على المتخيَّل الخطابي، من منطلق رؤية تستند إلى مواقع التمثيلات المتبادلة بين المهيمِن والمهيمن عليه، وبهذا فإن ثمة إسهاماً نقدياً، ولكنه للأسف كان نتاج مناخات الغرب العلمية.

ومن المعضلات التي تبرز عند البحث في إشكالية النقد العربي تلك المعضلة التي تبحث في مفهوم الناقد المثقف والاتصال بما هو عام وخاص تبعا لوجهة نظر كانط، فالنقد العربي بوصفه فعلاً مؤسساتياً، قد شهد مشكلات حقيقية تتصل بالمؤسسة الراعية للنقد، وأعني المؤسسات التعليمية والأكاديمية التي، وإن بدأت في مطلع القرن أكثر وعياً بدروها الحضاري والنقدي، سرعان ما انحرفت لتتحول إلى صيغة من صيغ السلطة التي صاغتها تبعاً لتصوراتها، وبذلك فإنها بدت كيانات تمارس الثقافة، ولا تنطوي على قيمة حقيقية. فبعض النقاد الأكاديميين أصبحوا متصلين بالمؤسسة عضوياً، وهي بدورها كرّستهم موظفين أكاديميين، تبعاً لأهوائها التي صنعت محاصصةً سياسيةً أو قبليةً أو طائفيةً أو سياسيةً، الأمر الذي تسبب في نبذ العقول النقدية، وتحولها عن الفعل النقدي، فالكتابة النقدية العربية شديدة التلوث، إنها تنتهج سياسة ما يمكن أن نطلق عليه النأي بالنفس الحضاري؛ ولهذا فهي تمارس نقداً أداتياً. ومع إدراك لعبة التبادلات والعلاقات الاجتماعية سنجد أن من يتبوّأ الصدارة في المشهد النقدي العربي لا يمثل العقل النقدي الجدلي، ولهذا فالظاهرة النقدية تبدو بلا نواتج أو أفعال، كما أنها لا تهدف إلى التغيير.

لا ريب في أن المؤسسة والتحولات التي طالت منصات النشر والتعبير، قد أحدثت ضرراً بالغاً على النقد والأدب. ومع أن ثمة ازدحاماً في الكتابة الأدبية غير أن النقد بدا عبارة عن مجاملات نقدية نشأت في الحواضن الرقمية وعلى صفحات الصحف والمجلات الأكاديمية ومواقع التواصل الاجتماعي، تحكمها الصداقات القائمة على تبادل المنافع والتوجيه الإعلامي المتبادل.

كان بيير بورديو قد تحدث عن الإقصاء الذي تمارسه المؤسسة بحق البعض، عبر حرمانهم من حق الوصول للمعرفة التي تقصر على فئة مجتمعية محددة، وبذلك فقد احتكرت القيمة الفاعلة في المجتمع لتغدو نسقاً مهيمناً، وهذا ما ينطبق على النقد العربي المؤسساتي الذي اختُطف وارثُهن من قبل مجموعة استطاعت، في غفلة من الزمن، أن تنشئ واقعاً نقدياً مستهلكاً وشديد التخلف والبدائية، وهذا انعكس على قيمة الأدب العربي الذي لم يتمكن من ولوج العالمية بوصفه أدباً، فقد اتسم أغلبه بالافتقار إلى المنظور الفكري والحضاري، ولا يزال في طور التمثيل والتجسيد للمشكلات التي تعاني منها المجتمعات العربية. وبناءً عليه فإنه أدب غير معني بالأفكار أو الصفات الحضارية علاوةً على تفعيل العقل النقدي الموضوعي المنغمس بإشكاليات الإنسان العربي، كما أنه يفتقر إلى المنظور النضالي المتعالي على الحدود الضيقة والمناطقية، ويُعدّ هذا، بشكل أو بآخر، نتاج مؤسسات ذات تبعية للسلطة.

* لوحة: ريم يسوف

إن كافة التيارات النقدية التي شاعت في العالم الحر كانت نتاج عمل مؤسساتي لكن بمعزل عن الحواضن السلطوية، فعلى سبيل المثال مدرسة فرانكفورت التي أخذت على عاتقها نقد الرأسمالية ومظاهرها الإعلامية، في حين أن النقد الجديد نشأ في حاضنة جامعية، ونعني جامعة كمبريدج التي ثمّنت النقد الداخلي بوصفه ممارسة أقرب إلى تحقيق معيارية متقدمة من اكتناه النص، وهذا ما يجعل من النقد ضمن علاقة جدلية مع الفكر والفلسفة والمنظور، وذلك تبعاً لعلاقاته الدينامية مع الحياة، سواء أكان من حيث نبذ القيم القائمة على بنى داخلية ذات طبيعة علموية، أو على العكس من ذلك يسعى إلى تحقيق الارتهان لقيمة خارجية كما نقرأ في النقد الماركسي والبنيوية التكوينية، أو عبر الممارسة الثقافية التي فعّلها رايموند وليامز.

لقد كان النقد وسيطاً بين العالم والرؤية التي تحكمه، وهذا ما يجعل من النقد العربي جباناً كونه يسعى إلى الإبقاء على تموضعه في المؤسسة التي تبقي على وجوده في إطار مفاهيمها. ولهذا فإن انتشار النقد اللغوي، أو الألسني كان وسيلةً، في بعض الأزمان، لعدم التورط بأيّ مواجهة مع القيم العقلية. إنه خروج يتستّر خلف القيمة الأداتية أو نقد تقني بلا تأثير. ورغم أن الأدب، في معظم الأحيان، يجب أن يسعى إلى مواجهة القبح في عالمنا العربي فإن النقد قد تحول إلى ركام من الأنساق المجردة اللغوية التي ترفع حرج المواجهة الفكرية وتسعى لإرضاء جميع الأطراف ضمن صيغة توفيقية، فبات نقداً بلا مخالب أو تقنياً خالصاً.

لا شك في أن النقد في معضلة حقيقية لأن النقاد المعاصرين، وأعني الأجيال الجديدة التي بدت عازفة عن ممارسة النقد الحقيقي إلى ممارسة التوصيف النقدي الذي لا ينطوي على رؤية أو مشروع، وهذا يعلل بأن معظم النقاد المعاصرين لا يحملون وجهة نظر فكرية تجاه عوالمهم، فهم غير مثقفين، كونهم لا يؤمنون بالأفكار هم فقط متعلمون اطلعوا على المناهج النقدية، ومارسوها بلا وعي متشكك تجاه عالمهم، فهذا النقد لا يقود إلى نتائج أو خلاصات.

وفي الختام، لا بدّ من القول إن ثمة مشاريع نقدية أسهم بها نقاد ينتمون إلى أجيال أكملت ما بدأه طه حسين ومحمد مندور وإحسان عباس وغيرهم، كما نجد في مشاريع لكل من كمال أبوديب وعبدالله إبراهيم وصلاح فضل وجابر عصفور وفيصل دراج وخلدون الشمعة وعبدالفتاح كيليطو وعبدالله الغذامي، وغيرهم الكثير، لكنّ ثمة توجساً من قدرة الأجيال المعاصرة على تكوين توجه نقدي حقيقي يتصل بالإشكاليات التي يعاني منها المجتمع، فالنقد العربي ما زال عالقاً في الأطر التقنية شديدة السهولة والأمان، ولهذا نجد أن تيار النقد البنيوي ما زال الأكثر تأثيرا على المشهد النقدي.

> تبنى النقد العربي آليات ووجهات النظر الغربية بمعزل عن سياقاتها الفلسفية، غير أن هذا، وإن بدا حتمياً في غياب البديل، مع الإشارة إلى أنه قد حقق بعض التقدم، يبقى غير أصيل، بل منبت الصلة بالدور الحقيقي للنقد

الاستبداد النقدي وأسئلة الفقدان

علي حسن الفواز
شاعر وناقد من العراق

❏ كثيرون يتحدثون عن غياب النقد، وعن عجز النقاد في متابعة ما ينشره الكتّاب هنا أوهناك.. هذه الشكوى التوصيفية لحال النقد العربي، تصطدم بالواقع، حدّ أنها تبدو غير واقعية تماما، لأنها تحمّل النقاد ما لا يحتملون، وتطالبهم بأن يكونوا أشبه بأصحاب العربات الذين يركضون لصق عرباتهم، ويدارون زبائنهم لأنهم زوّادة الرزق.

الشكوى من الغياب النقدي تبدو مطلبية في هذا السياق أكثر مما هي حاجة فنية، لا سيما مع الذين يعافهم النقاد، أو محرّرو الصفحات الثقافية، وتحت عنوان البحث عن مناطق دافئة، وعن أسماء وكتب لها بريق ووقْع ولمعان، وهو شأن اجتماعي وليس ثقافياً خالصا، ولصيق بطبيعة الشخصية العربية المثقفة وغير المثقفة، أو ربما بتعالي البعض من النقاد على ما هو جديد في الكتابة، أو عن الأسماء غير القارّة في اللاوعي الجمعي للقرّاء.

ليس من وظائف الناقد أنْ يكون مُطارداً لكلّ ما تنشره المطابع من كتب، فهي وظيفة لها متابعوها في الصحف اليومية، والمجلات الأسبوعية إنْ وجدت! لأن النقد مَعنيٌ برصد الظواهر، وبالكتب التي تُثير أسئلة، أو تقارب بعضا من الظواهر الثقافية المعرفية والأدبية، وبما يُعزز من وظيفة الناقد في وعيه، وفي حضوره، وفي تعاطيه مع ما يُثيره المشهد الثقافي من إشكالات وأسئلة.. فضلا عن العلاقة الملتبسة للوظيفة النقدية، ولجدّية الناقد بالرثاثة التي تستغرقنا، والتي يمكن أنْ يصطدم بها الناقد ذاته، إذ تغمر فضاءنا الثقافي ومساحات النشر، وتفرض سطوتها على قناعة البعض من صنّاع القرار في هذا المطبوع أو ذاك، لا سيما المطبوعات– الصحف والمجلات– الرسمية، والتي لها توجّهاتها وأنماط خطابها المهيمن، بما فيها العلاقة مع النقد وما يخضع منه لضرورات الرسالة الأيديولوجية، أو ما يمكن أنْ يدخل في حساب تلك الجهات الرسمية، بعيدا عن ما يثير صداع السلطة، أو ما يستفز ملفات المكبوت والمقموع والمسكوت عنه، حتى بات النقد بوصفه الحيوي رهينا بضرورات الحرية، والتي من الصعب أنْ نلمس وجودها في بلاد الاستبداد العربي، حيث تُخضع السلطة كل شيء لرقابتها، بما فيه الكلام والمواقف والآراء والمقاربات النقدية التي تمسّ جوهر الأشياء.

الناقد ليس كائنا فوق النص، أو شارحا للنص، بقدر ما هو القارئ الأكثر فعالية للنص، أو كما يسميه رفاتير بـ"القارئ العمدة" وهذه التوصيفات تمنحه امتياز تعيين الأحكام، وتوجيه مسارات القراءة العمومية، وبما يساعد على إضاءة النصوص، وتقويمها على وفق ما تُتيحه المناهج والنظريات، والتي تعزز فاعلية القراءة، والفهم، وبالتالي المساعدة على استنباط تلك الأحكام.

رؤيا الناقد هي العتبة الأولى في الاختيار، وهي الأداة التي تعزز وظائفية ذلك الاختيار والكشف، إذ لا يمكن للناقد أنْ يكون عشوائيا في تعاطيه مع الكمّ الهائل من المطبوعات، والتي باتت البعض من دور النشر والطبع تنشرها لأسباب تجارية بحت، أو لحساسيات أخرى، وهي ما يُلقي على عاتق النقّاد كثيرا من المهام والمسؤوليات.. وبقدر ما يُثير البعض من القرّاء أسئلتهم حول قيام النقاد بمسؤولية الكشف عن ما هو زائف وسطحي وما هو (تجاري) فإنّ قدرة البعض من النقاد قد لا تتحمل مثل هذه المهمة الصعبة، والتي قد تضعهم أمام حرج كبير، وصراعات من الصعب السيطرة علىَ تداعياتها، في وسط تهمين عليه كثيرٌ من العصابيات والقرابات، أو البعض من الجهات السلطوية والحزبية، والتي تسعى دائما إلى الترويج لبضاعة مريديها على حساب ما هو قيمي وجمالي ومعرفي.

إنّ جدّة أيّ مشروع نقدي تتبدى من خلاله ارتباطه بعمل مؤسسي، ليس بالضرورة رسميا أو سلطويا كما يفهمه بعض المعنيين، بل بجهات مدنية قادرة على إيجاد فضاءات، ولو محدودة يمكنها أنْ تحفّز على العمل باتجاه (الاستثمار الثقافي) من جانب، أو باتجاه تشجيع رأس المال الوطني (شركات ومؤسسات ونقابات وجامعات) على مساعدة تلك المؤسسات الثقافية من خلال تطوير فكرة (الداعم) كما نجده في الكثير من المهرجانات والمؤتمرات العلمية والفنية.

الممارسة النقدية الخرساء

بين النقد وتحليل الخطاب

شرف الدين مجدولين
ناقد من المغرب

❑ في لحظة ما من ثمانينات القرن الماضي بدا أن النقد العربي يعيش لحظة عنفوانه، وهي اللحظة التي أفرزت للوجود ما يسمى بـ"الناقد المحترف" الذي لا يحسن الحديث إلا في النطاق الضيق لتخصصه، وداخل سياق شديد الخصوصية قد يكون الجامعة أو المجلة الأكاديمية، أو المؤتمر النقدي الذي تنظمه إحدى شعب اللغات والآداب، ويحضره أهل الاختصاص،... دونما سعي إلى استقطاب الجمهور الكلاسيكي للأدب وأخذه بعين الاعتبار.

> بما أن الناقد وسيط فقد تجلت الوساطة أبعد ما تكون عن تقريب أسباب المتعة أو علل امتناعها، ساعية إلى تأويل يتجاوز حد القراءة المجبولة على الرفض أو القبول بالمقروء، وسرعان ما تحول الناقد من مقرب وسيط إلى مقارب وسائطي، عدته المفاهيم الجاهزة لا ذاكرة مقروئيته

وهو السلوك المعرفي الذي حوّل النقد الأدبي إلى مدونة مصطلحية غير مفهومة من قبل جمهور القراء العاديين، وغير ذات وظيفة ثقافية، الأمر الذي قوّض الجوهر الإنساني للأدب، فسرعان ما تحولت معارف تحليل الخطاب وشعريات النص الأدبي إلى أفق يصرم كل صلاته بالتعريفات البسيطة المتواترة خلال عقود النهضة عن معنى النقد الأدبي، باعتبار ما ينهض به من أدوار تقويم المباني والأساليب، وكشف الاختلالات. بدا في لحظة ما أنه بالإمكان الحديث عن كل النصوص بشتى مراتبها على نحو موحد، فقصيدة لعبدالوهاب البياتي يمكن أن تكون موضعا لدرس يتناول "التشكيل الاستعاري" أو "صوت الذات" مثلها مثل قصيدة لشاعر خواطر بدائية غير متحقق، مثلما أن دراسة "منظور السارد" في تحفة روائية من قبيل "رامة والتنين" لإدوار الخراط، يمكن أن تضعها في المقام ذاته مع رواية محدودة القيمة موجهة للجمهور العام من مثل رواية "بنات الرياض" لرجاء الصانع، ففيهما معا يوجد سارد وتوجد صيغ للسرد...

وأعتقد أن الانطلاق من مبدأ خاطئ مفاده أن تحليل الخطابات جزء من النقد الأدبي أو بديل له أو تجاوز له، هو الأصل الذي أفضى بوضع النقد الأدبي العربي في حال من الأزمة ظاهرة، لم يعد فيها مهمًا حجم الصدق والشجاعة في بيان مناحي الضعف والإجادة في صنعة الأساليب الروائية والشعرية والمسرحية والقصصية، بل بات سؤال "القراءة" ذاته الذي يتناول النصوص ليعبّر عن رأي فيها، ملتبسا ومتجاوزا، وبناء على هذا الافتراض تحديدا أضحى كل حديث عن النقد مقرونا بمزاعم "التحليل العلمي" الذي لا حيز فيه للانطباع والذوق، ومن ثم للجوهر الإنساني لعملية القراءة.

أذكر في هذا السياق أن عددا كبيرا من الأبحاث المحشورة في إطار النقد، كان منطلقها نقض مبدأ الجودة التي هي تكوين متعال عن القواعد البنائية، وسرعان ما افتعلت معركة لا منطق لها بين إنسانية الأدب وقوانينه وقواعده، انتهت إلى محو الأدبية في النهاية، وتحويل الدرس النقدي إلى درس للأنساق والوظائف، أي إلى "نحو" للمعنى لا تفصله إلا نسبة قليلة من التجريد عن نحو الألفاظ.

طبعا كان مبدأ هذا الافتراض التحليلي هو الانتقال من "المراجعة" إلى "المقاربة" التي لا تستهدف الحكم على الأعمال الأدبية وتبيان مواطن ضعفها وافتعالها وخطئها، ومن ثم نفي تراث المعرفة النقدية القاصدة للتقويم، والمستندة للمعارف المتعددة بصدد الكتّاب ومقامات إنجازهم وحياتهم وسياقهم الإبداعي، كان القصد هو نسيان مفردات من قبيل"الموازنة" و"الطبقات" الواردة من التقليد التراثي أو "الغربال" و"النقد والخصام" الواردة من رصيد النهضة، بما يعنيه ذلك من تخطي لمعايير "الصحيح والخطأ" و"الحسن والقبيح"، إذ اعتبرت كل تلك الحدود شأنا نحويا وبلاغيا وأيديولوجيا، وهكذا أضحى التصالح مع النصوص منفذا إلى حال من التسامح المفتوح مع كل أشكال الزيغ الأسلوبي والإبداعي.

الناقد وقاعدة الوساطة

بما أن الناقد وسيط فقد تجلت الوساطة أبعد ما تكون عن تقريب أسباب المتعة أو علل امتناعها، ساعية إلى تأويل يتجاوز حد القراءة المجبولة على الرفض أو القبول بالمقروء، وسرعان ما تحول الناقد من مقرّب وسيط إلى مقارب وسائطي، عدته المفاهيم الجاهزة لا ذاكرة مقروئيته، ومأربه الانتهاء إلى التطابق مع العدة المنهجية لا إلى مكاشفة القارئ بنسبة نجاح النصوص في التشكيل والتجريب والاختراق. لقد بات تعويم عملة الأدب سبيلا إلى التعالم وتخطي عتبات "الفن" و"الجمال" و"إنسانية الأدب" وصلته بالحياة وبالناس. ولأن في هذا التخطي إعفاء من التموقع النقدي، الذي هو عتبة للخصام الإنساني، تجلت المحصلة في الغالب الأعم بما هي سعي إلى تبخيس الأدب لحساب علوم محيطة أو نقيضة، من اللسانيات إلى التحليل النفسي. لا أنسى، في هذا الصدد، محاضرة لأحد أعلام تحليل الخطاب في المغرب حين تحدث عن وجوب دراسة الرياضيات لفهم القصيدة المعاصرة، كان يتحدث على نحو جدي، في الآن ذاته الذي غرق فيه الجمهور في الذهول، قبل أن ينخرط بعضهم في تصفيق مداهن وجبان، وهكذا تم تحويل الأدب إلى حمار المعرفة، حمال أسفار، في أي قافلة تنطلق، شتاء وصيفا.

بيد أن لعنة المقاربات الوسائطية والنزعة المصطلحية، وتليين النصوص لتكون بنيات خرساء، بلغ أوجه حين تناسلت "الجوائز الأدبية" المجزية المخصصة للرواية (بشكل كبير) ثم لغيرها من الأجناس الأدبية الأخرى، حيث لم يعد ثمة دور لوساطة الناقد المقوّم بما هي آلية مزدوجة الأداء في اتصالها بالمتلقي والمبدع على حد سواء، من شأنها وصل الرسالة الرمزية للأدب بالبنيات الاجتماعية التي تكسب تلك الرسائل دلالتها الفعلية المتعدية، لحساب وساطة ترويجية تمهد السبل للانتشار الشكلي، وهو السلوك النقدي الذي بقدر ما عمق أزمة الأدب ووظيفته، حول التجربة النقدية من "رقابة كابحة" لإمكانات التجريب التعبيري، إلى "خدمة إعلانية" ومن ثم لم تسهم في إنتاج تعبيرات أدبية سليمة، بقدر ما روجت لسلوك مخاتل بوعي مختل عن الكتابة ومقتضياتها.

* لوحة: نهاد الترك

فتنامت معها ظاهرة ولادة أسماء أدبية من فراغ ودون مقدمات، لإشباع نهم المطابع إلى إصدار الأعمال والتقدم بها للجوائز، مع ما صاحب ذلك من ماركيتينغ ثقافي تلاشت فيه البقية الباقية من مبدأ التقييم والمكاشفة أمام رغبة جماعية في الرياء الصحافي وتلفيق الأكاذيب حول الأعمال والنصوص المفردة لترجيح حظوظها في ميزان التحكيم، ولا جرم من ثم أن تظهر للوجود في سنوات متلاحقة لوائح طويلة وقصيرة مخترقة بأعمال بادية الضعف، وبعضها يكتفي بركوب موجه الصراع السياسي المصطخب بعد ما سمّي بالربيع العربي، الذي لا يكف عن صدم المتابع بالفاجع والصادم والمتجاوز للخيال كل يوم.

وعي نقدي زائف

الظاهر أنه لا يمكن فصل هذا النوع من التجاوز الوظيفي لقيمة الوساطة التقييمة دون الوقوف على تواؤم تدريجي لعدد كبير من الرموز النقدية العربية من جيل مخضرم (يفترض أنه وريث لمشروع طه حسين)، مع ظاهرة التسامح والمرونة، واللجوء إلى المقاربات الرمادية، تلك التي أنتجت لنا ما يمكن وسمه بـ"الوعي النقدي الزائف"، حيث يمتلك مظهرا تنويريا شكليا، سواء بالنظر إلى طبيعة الأسئلة المطروحة أو القضايا المستثارة أو العناوين المقترحة، في الآن ذاته الذي يضمر كنها فكريا تقليديا، يسعى إلى تكريس التصالح مع الوضع القائم (واقع التخلف الثقافي وهيمنة الدولة التسلطية)، وهو السبيل الذي جعل الناقد العربي في هذا السياق المخصوص، ينخرط في معارك لا تعنيه، وبأساليب غير "نقدية"، أولا بالنظر إلى صيغتها السجالية السطحية، وثانيا لتلفيقيتها الظاهرة للعيان، ثم لنزعتها التبريرية للخطاب التحكمي، الرقابي، والقمعي، الذي يجافي سجايا "الحرية" و"الشجاعة" التي تمثل جوهر "الوعي النقدي". ولكم كان محزنا أن يقع أغلب رموز هذا التنوير الزائف في وهدة حربائية صاعقة عقب موجة الانتفاضات العربية، ليس أقلها التنكر لكل أدبيات "التنوير" التي أنتجوها عبر سنوات من الكتابة والحضور الإعلامي متعدد الصيغ، ولعل من أصدق الصور التحليلية لأعلام هذا الصنف من "الوعي النقدي الزائف"، تلك التي أوردتها الباحثة اللبنانية دلال البزري في الفصل الأخير من كتابها "مصر التي في خاطري"، حيث شخصت أزمات وأمراض المجتمع المصري في العقد السابق لثورة 25 يناير. تقول في إحدى الفقرات، في سياق الحديث عن النسق الذهني لمثقفي ونقاد موجة التنوير الذي دعمته السلطة "كتلة صلبة من الأفكار الجاهزة والمبسطة والملتبسة، المتعايشة مع الهيمنة الدينية، والتي تقف خلف خطاب 'تنويري'، 'مدني'، لتحجب علمانية أو يسارية، مزعومتين. نسق فوضوي، لكنه قائم. هو خليط من بقايا الهيمنة اليسارية السابقة على الهيمنة الإسلامية، ومن رومنطيقية نهضوية وفدية، ومن ناصرية ما. ذخيرة لغوية مرتبة بنظام، ينطق بها المثقف غير الإسلامي، ويقدمها على أنها هي مشروعه لمواجهة التشدد الديني".

النقد ومحاربة طواحين الهواء

محمود الغيطاني
كاتب من مصر

❑ أن تكون ناقدا في هذه الفترة الحرجة من عمر الثقافة العربية؛ يعني أن تكون رجلا في مواجهة العالم؛ فيُعاديك الجميع، أو يحاولون افتعال العداوات معك. النقد الآن يعني أن تحتمل كل سهام العالم -الطائشة منها وغير الطائشة- لتستقر في صدرك؛ فإما أن تكون على قدر المسؤولية المقدسة لمعنى النقد، أو تنزلق في المستنقع الثقافي الذي يعيش فيه العرب وتضحى مجرد مادح للجميع، مُتكسّب مما تكتبه، قادر على تكوين شبكة علاقات اجتماعية شاسعة، وتصبح عضوا في دولة نقاد أكل العيش.

ربما كان هذا الحديث مجرد وصف دقيق للحالة الثقافية والنقدية التي تعيشها الآن المنطقة العربية التي لا ترغب نقدا من الآخرين، ولا كشفا لنقائصها وزيفها وهوانها وضعفها وعلاقاتها المتردية؛ بقدر ما ترغب في التجمل والمجاملات والنفاق والرياء والزيف؛ ليشعر المنقود في النهاية بالحالة الطاووسية التي يرغبها؛ ويتيه على الجميع باعتباره كاتبا عظيما لا يُشق له غبار؛ ومن ثم يحدث تزييف حقيقي للحالة الثقافية بالكامل يُشارك فيها الناقد في قتل الوعي الاجتماعي والثقافي للقارئ الذي يثق فيه ويأخذ حديثه على محمل الجد؛ فيصدق زيف الكاتب في نهاية الأمر؛ ومن ثم نرى أشباه الكتاب عمالقة مقدسين لا يمكن أن يقربهم أحد، بينما الكتاب الحقيقيون يقعون في المنطقة المظلمة من الثقافة العربية فيكونون طيّ النسيان.

إذن فعدم التزام الناقد بالمعنى الحقيقي للنقد يؤدي بالضرورة إلى قتل الوعي لدى الغالبية العظمى من المجتمع، أي أنه يشترك في جريمة تفوق في حقيقتها جرائم الحروب والإبادات الجماعية، ولعل هذا ما يجعلني دائما أتذكر ما قاله لي ذات يوم الناقد السينمائي الراحل سمير فريد "أن تكون ناقدا يعني أن تقطع علاقتك بكل من لهم صلة بالوسط الذي تكتب عنه؛ حتى لا توهنك العلاقات وتعطلك عن أداء دورك المنوط بك"، وهذا بالفعل ما يجب أن يحرص عليه الناقد حينما يريد أن يكون ناقدا له فاعليته ودوره الحقيقي في الوسط الذي يكتب عنه؛ ومن ثم يجب أن تكون علاقاته بهذا الوسط مجرد علاقات سطحية لا عمق حقيقي لها؛ كي يستطيع امتلاك حريته فيما يكتبه من دون تخوف أن يخسر صداقاته وعلاقاته الإنسانية.

هذا الأمر يُذكّرني أيضا بحديث دار بيني وبين الروائي الجزائري بشير مفتي، كنت أتحدث معه عن رواية أحد الأصدقاء وأنها من الأعمال الضعيفة التي لا تستحق؛ فقال لي: لكن هذا الحديث لن يعجبه وستخسره كصديق، فكان ردي عليه: هو صديقي، ولكن نصه ليس صديقي.

النقد يعني أن تتجرد من كل شيء، أن تتعامل مع النص فقط من دون أيّ اعتبارات أخرى، أن تكون قاضيا نزيها لأنك ستطلق حكما قد يؤدي إلى إعدام أحدهم؛ وهنا إما أن تكون على قدر مسؤوليتك، أو تتخلى عنها تماما لتترك هذا المجال الذي لا يحتمل الخطأ أو الأهواء أو الذوق؛ فليس معنى أن ذوقك لا يتناسب مع النص الذي بين يديك كناقد أن هذا النص ركيك أو ضعيف؛ لأن الذوق هنا لا علاقة له بآلية النقد من عدمه، كما أن حبك أو كرهك لمن كتب النص لا علاقة له كذلك بالنص الذي أنتجه هذا الشخص. حينما يستعد الناقد للحديث عن نص ما يتعرى تماما من كل علاقاته ومشاعره وحبه أو كرهه من عدمه، ومن ثم يصبح النص قيد النقد هو المحور الأساس الذي يتعامل معه الناقد بعيدا عن أيّ اعتبارات أخرى.

هذا الحديث يحتاج منا إلى تحديد معنى النقد في اللغة؛ كي لا تختلط الأمور مثلما يفعل الكثيرون من المزيفين في واقعنا الثقافي حينما يرون كتابة نقدية عن نص ركيك فيقولون "هذا ذوقك أنت"، مما سيعود بنا مرة أخرى إلى دائرة الذوق وعلاقته بالنقد التي هي في حقيقتها علاقة منبتة الصلة. فكل من يحاولون جذب النقد إلى دائرة الذائقة هم في حقيقتهم مجرد مُدلّسين يرغبون في تزييف الوعي بجرّ النقد من عنقه وليّه، وتجريده من آلياته وشواهده ودلائله التي لا يمكن أن يغفلها مُبصر ليدخلونها في النهاية إلى الدائرة الهشة القاتلة: دائرة التذوق التي لا معنى لها.

النقد والانتقاد في المعجم هو تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها، ويقول الليث: النقد تمييز الدراهم وإعطاؤكها إنسانا، أي أن النقد في نهاية الأمر لغويا يعني التمييز، وإخراج ما هو زائف مما هو صالح، ولعلنا نلاحظ هنا حتى في المعنى اللغوي أن النقد لا علاقة له بالعملية الذوقية التي لها علاقة بالمشاعر بقدر ما له علاقة بالعملية العقلية الإدراكية المتجردة تماما من المشاعر والمصالح والعلاقات.

إذا ما تأملنا العملية النقدية نستطيع أن نعرفها تعريفا بسيطا هو: إطلاق الأحكام المبنية على العديد من الدلائل والشواهد من داخل النص المنقود نفسه، أي أن النص قيد الانتقاد يعمل على توليد آلية نقده من داخله وليس من خارجه، بمعنى أني لا يمكن أن أدخل على النص المُنتقد جاهزا بالآلية النقدية، أو النظرية التي لا بد من تطبيقها على النص؛ لأن هذا الفعل سيؤدي بالضرورة إلى ليّ عنق النص وإسقاط ما ليس فيه عليه، بينما الحقيقة التي لا يمكن إنكارها أن كل نص إبداعي يعطي آلياته ومفاتيحه للناقد من داخله؛ ومن ثم يعتمد الناقد على آليات النص التي تمنحه في النهاية آليات العمل النقدي، وهنا تكون الأحكام النقدية المتولدة من داخل النص اعتمادا على شواهده ودلائله الداخلية -من النص نفسه- هي أحكام نقدية قطعية اليقين لا علاقة للمشاعر أو الذوق بها بقدر اعتمادها على العقل المجرد تماما.

هنا لا بد من طرح سؤال من الأهمية بمكان ما يجعلنا غير قادرين على إغفاله: ما الذي جرى للثقافة العربية حتى غاب عنها الناقد الجريء وحل مكانه الناقد المداهن؟

* لوحة: ريم يسوف

العقل والمحرمات

حوار الحرية والفلسفة والنقد

أيمن بكر
ناقد من مصر

❏ يصعب أن نتخيل ازدهارا للنقد بعيدا عن الدرس الفلسفي، ولا حياة للدرس الفلسفي العميق بعيدا عن الحرية، أعني أقصىٰ درجات الحرية. وفي ظل التورم الديني القائم علىٰ أرضية الادعاء والتسلط المتبادل، وفي ظل القمع السياسي المتحالف معه، يبدو أن الثقافات العربية قد قررت معاداة الفلسفة وإن بصورة غير واعية، لأنها بالأساس حولت الحرية إلىٰ مفهوم سيء السمعة، بل يتم تصويره في كثير من تلك الثقافات بوصفه الخطر الأكبر علىٰ وجود المجتمعات العربية بأكملها. من الطبيعي إذن أن تجف ينابيع الفكر المبدع، وأن تنحسر في أشكال التعبير التمثيلي، أو المجازي الرمزي: الرواية، والشعر. ولا غرابة من تحوّل نصوص النقد -إلا القليل منها- إلىٰ هياكل مفرغة تشبه النقد: ممارسات لغوية غير واعية بذاتها، أو بمنطلقاتها وأهدافها. ولا عجب أن تتسع سوق الاتجار بترجمات لأفكار مستوردة تشبه الأفكار، وأن تنتج عن تلك السوق ميليشيات متصارعة علىٰ المكاسب المباشرة من ظهور إعلامي، أو تحالف مع سلطة، أو احتلال مناصب في مؤسسات ثقافية مهترئة.

لم يتوقف دريدا عن التعامل مع النصوص الأدبية والأشكال المسرحية لتقديم رؤاه الفلسفية. لم يكن بعيدا عن النقد الأدبي حين وقف بالتحليل عند مركزية الصوت في تراث الفلسفة الغربية، أو حين طرح ميتافيزيقا الحضور التي يراها قابعة في عمق الوعي الإنساني. القناة بين المجالين مفتوحة علىٰ اتساعها، ومن يتابع النقد الغربي سيجده قائما علىٰ القنوات الممتدة بينه وبين الفلسفات الكبرى منذ أرسطو وأفلاطون.

لكن الفلسفة كممارسة عقلية إنسانية عالمية، استطاعت بأثمان باهظة أن تتجاوز الخطوط الحمراء، التي تفرضها الثقافات الاجتماعية المحدودة علىٰ الفيلسوف أو المفكر. إن العلاقة بين الحرية والفلسفة تتسم بالتغذية والتغذية المرتجعة، فهل دفعت الثقافة العربية ثمن إقامة الفلسفة الحرة بصورة آمنة ضمن حدودها؟ هل سمحت عناصر الحراك الثقافي والاجتماعي والسياسي في الثقافة العربية/الإسلامية بمركزة الحرية كقيمة عليا، أو بالانتباه لأهمية الفلسفة والدفع باتجاه الاعتماد عليها في بناء العقول؟ لا أحسب أن أحدا يغفل عن تردي وضع الفلسفة والحرية كليهما ضمن الثقافة العربية علىٰ مرّ عصورها (ليس صحيحا بصورة حاسمة أن العصر العباسي الذي شهد تفوقا حضاريا عربيا قد شهد حرية فكرية واسعة، ولنا في قتل المتصوفة والشعراء وإحراق كتب الفلاسفة مثل).

* لوحة: نهاد الترك

العصر الحديث (الذي يمكن أن نتفق علىٰ بدايته مؤقتا بدخول الحملة الفرنسية إلىٰ مصر والشام في 1798) شهد مراوحات بين فرص التحرر وبين الجمود الأليف، بين الإبداع الفكري الطموح وبين السلفية الفكرية التي حمل رجال الدين لواءها طوال الوقت، مكبلين العقل العربي بقيود حديدية استطاعوا زرعها داخل منظومته الأخلاقية. لم تكتب الغلبة -إلا في حالات فردية غير مؤثرة- للحرية الفكرية علىٰ حساب الجمود والسلفية. كنا بحاجة لألف طه حسين علىٰ ألا يتراجع أحد منهم عن آرائه أيّا كان الثمن.

المفكر العربي الأصيل القادر علىٰ تقديم إضافة للفكر الإنساني نادر الوجود، وإن وجد فهو مكبل بقيود قاسية من المحرم الديني والقمع السياسي، ما يجعله محدود الإضافة. لكن المرعب أن القيود ذات الأساس الديني (نتحدث هنا عن التوجه الأكثر تشددا في الدين) قد توحدت مع القيم المميزة للمجتمع العربي، والداعمة لتصوراته عن ذاته في مواجهة ما يظنه اللاوعي الجمعي محوا وشيكا يتهدده.

لقد تم إهدار مساحات غنية من ثقافات المجتمعات العربية لصالح تركيز الوعي الجمعي علىٰ البعد الديني بوصفه المانح الأوحد للهوية الثقافية، بل والقومية. هكذا تم بصورة متلاحقة، تبدو بديهية، صب القيود الدينية في هيئة تهم اجتماعية واصمة للفكر والمفكر تصل بسهولة حد القتل، ومن الطبيعي أن تكون أدوات القمع والقتل أفرادا لا علاقة لهم بالفكر أو بالدين، بقدر ما هم أدوات للريبة الاجتماعية الملتهبة، والتي تتجه نصالها جميعا نحو الفكر الحر تحديدا، بوصفه التهديد الأكبر لهوية الجماعة، بل لوجودها.

كيف والحال بهذا السوء يمكن أن يزدهر نقد أدبي أو فني، أو أي شكل آخر من أشكال الإبداع الفكري؟

في المقابل، تحتاج الثقافات العربية لأن تملأ القوالب الثقافية الشاغرة: الشاعر الكبير، الناقد الكبير، المفكر الكبير.. الخ. الثقافة تريد أن تبدو كأنها تملك من الكيانات ما يسدّ هذه الفراغات، لتكمل تصوراتها الزائفة عن نفسها أمام نفسها وأمام العالم (الساخر غالبا)، غير عابئة بأن أشياءنا جميعا صارت تشبه الأشياء.

النقد الفني في مصر بين الخلط والتسطيح

ناهد خزام
كاتبة من مصر

❏ لا شك أن وجود حركة فنية سوية في عالمنا العربي تتطلب منجزاً نقدياً موازياً، فليس من الطبيعي أن تستمر التجارب الإبداعية الفنية بمعزل عن النقد، فهو وحده الذي يستطيع تقويم اتجاهها ومسارها والمساهمة في وضعها داخل إطارها الصحيح، المرتبط بمحيطها الإقليمي والعربي ثم محيطها العالمي الأشمل. غير أن الافتقاد إلىٰ حركة نقدية سليمة وحقيقية قائمة علىٰ رؤية واضحة ومنسقة فكرياً يأتي علىٰ رأس المشكلات التي تعاني منها الحركات الفنية في وطننا العربي، وهي شكوى دائمة وملحّة من قبل الفنانين والمهتمين بالفن علىٰ حدّ سواء. وتعاني الحركة الفنية في مصر كغيرها من الحركات الفنية الأخرى في الوطن العربي من ذلك الخلل رغم ريادتها وسبقها في التفاعل مع الحركات الفنية الغربية منذ نهايات القرن التاسع عشر، ما أسهم في إنشاء أول أكاديمية متخصصة في تعليم الفن بمفهومه الحديث في مصر عام 1908 وهي مدرسة الفنون الجميلة التي أسسها أحد أمراء أسرة محمد علي وهو الأمير يوسف كمال.

المتتبّع لحركة الكتابة النقدية المتعلقة بالفنون البصرية في مصر يدرك بعض مواطن الخلل التي تعاني منها تلك الحركة. يأتي علىٰ رأس هذه المشكلات الافتقار إلىٰ الناقد المتخصص الواعي، واقتصار النقد الفاعل علىٰ الكتابات المقدمة في الصحف والمجلات، في ظلّ عدم وجود إصدارات متخصصة أو مؤلفات نقدية حقيقية مهتمة بالفنون التشكيلية إلا فيما ندر. ونجد أن هذه الإصدارات الصحافية غالباً ما تتعامل مع المادة الفنية كمادة مكملة أو من قبيل المنوعات.

وإذا ما نظرنا إلىٰ من يتصدّون للكتابة الفنية في هذه الإصدارات سنجد أن الغالبية العظمىٰ منهم هم في الأصل فنانون دخلوا عالم الصحافة من باب الرسوم الصحافية كالكاريكاتير أو الرسوم المصاحبة للموضوعات (الستريشن)، ثم دُفعوا دفعاً فيما بعد إلىٰ الكتابة من دون إعداد أو سند فكري أو مهني في أغلب الأحيان.

وبطبيعة الحال يملك كل من هؤلاء الكتاب رؤيته الخاصة للفن وطبيعة الممارسة الفنية، ما جعل من حكمهم علىٰ الأمر خاضعاً لتلك الرؤى الشخصية التي تتقاطع في نفس الوقت مع ما يشكّلونه من صداقات أو عداوات مع فنانين آخرين، فيتباين ما يكتبونه بين التحيز والمجاملة أو التحامل أحياناً، فإذا غضب أحدهم علىٰ سبيل المثال علىٰ واحد من الفنانين خسف بتجربته الأرض، وإذا رضي عن آخر رفع من شأنه فوق ما تحتمله تجربته.

قد لا تخرج أحياناً بعد قراءتك لمادة من تلك المواد المنشورة في الصحف عن فنان من الفنانين سوى بالقليل عن طبيعة تلك التجربة وعلاقتها بالممارسات الفنية الأخرى محلياً وعالمياً، لا شيء سوى المزيج من الصور اللغوية والمحسنات البلاغية والتغزل في التجربة أحياناً.

يمثل النموذج السابق نمطا من الكتابة الفنية يمكن أن نميز بينه وبين نمط آخر يميل إلىٰ الاستعلاء والوعظ. غير أن الأزمة الفعلية هنا تتمثل أحياناً في أن هذا الاستعلاء قد يكون دون سند فكري، بل قد يمتلئ بالخلط بين المفاهيم والمصطلحات الفنية والفهم المشوّش لماهية الفن وآلية تطوره كممارسة إنسانية، وهو أمر من شأنه أن يؤدي إلىٰ بناء نقدي مشوّه وغير منصف.

أتذكّر أن إحدى الصحفيات المهتمات بالكتابة عن الفن قد أسرّت لي ذات يوم أنها لا تستطيع تفهم تلك الممارسات الغريبة التي تتبناها إحدى القاعات، قاصدة بتلك الممارسات هذه الأعمال الفنية المعاصرة التي تمزج بين الوسائط المختلفة. ولأنها لا تفهم تلك "الخزعبلات" كما أصرّت علىٰ تسميها حينها فقد آلت علىٰ نفسها أن تهاجم في صحيفتها كل ما يتعلق بتلك الممارسات الهدامة وغير المفهومة من وجهة نظرها.

* لوحة: نهاد الترك

* لوحة: نهاد الترك

في البدء كان السؤال

صوت النقد في الجزائر

سعيد خطيبي
كاتب من الجزائر

❏ في الجزائر سؤال واحد يتكرّر: هل يوجد نقد أدبي؟ نعم، هو موجود، خلف أسوار عالية، في مدرّجات التّدريس بالجامعة، في قاعات المُحاضرات، في جلسات المؤتمرات الدّورية، يتوارى بين مقاعد المقاهي، وفي أركان الحانات، سنجده في رسائل جامعية، مُكدّسة في مكتبات عتيقة، لا تصل إليها الأبصار، وفي جلسات حميمة أو نميمة، ترفض الانتقال من الشّفهي إلىٰ المكتوب. النّقد الأدبي، في الجزائر، يبدو خجولاً، حذراً، متوجّساً، غير قادر علىٰ الخروج إلىٰ النّهار، منعزلاً، يرفض الدّفاع عن نفسه، مكتفياً بصمته، تنقصه جرأة، ولا يمتلك أدرينالين المُقاومة، أو ربما تعرّض، في مرّات ماضية، إلىٰ لدغات، شلّت يداه، تضاعفت خيباته، حتّمت عليه الانسحاب إلىٰ الدّاخل، الاكتفاء بمخاطبة نفسه في مونولوغات مطوّلة، وتجنّب مواجهة القارئ.

مصطلح "النّقد الأدبي" جزائرياً يحتاج إلىٰ وقفة. ما المقصود منه وماذا نريد منه تحديداً؟ في الغالب، هو يُحدّ في فضاء ضيّق، في مقاربات أدبية لكتب أو لكتّاب، في ملامسة شذرات من التّاريخ الأدبي للبلد، وفي تحديد الضّروب (شعر، قصّة، رواية.. إلخ). هكذا يُضيّق النّاقد الأدبي أفق النّظر، ويحدّد واجباته في مهام صغيرة، سبقه إليه الكثيرون، لا يذهب نحو مُساءلات أعمق حول ماهية النّقد الأدبي، وطرق تطويره، ويجد نفسه -لا إراديا- يُراوح مكانه، في اختلاق وإعادة اختلاق كتابات نقدية، لا تخرج من الدّائرة "التّعليمية"، كما لو أن عمله تحدّده المناهج الأكاديمية والإدارية، لا تسكنه روح إبداعية. يصير النّاقد، من تلقاء نفسه، صدى لما فُرض عليه، يُمارس رقابة ذاتية علىٰ نفسه، ولا يكاد يخرج من حيّز ما قرأ وما سمع، وما طُلب منه أن يفعله. نحن نعلم أن الجامعة الجزائرية قد فشلت في تطوير نفسها، وصارت تنفر من الإبداع، قطعت صلتها بمحيطها القريب، تحوّلت إلىٰ ما يشبه جزيرة معزولة، ولكن هل النّقد الأدبي عليه أن يخضع لهذه المُعادلة؟ أليس من واجبه أن "يتمرّد" علىٰ سياسات خنق الإبداع، ويوسّع من حدود مناوراته؟

وظيفة النّاقد لا تتوقّف عند قراءة النّص، نثراً كان أو شعراً، وإعادة عرضه، بل الوظيفة الأهم تبدأ من التّساؤل عن كيفية الكتابة عنه. كيف نخلق نصاً آخر موازيا له، وعن طريقة مُقاربة الخطاب الإبداعي، بغض النّظر عن شكله أو لونه. كلّ نصّ إبداعي له قدرة علىٰ استفزاز تعليقات وآراء، فما كتبه -مثلاً- عبدالحميد بن هدوقة (1925-1996) يحتمل أن تنتج عنه معاجم من التعليقات ومن الانطباعات، وقد يجد النّاقد الأدبي، المكتفي بالمنهج التّعليمي، نفسه أمام سؤال: ما الجدوى؟ سيستصغر دوره، ويشعر بالإحباط، بحكم أنه قد لا يقدّم جديداً في التّعامل مع نصّ ما، مع تركة كاتب راحل، مقارنة مع ما كتب عنه سلفاً!

هناك رأي يقول إن النصّ الأدبي يُشبه جسد شخص مريض، يستوجب تدخّل طبيب/ناقد، ليس للعلاج، بالضّرورة، ولكن للفحص ولتشريح الحالة، ليصل، في الأخير، إلىٰ صياغة حُكم/مُعاينة/قرار بخصوصه. سنجد أن النّقد الأدبي، ومع التّراكمات، يشكّل ضرباً أدبياً مستقلاً، هو نوع مختلف عن البقية، لا يقلّ أهمية عن الضّروب الأخرى، فحين يقترب ناقد من نصّ ما، فهذا لا يعني أنه يقوم بدور ثانوي، إضافي، هو ليس أقلّ درجة منه، بل هو في نفس مرتبة الشّاعر أو القاصّ أو الرّوائي، وبصيغة أخرى هو "نظير" لهؤلاء، فالنّاقد يقف في الرّصيف المُقابل للكاتب، في نفس العلوّ ونفس المستوى. الفرق الوحيد هو شكل تحرير مادته: مقالات، دراسات أو مذكّرات تخرّج. رغم أن النّقد لا يقوم علىٰ ذاته، ويحتاج إلىٰ أرضية/النصّ الإبداعي، فحين يكتمل سيصير نصاً مستقلاً، هو يحتاج إلىٰ عكاز يتكئ عليه، قبل أن يحقق ذاتيته، وينصرف لحاله، ويقطع الحبل السّري، مع النّصّ الأدبي، الذي انطلق منه.

> وظيفة الناقد لا تتوقف عند قراءة النص، نثراً كان أو شعراً، وإعادة عرضه، بل الوظيفة الأهم تبدأ من التّساؤل عن كيفية الكتابة عنه. كيف نخلق نصاً آخر موازيا له، وعن طريقة مقاربة الخطاب الإبداعي، بغض النظر عن شكله أو لونه

إن انسحاب النّاقد الأدبي المتخصّص، في الجزائر، وانعزاله، ومع توسّع نشاط وسائط التّواصل الاجتماعي، سمح بظهور وتطوّر "النّاقد الاستعجالي"، وهو القارئ العادي، الذي يميل لتغليب الانطباع علىٰ المنهج، الذي يحكم انطلاقاً من ذائقة آنية، ولا يحتكم إلىٰ النّظرية، ولكن هذا النّاقد له خصوصية وأفضلية، فآراؤه -غالباً- ما تكون وفيّة لما يفكّر فيه، هو يصدر رأياً انطلاقاً من إحساس، من اقتناع، وكثير من الكتّاب باتوا يثقون في ذائقة القارئ/النّاقد الاستعجالي، ويبنون عليها شكل تلقي نصّ ما لهم. وتبقىٰ الحلقة الوسطىٰ، بين النّاقد المتخصّص، المنسحب خلف أسوار الجامعة أو المختبئ في مقاعد المقاهي، والنّاقد الاستعجالي، هو النّاقد الإعلامي. وهو نوع من النّقاد، الذين خرجوا من ضلع الأدب، يكتبون عن نصوص ما وهم -في الدّاخل- يقارنونها مع نصوص لهم، يكتبون عن كتب، ويحاولون ردم بعض الهوّة التي اتّسعت، في الجزائر، بين النّاقد/الأكاديمي والقارئ. لا ننكر فضل الصّحافة علىٰ الأدب، في البلد، فلولا جهد بعض الصّحافيين، لدُفنت كثير من النّصوص المهمّة، ولم تصل يوماً إلىٰ القارئ. بعض النّقاد الجامعيين، الرّاغبين في فكّ الحصار علىٰ أنفسهم وعلىٰ زملاء لهم، يلجأون أيضاً للصّحافة، لنشر قراءات لهم، لكنه نشاط موسمي، لا يعرف الالتزام، يظهر في فترات، علىٰ غير تحديد، وسرعان ما يضمر، ليعود النّاقد الإعلامي، ويجد نفسه وحيداً، في مقابلة النّاقد الاستعجالي، علىٰ وسائط التّواصل الاجتماعي.

ينشر الملف بالتعاون مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنصوص كاملة على الموقع الإلكتروني

أميركا التي لي

حوار مع الشاعر جيمي سانتياغو باكا

جيمي سانتياغو باكا شاعر أميركي من أصول هسبانيّة وأميركية أصليّة، ولد في 1952. تخلّى عنه والداه وهو في الثانية من عمره، فتعهدته جدته بالرعاية عدة سنين، قبل أن تودعه للعيش في ميتم. يهرب من الميتم وهو في الثالثة عشرة ليعيش حياة الشوارع، حتى يُقبَض عليه وهو في الحادية والعشرين من عمره بتهمة حيازة المخدرات، فيقضي في السجن ست سنين ونصف السنة، ثلاثة منها في عزلة مشددة. هناك، في زنزانته الصغيرة علّم نفسه القراءة والكتابة وبدأ في نظم الشعر. كان يبيع تلك القصائد لزملائه مقابل السجائر. وفي لحظة ما، أقنعه أحد رفاقه السجناء بأن يرسل بعض ما يكتبه إلى مجلة "مَدَرْ جونز" التي كانت تشرف على تحريرها، آنئذ، الشاعرة المرموقة دنيس ليفرتوف؛ فلم تتوان ليفرتوف البتّة، آن قرأت تلك القصائد، عن نشرها فورًا، ثم ما لبثت أن راحت تراسل باكا باحثةً له، بعد ذلك، عن ناشر لكتابه الشعريّ الأول "مهاجرون في أرضنا نحن" الذي سرعان ما تلقفه النقاد بمديح كبير. وفي العام 1987 نالت سيرته الملحميّة المنظومة شعرًا "مارتن والتأملات في الوادي الجنوبيّ" "جائزةَ الكتاب الأميركي"، في فئة الشعر فذاع صيته ليحصل في العام 1989 على "جائزة التراث الهسبانيّ في الأدب". من كتبه الأخرى: هزّات أرضية شافيه (2001) وأضرم النار في هذا الكتاب (1999) وفي طريق الشمس (1997) وقصائد الهضبة المستوية السوداء (1995) وقصائد مستلّة من فناء بيتي (1986) وما الذي يحدث (1982). كما كتب سيناريو فيلم، قائم على تجربته الحياتية، بعنوان "محكومون بالشرف"، الذي أصدرته هوليوود في العام 1993 بعنوان "دمٌ داخل ودمٌ خارج" من إخراج تيلر هاكفورد. وصدرت له في العام 2009 روايته "كأس ماء".

* قلم التحرير

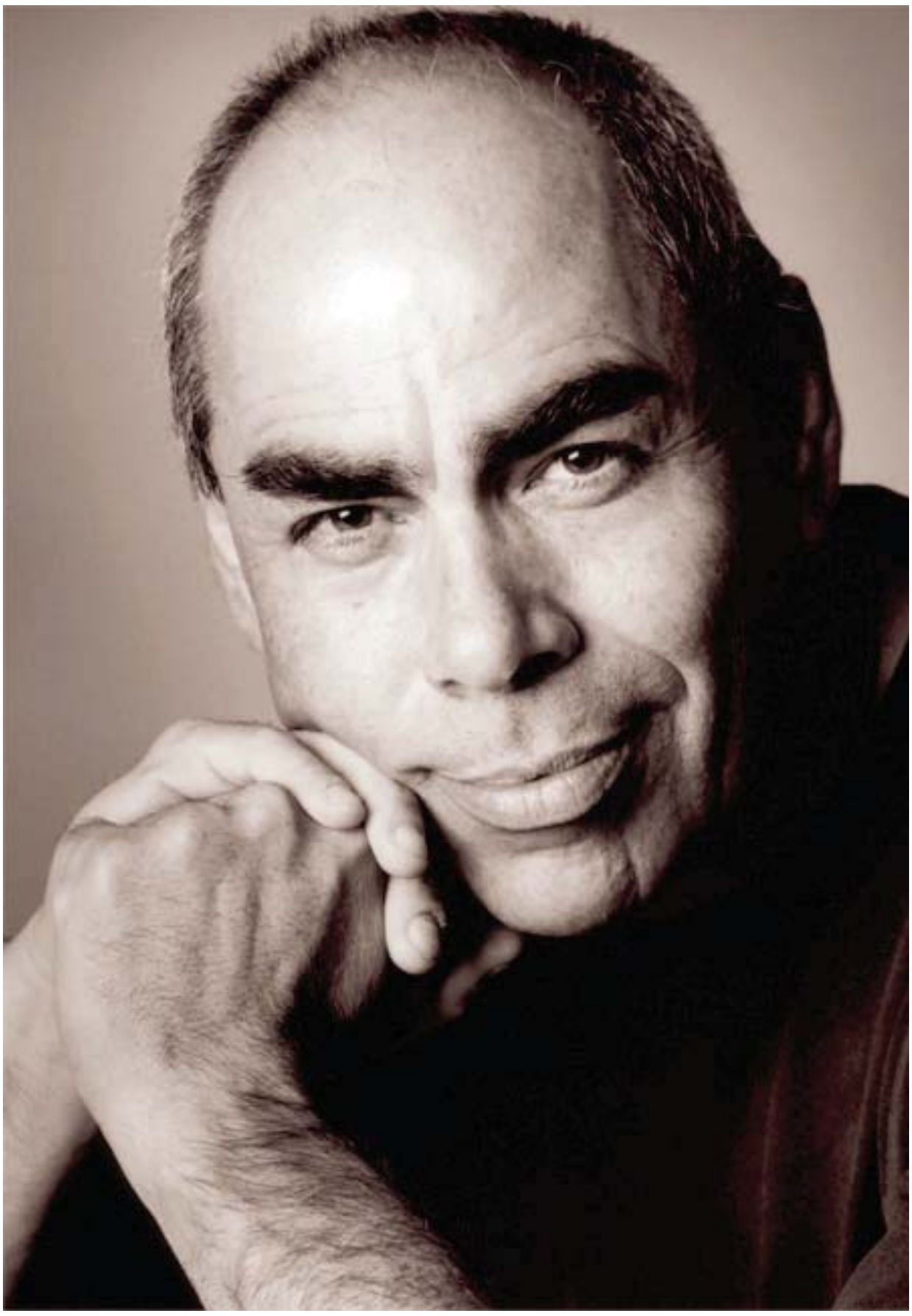

جيمي سانتياغو باكا: اللغة وسيلة للحفر في جبل الحياة

❑ الجديد: تخلى عنك أبواك حين كنتَ في الثانية من عمرك، وفي سن الثالثة عشرة هربت من الميتم، لتعيش حياة الشوارع، ثم يحكم عليك –وأنت في الحادية والعشرين– بتهمة حيازة المخدرات، فتودع السجنَ المشدد، حيث تعلّمت هناك القراءة وبدأت في كتابة الشعر. هل لك أن تستفيض في الحديث عن هذه التجربة، وكيف "أنقذك" الشعر من ذلك "العالم"؟

● **سانتياغو باكا: لا شيء ينقذك من أيّ شيء البتّة. منحتني الكلمات منظورًا أرى من خلاله، فأحظى بوجهة نظر مختلفة. لقد تعلّمت لأرى الأشياء على نحو مختلف. إنّ فكرة "أن يُنقَذ المرء" –الفكرة برمّتها– مفهوم نخبويّ، وهراء لفظي في حدود اللياقة الأدبية أو الكياسة السياسية. يتوجب عليك أن تعمل جاهدًا لتشبّ وتكبر، أن تناضل كي تتعلم كيف تتعامل مع المواقف بطريقة مختلفة، "أن تُنقَذ" من مرض مزمن لفكرة أن يولد المرء من جديد التي يستخدمها المسيحيون لتبرير تزمّتهم وتعصبّهم الأعمى. لست يائسًا وحزينًا. فأنا أكتب الآن، ولقد كتبت طيلة أربعين سنة، ولقد تجنّبت الشلليات الأدبية لأكون شاعرًا، فالشعراء لا يتزلّفون ولا يتملقون أنفسهم أمام أقرانهم الأدباء، إنهم يكتبون ومنهمكون في الحياة بكامل جوارحهم ضاربين الصفح عن أن يكونوا مشهورين أو ذائعي صيت أو أيّ شيء من هذا القبيل.**

يتوجب عليك، لكي تكون شاعرًا حقيقيًا أن تغيظ الناس، أن تزعجهم. ألّا تكون لديك أجوبة، بل أن تكون الحاضرَ الشاهدَ، أن تكتب وتحيا وتجازف، وأن تطلق ساقيك للريح كي تحطّم هرميّةَ الحمقى الذين يعدّون أنفسهم أذكياء؛ أنْ تَبُسَّها بَسًّا. أنظر من حولك، وشاهد الخراب الذي منحتنا إيّاه شطارتهم؟ أنظر من حولك وشاهد كيف يحلون المشاكل عن بُعْد، كي لا يوسّخوا أيديهم. الشعراء يتّسخون ويَدْرَنون. يصبحون سافلين ولئيمين. الشعراء يعانون. الشعراء لا يَغْتنون ولا يتودّدون إلى المُنعمين وواهبي العطايا، ولا ينحنون ولا يذلّون أنفسهم بأنْ يصبحوا متملّقين ومداهنين ولاعقي أحذية، ولكنّهم يخطئون ويمتلكون ماضيًا غامضًا، يشتهون بلهفة ويكرهون، وإنهم لوحيدون ومفعمون بالحياة وبالحيوية وبالشغف. إنهم يعملون مع الأطفال والآباء والمساجين، ولا يتشبّثون بالجاه والمكانة الزائفة، إنهم لا يتملكون تأمينًا على الحياة ولا يقبّلون وجنات القائمين على دوائر اللغة في الجامعات، إنهم يثورون ضدّ المشاريع المزيّفة، إنهم آدميّون بكل ذنوب الصقر العالق في المصيدة، وبكل مسرّاته أيضًا.

■ الجديد: أنت، إذن، تؤمن بالدور الاجتماعي الذي يقوم به الشاعر؛ أن يكون منهمكًا من الناحية السياسية، أن يناضل، ولا يخضع لـ"هرميّة الحمقى" التي سببت كل ذلك الدمار الذي من حولنا. أن يكون الشاعر، علاوة على كل ذلك، شاهدًا على عصره؟ بأيّ معنى تعتقد بأنّ القصيدة يمكن أن تكون أثرًا، ودليلا، حين

> يتوجب عليك، لكي تكون شاعرا حقيقيا أن تغيظ الناس، أن تزعجهم. ألا تكون لديك أجوبة، بل أن تكون الحاضر الشاهد، أن تكتب وتحيا وتجازف، وأن تطلق ساقيك للريح كي تحطم هرمية الحمقى الذين يعدون أنفسهم أذكياء

–على حدّ قولك– وهراء لفظيّ في حدود اللياقة الأدبية أو الكياسة السياسيّة؟

● **سانتياغو باكا: أنت محق، وما قلته صحيح، لقد أنقذني الشعر، ولكن ضع في الحسبان بأنّ التجربةَ متقلّبة/مزاجيّة، وانسيابيّة.. والنَّيْهُوْرُ ●الكتلة الضخمة■ يبدأ بحصاة. يعشق الناس فكرة أنّ الشعر أنقذني، فهي فكرة تتأقلم مع منطقة ارتياحهم، إنّ فكرة قدرة الأدب على الخلاص تتناسب مع جبلّة أولئك الذين يمتلكون وظائف ويؤمنون بالأدب ويستطيعون القراءة، قراءة كتبهم الخاصّة، ويعيشون حيواتهم الخاصّة. لقد أنقذني الشعر حين احتجتُ إلى الخلاص في زمان ومكان معيّنين، ولكنّه لم ينقذني من الخيانات، من الفقر، من الحنَق، ومن الجور أو العنصريّة. لقد استخدمت اللغة سلاحًا للمناورة، لفهم الرعب الذي ينطوي عليه حزني؛ فلقد كان الشعر، الذي هو الكلمات، أكوابًا من صفيح طافحة بدموعي، شربتها حين عطشتُ. لا يكفي الشعر كي يشفي جروح الحروب، ولا يكفي لحجب عزلة المرء؛ إنه يفعل ذلك من وقت إلى آخر، عند الضرورة، كما يفعل السراب تجاه التائه في الصحراء. تؤمنُ، فيقود ذلك الإيمان رحلتك، وينقذك من الجلوس منتظرًا، ينخرك اليأس، إنه يأخذك قُدُمًا، أعمقَ، إلى داخل نفسك، ولكنّه لا يظلّ ساكنًا، فهو ليس أداة توازن واستقرار، فقوّته السحرية تتدفّق حين يكون المرء في غاية الضياع، وفي غاية الاحتياج.. يسبغ عليك حريّة لتهرب من منطقة الحرب الرهيبة لظروفك الخاصّة، ولكنه لا يُبعِد عن عديد مناطق الحروب الأخرى التي تنتظر خلف التلة الأخرى والتلة والأخرى والأخرى.. يمدّك الشعر بحبل لتشدّ به نفسك وترفعها إلى الأعلى، أو تشنق به نفسك، إنه يحرّك لتصبح مدمنًا، سكّيرًا، إنّك الآن حرٌّ لأن الشعر أنقذك، وسمح لك بأن تكذب وتغشّ وتسرق وتدمّر نفسك، إنّه يخلّصك من جُبْنك، ومن عجرفتك التامّة، إنه يخبرك بأن تستخدم هذه اللُّقْيَا الجديدة في فعل ما تشاء، فكل ما قد يؤذيك، أو يتلفك، هو الآن رهنٍ مشيئتك، بحريّة وبلا أيّ قيود.. يجرّدك الشعرُ من حلّة المُرتّل (قارئ القُدّاس) ويمنحك أعواد الثقاب كي تحرق الكنيسة وطواغيتها السماوية.**

■ الجديد: يشار إليك كـ"مستيزو Mistizo" (الخلاسي الذي يجمع بين التراث الإسباني وتراث سكّان أميركا الأصليين) وتقدم نفسك، في كثير من أعمالك، بوصفك لامنتميًا (outsider)"، على حدّ وصف كاثرين هاردي. أعتقدُ بأنّ صفة "اللا انتماء outsideness"، هذه، هي ما دفعتك إلى أن تولي اللغةَ اهتمامًا بالغًا وواعيًا؛ ليس بوصفها طريقة "للاقتصاص من خيانات الحياة بأكملها، وتصفية مرارة الظلم والاستبداد وتطهيرها" فحسب، بل كطريقة تحرُّر تُحوّلُ النفس الجوّانية لتكون قادرة على "الهروب، والانغماس، مطلقةَ العنان؛ معانقةً الأرضَ والكونَ أو جاحدةً بهما"؟ هنا، تصبح قوة الكلمات قوّةَ التاريخ ذاته؛ التاريخ الذي يقودك إلى الرحلة الطويلة صوب نفسك الحقّة؟ أليس كذلك؟

● **سانتياغو باكا: أعتقد بأنّ ذلك صحيح. أظنّ بأنّ "اللّاانتماء"، في أيّ زمن أو عصر، هو طريقة الوجود الوحيدة، العاقلة والمنطقية. وأرجو أن لا يسمح الله بأن أخضع وأهادن –سواءً بالصمت أو السلوك– ببيع ما أملكه من فضائل وأخلاق، بضاعةً رخيصة، في سوق الحوائج المستعملة، إلى الزّومبي الأثرياء.. فلا شيء للبيع، فأنا لا أملك أيّ شيء للبيع. إنني أحبّ اللغة بقدر ما أحبّ زوجتي التي تستيقظ غضبانة وسعيدة، والتي تطبخ أطباقًا شهيّة في بعض الأحيان، فيما تسمّمني في أحايين أخرى، والتي تبدو جميلة وبشعة، والتي أكرهها وأعشقها مثل كل الأشياء التي في الحياة، ليست التجربة الحقيقيّة ساكنة، لا تتغيّر، كما يعيش معظم الأميركيين حيواتهم اليوم؛ فالذين يعيشون حياة جامدة –أو العنصريّون أو المتعصّبون أو الجشعون الذين يكدّسون الأموال– يتزاحمون بالمناكب ليجنوا مزيدًا من المال، ومزيدًا من المال. ما أريد قوله هو أنّ نزعة "اللّاانتماء"، هذه، موجّهة ضدّ الحياة نفسها؛ اسأل أيّ شجرة أن تراقب أيّ عامل عاديّ في أيّ نهار، وسوف تجده مصدّقًا بكل ورقة خضراء تستحيل شاحبة وتسقط من فوق الأغصان. إنني أعشق الحياة، إنني أعيشها. إنني أستثمر حياتي. اللغة وسيلة أستخدمها للحفر عميقًا في جبل الحياة، فأكتشف على الدوام الذهب الخالص، والطرق الجديدة التي سوف أسلكها والنباتات الجديدة والحيوانات. لقد توقفت عن الكتابة لاثنتي عشرة سنة –أو لعلّي شعرت حينئذ أن الكتابة سوف تكون عبثيّة– ولكنني عدت الآن إلى الكتابة ثانية، بمتعة وقفزات عظيمة من الحب والإيمان، حيث أنهيت للتوّ تأليف رواية جديدة ومخطوط جديد من الشعر. كما أنني أتطلع إلى إنجاز كتابين آخرين، رواية وسيرة، كنت أحملها في قلبي لعقد من الزمان، فثمّة جبال يتوجب تحريكها.**

■ الجديد: هل كانت فترة الانقطاع عن الكتابة، تلك.. بسبب عدم القدرة على الكتابة، أم كانت خيارًا شخصيًا؟ ولو كانت خيارًا شخصيًا، فهل كانت "خيار" الذي لم يَعُد مؤمنًا (في تلك اللحظة بالذات) بـ"دور" الشاعر (إن كان ثمّةَ دورٌ!) بوصفه "صَوتًا حُرًا" ضدّ كل ذلك "الضجيج السّافر الهادر" الذي لا يكفّ عن مطاردة أحلامنا بـ"حياة أفضل"؟ كما لو أنّ "الواقع"–بكلّ "جوره" و"مصائبه" و"مرارته"– قد قهرنا جميعًا؟

● **سانتياغو باكا: بل بسبب بعض المسائل الشخصية والمشاكل المالية، فاحتجت إلى الابتعاد كي أُجدّد منظوري إلى الحياة. كلّا لم أفقد الإيمان بدور الشاعر، فإنني دائمًا أؤمن بدور الشاعر كصادح بالحقيقة، يهديه الله، إنه رجل القبيلة ذو الرؤية المتوحّدة..**

أجرى الحوار بالمراسلات: تحسين الخطيب

رحلة في عوالم النوبة البيضاء

تشكيليون يبحثون عن الجمال وراء الملامح المطموسة

لا تزال لوحات التشكيل النوبية محافظة على عناصرها الرئيسية رغم التغيرات التي عاشها النوبيون بمصر على مدار تاريخهم. تنقّب عن سحر الجمال بين القباب الطينية البيضاء ودرجات الأزرق المتباينة بالسماء ونوافذ المنازل، مع أحمر قاتم يفضّله النوبيون كثيرًا في منسوجاتهم وأغطية رؤوس الفتيات التقليدية.

محمد عبدالهادي

❏ تجمع لوحات التشكيل النوبية خصائص مشتركة، ألوان زاهية متداخلة. منازل بيضاء أغلبها ذات قباب. وجوه تذوب تفاصيل ملامحها مع الكيان الكلي للوحة، فالفنان النوبي الذي لا تسيطر على عقله قضية العودة إلى أرض الأجداد التي تم تهجيرهم منها قبل 57 عامًا إبان بناء السد العالي لا يزال منشغلاً بنمط حياة النوبة القديمة والباقي منها أكثر من وجوه قاطنيها.

ومرّ النوبيون بأكثر من رحلة هجرة طوال تاريخهم أولها مع بناء خزان أسوان عام 1902 الذي ارتفع معه منسوب المياه خلف الخزان ليُغرق عشر قرى نوبية، ثم تعلية الخزان بعدها بعشر سنوات لتغرق 8 قرى أخرى، لكن كان بناء السد العالي عام 1960 الحدث الأكبر الذي رحل معه غالبية النوبيين إلى أسوان التي تبعد 1200 كيلومتر عن القاهرة.

ألوان متعددة

يقول محمد الجنوبي، فنان تشكيلي من أسوان، إن الفن التشكيلي النوبي يتفرّد عن باقي الفنون التشكيلية في استخدامه حزمة ألوان تعبّر عن التراث العريق والحضارة القديمة التي ينحدرون منها، فالفن النوبي يمكن توصيفه بأنه توثيق تاريخي بالرسم للحفاظ على ميراث قديم يجاهد النوبيون للحفاظ على ما تبقّى منه.

ولأهالي النوبة عشق للألوان تسرّب تلقائيا إلى التشكيليين الذين عبّروا عنها، فلا توجد لوحة تخلو من الأحمر القاتم الأحمر أو الأبيض والأزرق اللذين ارتبطا بالسماء الزرقاء ومياه النيل، وهي التي اتسمت بها بيئة النوبيين الأصلية والتي نقلوا معالمها معهم إلى الأماكن الجديدة التي قطنوها بأسوان.

ويضيف، لـ"العرب"، أن الفن التشكيلي النوبي حافظ على معظم ملامحه رغم هجرة النوبيين إلى محافظات الصعيد المجاورة التي تتسم بتركيبة سكانية خاصة، إذ تضمّ ذوي الأصول القبلية العربية والسكان الأصليين بجانب النوبيين الذين يحافظ غالبيتهم على تراثهم، سواء في ما يتعلق ببناء المساكن أو الأزياء.

واعتمد فن البناء عند النوبيين على الطوب اللبن المصنوع من الطميّ أو الطيني المحروق في تشييد مبانيهم ذات القباب والأقواس التي تتسم بفتحات صغيرة وضيقة، لحجب أشعة الشمس والسماح بالتهوية والإضاءة والحفاظ على حرارة المنزل صيفا وشتاءً.

ورغم عناصر التشابه التي تجمع بين اللوحات المعبّرة عن صعيد مصر واللوحات النوبية، إلا أن الأولى تتسم بالتركيز على الوجوه الخشنة والطبيعة القاسية للحياة، بينما تتصف معظم اللوحات النوبية بطمس أوجه البشر ليظهروا كجزء من مزيج المكان وطبيعة البيئة.

ويعزو الجنوبي طمس الوجوه إلى الجيل الأول من روّاد التشكيل الذين تناولوا النوبة والذين غلب عليهم الرسم التوضيحي، إذ صبّوا جل اهتمامهم على الفكرة أكثر من الشخص، كما أنّ كثيرا منهم رسم لوحات عن النوبة بإيعاز رسمي من السلطة حينها لتوثيق حياة النوبيين قبل بناء السد العالي وبعده.

وتمّ رسم أشهر اللوحات النوبية بتكليف من وزارة الثقافة المصرية في فترة الستينات من القرن الماضي، كلوحات "قرية نوبية" و"سيمفونية النوبة" و"الكركديه" و"مركب في النوبة" و"البخور في النوبة" و"فتاة من النوبة" و"طقوس الزواج في النوبة".

> اللوحات النوبية لا يمكن عزلها عن اتجاهات الفن التشكيلي لجنوب مصر بوجه عام من الملامح الداكنة أو البنية المحروقة للبشرة لمعظم الجنوبيين

وتعتبر لوحة "فرحة النوبة" للفنانة الراحلة تحية حليم أغلى وأشهر لوحة نوبية، إذ بيعت في مزاد لفنون الشرق الأوسط المعاصرة بدبيّ عام 2015 بنحو 749 ألف دولار ورسمتها بتكليف من وزارة الثقافة المصرية أيضًا، للتعبير عن "فرحة النوبة" بالرئيس جمال عبدالناصر وبناء السد العالي.

طقوس الحياة

لا تزال اتجاهات وصف المكان وطقوس الحياة والعرائس وحفلات الحناء هي الاتجاه الغالب في تجسيد النوبة دون التعبير عن ملامح الشخوص أنفسهم، وتتسم البعض من تلك اللوحات بالفقر الفني ولا تتعدى رسومات بسيطة بألوان زاهية بصورة مبالغ فيها في بعض الأحيان.

ويقول عبدالفتاح البدري، فنان تشكيلي من أسوان، إن العمامات عنصر هام لكل التشكيليين الذين يتناولون جنوب مصر لا سيما لوحات النوبة، فيمكن اعتبارها مصابيح بيضاء ناصعة تعطيها ضوءًا، خصوصا في اللوحات ذات المسقط الرأسي التي يرسمها الفنان كما لو كان مستقلاً طائرة، وينقل ما يراه من نوافذها.

ويعتبر الفنان التشكيلي الراحل حسن بيكار رائد مدرسة طمس الوجوه في التعبير عن النوبة، إذ تناول في لوحاته الحياة النوبية ولم تظهر في أي منها ملامح الوجوه بل عبّرت كلها عن معاني الحب والسلام، وكان البشر عنده مجرد وسيلة لتوصيل الفكرة وليس غايتها. ويضيف البدري، لـ"العرب"، أن اللوحات النوبية تركز على ثلاثة عناصر رئيسية هي الحركة واللون والتكوين، والتي يتم التعبير عنها كثيراً بحفلات الرقص والعرس والحناء وتشكيلة ألوان زاهية صريحة خصوصًا الأحمر والأصفر والأزرق، مع الحفاظ على سمات القرية النوبية ذاتها من البساطة والأطرزة المعمارية المميزة لها.

ويشير إلى أن الملابس النسائية النوبية ذاتها شبيهة بلوحات التشكيل التي تعبّر عن الربيع، فأغطية الرأس التي ترتديها الفتيات تشبه باقات الزهور المتنوعة، إذ تضم ألوان الأحمر والأصفر والأبيض والزهري.

وترتدي الفتيات غير المتزوجات في النوبة "الجرجار"، وهو رداء شفاف طويل ملوّن يزداد طوله من الخلف عن الأمام، مع غطاء للرأس يمتد لقرابة المترين من نفس خامة القماش ولا يظهر منه غير الوجه، بينما ترتدي المتزوجات الزيّ ذاته لكن باللون الأسود فقط.

ويؤكد البدري أن اللوحات النوبية لا يمكن عزلها عن اتجاهات الفن التشكيلي لجنوب مصر بوجه عام من الملامح الداكنة أو البنية المحروقة للبشرة لمعظم الجنوبيين، والتي تدفع الكثيرين للخلط بين الوجوه التي تخص النوبيين وأهالي الصعيد بجانب التغيّرات التي أجراها النوبيون ذاتهم على نمط زخرفة بيوتهم مع وصول الديانات السماوية إليهم.

امتزاج فني

امتزجت الرسومات التقليدية للنوبيين على منازلهم ببعض الفنون الأخرى كالفن القبطي بعد فرار المسيحيين من شمال مصر إلى النوبة هربًا من الإمبراطور الروماني "دقلديانوس" لتدخل العديد من الرسومات الجديدة إلى جدرانهم، كرسوم الأزهار والحيوانات والطيور، وتقلّ الأعمال المتعلقة بالأساطير القديمة.

ومع دخول الإسلام مصر، بدأ النوبيون في تغيير رسوماتهم ليغلب عليها طابع الزخرفة الإسلامية سواء بالخطوط أم بالأشكال الهندسية، ثم جاءت النقلة الثالثة مع بناء السد العالي والتهجير لتبدأ موجة فنية لا تزال مستمرة حتى الآن من الاهتمام بالتراث القديم في المنازل والأزياء والعادات.

يؤكد البدري أن عادات رقص الرجال وحفلات الحناء النوبية ومواكبها طالما جذبت الفنانين التشكيليين القدامى، إذ كانت الهدايا تتحرك من منزل العريس إلى عروسه في موكب يمر بالقرية كلها.

وتسمّى ليلة الحناء عند النوبيين بـ"الكوفرية" وفيها ترتدي العروس "الجرجار" التقليدي الأحمر حتى الانتهاء من الزينة، وبعدها سارية نوبيًا أحمر يشبه الساري الهندي التقليدي ويختلف عنه في طريقة التطريز وتغطيته لمنطقة البطن.

لا تحتاج اللوحات النوبية إعمال العقل كثيرا لرصد ملامحها أو مضامينها، إذ ينقل الفنان أفكاره بسهولة إلى المتلقي ليعيده معه سنوات للوراء للاستمتاع البصري بحياة لا يعرفها إلا من عايشوا النوبة القديمة أو زاروا القرى النوبية الجديدة المبنية على غرارها.

تم رسم هذه اللوحة وغيرها من لوحات المعرض بتكليف من هيئات ثقافية رسمية

مدرسة للموسيقى المصرية التقليدية في باريس

موسيقار مصري يحاول إدخال الموسيقى العربية إلى المنهج الفرنسي

عمار المأمون
كاتب من سوريا

❏ ما إن أنهى الموسيقي وعازف الكمان المصريّ مصطفى فهمي دراسته في باريس عام 2015 حتى بدأ بتأسيس مدرسة الموسيقى المصرية بالتعاون مع المركز الثقافي المصري في باريس، وقبل ذلك، كان قد نظّم مجموعة من الورش الموسيقية داخل المركز بالتعاون مع عدد من معاهد الموسيقى الكلاسيكية، كما أقام عددا من الحفلات في فرنسا وأوروبا تحمل الطابع الشرقي بشكل عام والمصري بشكل خاص، بالإضافة إلى إطلاقه عددا من الفرق الموسيقية التي تهدف إلى تحديث المحتوى الموسيقي العربي.

"العرب" التقت مصطفى فهمي في حديث عن مسيرته المهنيّة وتجربته في تأسيس مدرسة الموسيقى المصريّة بباريس.

بدأ فهمي دراسة الموسيقى في عمر مبكر، إذ التحق بأكاديمية الفنون بالقاهرة عام 1994 ولم يكن أتم الـ6 سنوات، وما إن تخرج من المعهد العالي للموسيقى حتى التحق بأوركسترا القاهرة ليبدأ مسيرته كموسيقيّ محترف سواء في مصر أو أوروبا، ليسافر بعدها لدراسة الموسيقى الكلاسيكية في باريس، يقول الموسيقي "وقعت في غرام الفنون منذ كنت صغيرا وعرفت أهمية التعاون بين الفنانين لمد جسور التواصل المختلفة، وخلال رحلاتي الكثيرة شاركت في عدد كبير من المهرجانات والفعاليات بهدف خلق نوع جديد من التواصل على المستوى الدوليّ، ومع نضج وعيي الجمالي حاولت استخدام مهاراتي الفنية للتواصل مع الحضارات الأخرى لتصبح الموسيقى جواز سفري إلى العالم من الشرق الأقصى حتى أبرز العواصم الأوروبيّة، مرورا بالعالم العربيّ".

حلم قديم

يقول فهمي إن مشروع المدرسة في باريس لم يكن وليد اللحظة إلا أن العديد من الصدف ساهمت بتبلوره، إذ وصل إلى باريس عام 2011 لمتابعة دراسته الأكاديمية التي ما إن أنهاها حتى بدأت تتبلور لديه فكرة المدرسة، وذلك إثر الاحتكاك المباشر بالمؤسسات التعليمية في باريس، وكذلك بسبب موضوع بحثه الجامعيّ عن المقامات العربية والمؤلفات الموسيقيّة المصرية. ويضيف "بدأت بتأسيس المدرسة بالتعاون مع وزارة الثقافة المصرية والمكتب الثقافي المصري لإقامة ورشة عمل في كونسيرفتوار باريس، عن موسيقى الفنان عبده داغر عازف الكمان والمؤلف الموسيقي، لتكون هذه الورشة لحظة ميلاد المدرسة في العاصمة الفرنسية".

وأثناء تأسيس المدرسة وسعيه لاختيار المدرسين بحث فهمي عن العازفين الأكاديميين المختصين بالموسيقى الشرقيّة في باريس بحيث تكون هناك لغة مشتركة بينهم واطلاع كاف على الموسيقى الكلاسيكيّة، إلا أن العقبة التي واجهته كانت ضبط أسلوب العزف واختلاف طريقة صنع الآلات والمناهج الموسيقية بين الدول العربية، ويقول إنه بعد رحلة بحث طويلة تمكن من إيجاد العناصر المناسبة التي تستطيع نقل التراث الكلاسيكي العربي بصورة معاصرة، ففصل القانون على سبيل المثال يديره الأكاديمي اللبنانيّ إيلي أشقر الحاصل على دكتوراه في تاريخ آلة القانون حسب المنهج المصري، إلى جانب آلات أخرى يقوم هو بتدريسها أو بالاستعانة بمدرّسين استضافهم من مصر لفترات محددة لتوسيع نشاط المدرسة وجعل الطلاب على تماس مباشر مع الموسيقيين الشرقيين.

احتراف أكاديمي

يتحدث فهمي عن كيفية بنائه واختياره للمنهج المعتمد وذلك عبر الاطلاع على مدارس موسيقيّة أخرى في باريس تعمل على مناهج مشتركة من دون تخصص، ما دفعه لجعل المدرسة تتخصص في المنهج المصري، وذلك للتعريف به بشكل أكاديمي واحترافي. ويضيف "تسعى المدرسة للعمل مع الموسيقيين المحترفين لمجاراة المنهج الفني المعاصر في الغرب، وخصوصا أن هناك مرحلة انفتاح يمر بها الكونسيرفتوار في أوروبا، لكن أبوابها مفتوحة أيضا للهواة والمبتدئين عبر مناهج مستخدمة في كل من مصر وأوروبا، سواء في ما يخصّ نظريات الموسيقى العربية أو الغربية، إلى جانب تعليم طرق عزف الآلات على المنهج المصري وأساسياته. أما بخصوص المحتوى الفني فهو متنوع بين التقليدي والفلكلوري والأغاني المعاصرة، لكن الأهم يظل احتراف الآلة وفهم طرق التعامل معها وقراءة النوتة الموسيقية".

ويضيف الموسيقار أن استراتيجيّة المدرسة على المدى البعيد هي العمل مع طلاب الموسيقى داخل الكونسيرفتوار في فرنسا، إلى جانب تطوير برامج للتعاون مع معاهد الموسيقى في الوطن العربي، لاعتماد شهادة دبلوم موسيقى عربية في فرنسا، ما من شأنه أن يساهم، في المستقبل، في تخريج جيل من الموسيقيين المحترفين بعد اجتياز امتحان التخرج.

مصطفى فهمي: الموسيقى جسر روحي بين الثقافات

نشاطات شتى

تنظم المدرسة إلى جانب الصفوف التعليميّة ورشا وأياما مفتوحة للتعرف على الآلات الموسيقيّة وطرق صناعتها. فضمن آخر ورشة استضافت المدرسة مغنية الفلكلور هند الراوي، التي قدمت نماذج من الفلكلور المصري تتعلق بالغناء والملابس من مناطق مصر المختلفة، كما استضافت عازف الناي جون سامي، من الفرقة الوطنية للموسيقى العربية في مصر، لتعريف الطلاب على آلة الناي والنماذج المختلفة منها. كما حضر أيضا عازف الإيقاع الشرقي أمير عزت، الذي إلى جانب كونه موسيقيا محترفا هو مختص بصناعة الآلات الإيقاعيّة باستخدام مواد طبيعية على الطرق القديمة كالفخار وجلد السمك والماعز. وتسعى المدرسة، أيضا، للتعريف بالآلات الموسيقيّة الأصلية عبر معارض تساهم في نشر هذا النوع من الموسيقى، وقد نظمت المدرسة عددا من الحفلات المتنوعة العام الماضي شارك فيها فنانون من تونس والمغرب ولبنان والأرجنتين وبلجيكا وتوغو وفرنسا.

ويضيف أخيرا "للمدرسة دور في تقديم وتطوير أنواع جديدة من الموسيقات عن طريق دمج الألحان التقليدية مع الأساليب المعاصرة كالموسيقى الإلكترونية أو الجاز كتجربة 'نوبة بلوز' وفرقة 'روح الشرق' و'المشروع الشرقي الإلكتروني' التي يمكن تصنيفها ضمن فئات الموسيقى البديلة، لكن بصيغة احترافية تدعو لنشر الموسيقات الشرقية والحث على تعلّمها وربطها بتناغم مع موسيقات العالم".

احتفال بعصر السينما والكومبارس هو البطل

الفيلم التسجيلي المصري «عندي صورة»

مطاوع عويس بجوار أحمد مظهر

وراء العملاق محمود المليجي

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

يمكن اعتبار الفيلم التسجيلي المصري الطويل "عندي صورة: الفيلم رقم 1001 في حياة أقدم وأشهر كومبارس في مصر" لمحمد زيدان فيلما تجريبيا بكل معنى الكلمة. فهو يطرق دروبا جديدة بعيدة تماما عما هو مألوف في الأفلام التسجيلية حتى تلك التي تميل إلى كسر التقليدي والسائد منها.

محمد زيدان الذي عمل طويلا كمساعد مخرج، يخوض هنا تجربته الأولى في الإخراج، لكنه يختار أيضا ألا يكون مخرجا بالمعنى التقليدي المستقر والمتعارف عليه، بل يترك لنفسه العنان، أولا: للارتجال أمام الكاميرا، فهو يظهر بصورته وصوته في الفيلم، سواء في المقدمة وسط بطلي فيلمه، أو في مؤخرة المشهد، ويظهر معه مساعدوه ومنتج الفيلم، ويحرص على الاحتفاظ في الفيلم بالأحاديث والمناقشات التي تدور بين أفراد الطاقم وبطل الفيلم الممثل الثانوي (الكومبارس) مطاوع عويس.

> يقوم الفيلم إذن على لعبة تبادل الأدوار بين المخرج ومساعده، وعلى المزج بين الذاتي والموضوعي، أي بين الذكريات الشخصية لمخرجه وبطليه (عويس والحمصاني) وظروف تصوير الأفلام القديمة، وبين صناعة السينما في أبعادها وتقنياتها وفكرة الإيهام بالواقع

ثانيا: لا يحرص زيدان كثيرا على المحافظة على مسار واضح محدد من البداية لمسار السرد narrative، بل كثيرا ما يقفز فوق اللقطة والموقف وما ترويه الشخصية الرئيسية التي يدور حولها الفيلم، لكي ينتقل في المكان والزمان، ليربط بين الخيال (عشرات المقاطع من الأفلام المصرية القديمة والصور الفوتوغرافية) وبين الشخصية التي تتذكر، خاصة وأنها شخصية مطاوع عويس الذي يعتبره زيدان أقدم ممثل كومبارس في مصر بل وصاحب أكبر عدد من الافلام "في العالم"، وهي معلومة غير مؤكدة لكنها تأتي في سياق حماس زيدان الواضح في الفيلم، ربما لتشجيع بطله ودفعه أكثر للتجاوب معه وتقديم المزيد من الشهادات والاعترافات عن فترات عمله الطويل في الأفلام مع كبار نجوم السينما المصرية.

ثالثا: لا يكتفي محمد زيدان- وهو مثقف سينمائي مولع بوجه خاص بالسينما المصرية الشعبية من عصر أفلام الأبيض والأسود- بدور المخرج، بل يكسر عامدا دور المخرج المهيمن على الشخصية بحيث يجعل "الكومبارس" عن البطل، ويكسر بالتالي رتابة الفيلم التقليدي وبما يتلاءم مع "الخلطة" المقصودة بين صناع الفيلم (المنتج والمخرج والمصور ومهندس الصوت، الذين يتحدثون ويظهرون ويناقشون) وبين الكومبارس الشهير مطاوع عويس، ثم يأتي دور مساعد المخرج المخضرم كمال الحمصاني الذي يبدو أنه أصبح- بالصدفة- طرفا في الفيلم بعد أن التقاه المخرج- كما يروي- في مقهى، وعرف أنه يرتبط بصداقة قديمة مع عويس، وهو الذي أوصله إليه بعد أن قيل له إنه توفي، فعرض عليه زيدان العمل معه مساعدا للإخراج، لكن كمال لا يقف وراء الكاميرا بل يظهر في الصورة معظم الوقت مع مخرج الفيلم وإلى جانب عويس، بل وقد ارتضى زيدان أن يترك العنان لكمال الحمصاني الذي يتدخل كثيرا بالتوجيه والاعتراض والتصويب وكأنه الموجه الحقيقي للتصوير في الفيلم.

يقوم الفيلم إذن على لعبة تبادل الأدوار بين المخرج ومساعده، وعلى المزج بين الذاتي والموضوعي، أي بين الذكريات الشخصية لمخرجه وبطليه (عويس والحمصاني) وظروف تصوير الأفلام القديمة، وبين صناعة السينما في أبعادها وتقنياتها وفكرة الإيهام بالواقع، وكيف نفرق بين الحقيقة والخيال، بين ما يجري على الشاشة وما يدور أثناء التصوير، والأهم كيف يُستخدم "الكومبارس" وما هو دورهم في تأكيد واقعية الصورة، وهو موضوع يستغرق فيه طويلا كمال الحمصاني الذي يبدو ملما بالكثير من الجوانب الحرفية في العمل السينمائي.

عندي صورة

تتكرر في الفيلم عبارة "عندي صورة" يكررها عويس تأكيدا على مشاركته في فيلم ما إلى جانب ممثل أو ممثلة من المشاهير، ومنها استمد زيدان اسم فيلمه مضيفا إليه، على سبيل المبالغة، "الفيلم رقم 1001 في حياة أقدم كومبارس في مصر".

يروي عويس كيف يطغى أداء الممثل الثانوي أحيانا على الممثل النجم، وهو ما يسبب غيرة النجم منه وغضبه الشديد. ونشاهد هنا مقطعا طريفا من فيلم "إسماعيل يس في مستشفى المجانين" يغني فيه الممثل الثانوي حسن اتله المونولج الذي أصبح شهيرا "أنا عندي شعرة.. ساعة تروح وساعة تيجي" أمام إسماعيل يس، وكيف طغى على نجومية النجم وأصبح ملتصقا بذاكرة الجمهور منذ هذا المشهد.

ويشرح كمال الحمصاني كيف أنه كان وراء الاستعانة بممثل ثانوي يرتدي زي الجندي (في فيلم "الرصاصة لا تزال في جيبي") يقف في خلفية الصورة بينما يتحدث حسين فهمي إلى زميله الضابط في مقدمة الكادر قبل عبور قناة السويس في حرب أكتوبر 1973، حيث نرى الجندي وقد وضع قبعته معكوسة يؤم الصلاة على الرمال وخلفه ثلاثة من الجنود، تأكيدا، كما يقول، على الدافع الديني قبل بدء المعركة، والهدف هو ملء فراغ الكادر في خلفية اللقطة. وفي مشهد آخر يشرح كمال للمصور كيف يمكنه تفادي انعكاس الضوء على العدسة عندما تكون الكاميرا في مواجهة الشمس، وهناك أحاديث وتفاصيل كثيرة حول عمل كبار الممثلين أمثال يوسف وهبي (في فيلم أولاد الشوارع) وكيف أنه ركل الكاميرا أثناء التصوير بعد أن اندمج تماما في دوره، ثم كيف التقط ممثل زجاجة حقيقية وضرب بها رأس ممثل آخر وإن كنا لا نعرف بالطبع ما إذا كانت هذه الحكايات حقيقية أم من وحي الخيال، لكن زيدان من خلال بحثه الطويل الشاق بين المئات من الأفلام المصرية، يلتقط ببراعة وذكاء لقطات ومشاهد من الأفلام القديمة، للمواقف المختلفة التي يأتي ذكرها على لسان عويس وكمال بتركيز خاص على اللقطات التي يظهر فيها عويس كممثل ثانوي إلى جانب نجوم التمثيل، ومنها اللقطة الشهيرة له مع أحمد زكي في فيلم "أبو الدهب".

جرأة الموضوع

يروي زيدان عن علاقته بالسينما وولعه بها منذ الطفولة، وهو يصحب بطليه إلى الإسكندرية للمرور على ما تبقى من دور العرض السينمائي واستعادة تجربة الذهاب إلى السينما، ومتعة اكتشاف السينما في ظلام القاعة، وكيف كان الجمهور يتفاعل مع الفيلم. ولعل فكرة الفيلم نفسها التي بدأت باهتمام زيدان بوجه الممثل الثانوي الذي يتكرر ظهوره كثيرا بجوار أبطال الافلام، ثم بحثه الشاق عنه وإصراره على الوصول إليه، هي في حد ذاتها فكرة جريئة تنم عن اهتمامه الشديد بالسينما ومشاهدته الذكية للأفلام.

يحدث أحيانا تداخل بين الأصوات في الفيلم، وانتقالات مفاجئة تقطع السياق، ومشاهد ربما تؤدي إلى هبوط في الإيقاع مثل المشهد الذي يحاول زيدان خلاله تصوير مفترض لعودة عويس إلى بلدته في الصعيد، من خلال لوحة تحمل عنوان "الطريق إلى محافظة سوهاج". هذا المشهد يبدو عبثيا تماما ولا فائدة منه خاصة بعد تدخلات الحمصاني ورفض عويس الانصياع لتوجيهاته وعدم تجاوبه مع المشهد، ولكن زيدان يعود بعده إلى مشهد طريف من أحد الأفلام المصرية القديمة حيث نشاهد كيف يسير عسكري يقبض بيده على مجرم يريد تسليمه للجهات الرسمية فيظل يتنقل من محافظة إلى أخرى من محافظات الصعيد سيرا على الأقدام. ولا شك في طرافة المشهد وفي استعادته لكن المشكلة أنه لا يضيف كثيرا إلى الفيلم.

ويصور زيدان كيف تتصاعد الخلافات بين كمال الحمصاني الذي يصر على التدخل في حركة عويس وتحريكه داخل الكادر، وارتباك عويس واحتجاجه وشعوره بعدم القدرة على الأداء الطبيعي في فيلم تسجيلي تغيب عنه الدراما، ويبدو مخرجه وقد ترك الباب مفتوحا أمام مختلف الآراء بحيث بدا موضوع تصوير عويس في الإسكندرية على سبيل المثال- محيرا ليس فقط لنا كمشاهدين بل لعويس نفسه الذي يقول إنه لا يعرف لماذا أتى به المخرج إلى هذه المدينة، لكن ربما يكون هذا الارتباك جزءا من متعة مشاهدة الفيلم.

حكايات من التاريخ

يتحدث الحمصاني في مشهد يدور على كورنيش الإسكندرية عن بداية السينما المصرية على يدي محمد بيومي من الإسكندرية. وهذا صحيح، لكنه في موضع آخر من الفيلم يروي لزيدان كيف انطلقت الواقعية الجديدة الإيطالية من مصر، مؤكدا أن روسيلليني الذي يعرف بـ"أبي الواقعية الإيطالية"، كان يعمل في ستديو مصر في ذلك الوقت حين كان كمال سليم يصور فيلم "العزيمة (1939)" وأنه نقل تأثره إلى الأفلام التي صنعها. ويضيف أن فيلم "سارق الدراجة" (وهو من إخراج فيتوريو دي سيكا وليس روسيلليني) مقتبس من قصة "حرامي البقرة" التي كتبها كمال سليم، ولكن سبق أن روى المخرج الراحل صلاح أبوسيف- وكان مساعدا لكمال سليم- أن سليم باعها لشخص يدعى ستولوف، كما تؤكد الدراسات السينمائية أن سيزار زفاتيني هو الذي كتب سيناريو "روما مدينة مفتوحة" لروسيلليني أول أفلام الواقعية الإيطالية، عن كتاب ليجي باتيلوني.

ما يسوقه الحمصاني من معلومات تبدو شديدة الطرافة، خاصة وأنه يبدو واثقا ثقة كبيرة من معلوماته. ولا يناقشه زيدان بل يكتفي بالاستماع إليه مبديا دهشته. وربما يكون الحمصاني يخلط هنا بين روسيلليني الذي لم يعرف أنه أقام أو عمل في مصر، وبين مخرج آخر إيطالي كان يعمل في مصر في الفترة بين الحربين هو غالبا جوفريدو اليساندريني، لكن فيلمنا هذا ليس بالطبع مشغولا بمراجعة المعلومات، فموضوعه يقبل هذا النوع من المبالغات التي تتداعى من ذاكرة بطليه.

ولعل من "المعلومات" التي يسوقها مطاوع عويس هذه المرة، ما يذكره عن أن أنور وجدي كان مغرما بليلى فوزي وقد أراد أن يتزوجها لكنها رفضت، فتزوج بدلا منها من ليلى مراد، لا لأنه كان يحبها، بل لأن اسمها ليلى فقط!

يتحدث محمد زيدان بتعاطف كبير عبر التعليق الصوتي عن دور الكومبارس الذي لا يشعر به أحد، وعن تكراره الدور نفسه الذي قد يستغرق ثوان على الشاشة مرات ومرات، دون أن يفكر أحد في هذا الممثل وكيف يستعد لأداء دوره في كل مرة. ويبدو تعليق زيدان الصوتي بشكل عام تلقائيا وعفويا ينسجم مع طابع الفيلم وأسلوب المونتاج الذي يميل للإيحاء بالطبيعية من دون تحكم دقيق في طول اللقطة والمشهد، بل ويترك كثيرا من اللقطات تخرج عن البؤرة أو تنحرف بعيدا عن الهدف (لقطات عمود الساري في الإسكندرية) إلا أن التعليق الذي يأتي في الجزء الأخير من الفيلم يبدو أكثر إحكاما ودقة في الصياغة، فهو يريد أن يلخص من خلاله التجربة التي لا شك أنها صنعت بحب: للسينما وللكومبارس وللناس وللعالم.

مشاكل الفيلم

من ضمن مشاكل الفيلم الصورة الضعيفة في الكثير من المقاطع المستخدمة من الأفلام القديمة، وضعف الإضاءة في الكثير من المشاهد المصورة، بحيث بدت الصورة قاتمة، ومشاكل أخرى ترجع إلى تداخل الأصوات (التعليق فوق مشاهد يدور فيها الكلام)، وغياب الأسماء من على مقاطع الأفلام القديمة وإن كان زيدان يضعها كقائمة طويلة في نهاية الفيلم وكان الأفضل دون شك، أن تظهر فوق كل مقطع، خاصة وأن المتحدث لا يذكر دائما أسماء الأفلام التي يتكلم عنها كما في حالة الحمصاني عندما يتحدث عن التعامل مع خلفية المشهد، فهو لا يذكر اسم الفيلم بل يذكر وجود حسين فهمي فيه بينما يغيب هذا الممثل عن المقطع الذي نشاهده، وهناك الكثير من المقاطع التي كان يمكن استبعادها من الفيلم خاصة التي لا يظهر فيها عويس، فربما جاء الفيلم مركزا أكثر.

أراد محمد زيدان أن يروي تاريخ السينما المصرية من خلال شخصية "الكومبارس" الذي عمل في المئات من الأفلام، وشهد تطور الصناعة من الأربعينات، وتعامل مع كبار النجوم والمخرجين، وتوفي عام 2015 عن 86 عاما. ورغم عيوب التجربة الأولى ومشاكلها التي اقتضت من المخرج العمل لسنوات عدة في الفيلم، وخاصة في مرحلة المونتاج وما اكتنفها من معوقات، إلا أن التجربة ممتعة دون شك، وتعيدنا إلى التأكيد على أهمية الحفاظ على تاريخ السينما المصرية، وأهمية وجود سينماتيك حقيقية، ومعامل قادرة على استعادة نسخ الأفلام القديمة وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من التراث السينمائي.

توفي عويس والحمصاني دون أن يشاهدا الفيلم، ولكن أعمالهما باقية في ذاكرة الأجيال، وهذا هو "سحر السينما" وسر جاذبيتها وقدرتها على المقاومة والصمود الأبدي في وجه الزمن.

«الكومبارس» الأسطورة وسط فريق الفيلم ومراجعة الصور القديمة

«الكومبارس» القديم إلى جوار المخرج في لقطة من الفيلم

المؤتمرات الدولية تعيد شرم الشيخ إلى خارطة السياحة العالمية

المدينة المصرية تجتذب العديد من الجهات الدولية بتنوع أنشطتها الترفيهية

تركّز الحكومة المصرية في محاولة لإعادة البريق السياحي لمدينة شرم الشيخ السياحية الذي فقدته بسبب ارتفاع وتيرة الأعمال الإرهابية في سيناء، على دعم سياحة المؤتمرات أملاً في جعلها المدينة الأولى عالميا المتخصصة في هذا النوع من النشاط السياحي.

أحمد جمال

كل على إيقاع واحد

❑ **القاهرة** – تسعى مدينة شرم الشيخ السياحية، الواقعة شمال شرق العاصمة المصرية القاهرة، إلى الخروج من كبوتها بسبب انخفاض معادلات الإشغال السياحي نتيجة للظروف الأمينة بسيناء وغياب السياحة الروسية، من خلال اعتمادها بصفة أساسية على السياحة الوافدة إليها عن طريق تنظيم المؤتمرات والفعاليات السياسية والاقتصادية والترويجية المختلفة، وهو ما انعكس على أرقام هذا النوع المتخصص من السياحة، والذي سجل نموا بلغ 56 بالمئة العام الماضي.

ونجحت شرم الشيخ على مدار الأشهر الماضية في تنظيم العديد من الفعاليات الدولية التي هدفت من خلالها إلى توصيل رسائل عدة لسوق السياحة العالمية بعد مرور عامين على حادث سقوط الطائرة الروسية في أكتوبر 2015، مفادها الزخم الذي حققته المدينة السياحية من خلال حضور العديد من زعماء الدول العربية والأفريقية والذي أراد التأكيد على التأمين الجيّد الذي تتمتع به المدينة.

كما أن حضور العديد من الوفود الدولية من مختلف بلدان العالم، خلال الأشهر الماضية، يعدّ ترويجيا لهذا النوع من السياحية الذي تتطلع إليه المدينة في المستقبل بعد أن تميّزت به على مدار العشر سنوات التي سبقت اندلاع ثورة يناير في العام 2011.

> إقامة المؤتمرات والفعاليات الدولية في مدينة شرم الشيخ تحقق عوائد مادية توازي ثمانية أضعاف السياحة العادية

واستضافت المدينة السياحية المصرية، في شهر نوفمبر الماضي، أكثر من ثلاثة آلاف شاب يمثلون 86 دولة على مستوى العالم خلال منتدى الشباب العالمي، وحضره أربعة رؤساء دول أفريقية وعربية، فيما استضافت المدينة في السابع من ديسمبر الماضي مؤتمر الاستثمار والأعمال في أفريقيا والعالم، والذي شهد حضور رؤساء 6 دول أفريقية و500 شركة أفريقية ودولية تعمل في مجالات الاستثمارات المختلفة، وهو ما أعطى زخما إعلاميا دوليا للمدينة.

وتستغل شرم الشيخ فرصة تواجد وفود إعلامية دولية لتغطية تلك الفعاليات في ظهورها بشكل تستطيع من خلاله تحسين صورتها الذهنية في الخارج، وهو ما يساعدها على الترويج للمنتجعات السياحية التي تتميز بها. كما ساعدها ذلك في الترويج لأنواع أخرى من السياحة تتمتع بها أيضا مثل سياحة الغوص والسفاري، وهو ما ظهر من خلال حرصها على تنظيم رحلات سياحية يومية لجميع الوفود التي أتت إليها بغرض حضور تلك الفعاليات.

مصدر دخل

بحسب العديد من خبراء السياحة، فإن إقامة المؤتمرات والفعاليات الدولية تحقق عوائد مادية توازي ثمانية أضعاف السياحة العادية. ووفقا لأرقام الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء (جهاز حكومي)، فإن مصر استطاعت أن تجذب 25 بالمئة من السياحة الوافدة إليها عن طريق تنظيم تلك المؤتمرات على مدار العام الجاري.

وتستقطب سياحة المؤتمرات أكثر من 400 مليون زائر حول العالم سنويا، وتحرّك قطاعات واسعة في مجال السياحة والفندقة والصناعة وتجارة التجزئة والمواصلات، وهو أمر لم تستغله جيّدا البلدان العربية التي تحقق سنويا عوائد تبلغ 2 مليار دولار، في حين أنها تمثل 30 بالمئة من الناتج المحلي للولايات المتحدة الأميركية وتدخل لخزينة الدولة نحو 250 مليار دولار سنويا كعوائد من هذا القطاع، وفقا لإحصائيات دولية.

وأدركت بعض الدول العربية أهمية هذا النوع من السياحة وعملت على تطويره من خلال إقامة مراكز دولية لإقامة المعارض والمؤتمرات واستقطاب فعاليات دولية رافدة، وهو ما حققته مدينة دبي الإماراتية، والتي تشهد نهضة اقتصادية وصناعية واجتماعية كبيرة، جعلتها قبلة لتنظيم العديد من الفعاليات الدولية.

وتتميز سياحة المؤتمرات بأنها تساهم في تنمية وتطوير فرص الاستثمار بين الدول بشكل عام، لأنها دائما تشهد تبادلا في الزيارات بين الجهات المنظمة لها، كما أنها تعد إحدى وسائل تدعيم الاقتصاد المحلي من خلال استضافتها لشخصيات اقتصادية دولية قد تجد فرصة للاستثمار داخل البلدان المستضيفة لها، وبالتالي فإن العائد لا يكون في مجال السياحة فقط.

وبحسب خالد فودة، محافظ جنوب سيناء، والتي تعد مدينة شرم الشيخ إحدى مدنها الكبرى، تعمل الدولة المصرية وفق خطة تهدف إلى جعل شرم الشيخ مدينة المؤتمرات الأولى على مستوى العالم، وأضحت في الوقت الحالي ضمن المراكز الدولية الكبرى للمؤتمرات، وهدفا للمنظمات الدولية والإقليمية لإقامة فعاليات بها.

وأوضح فودة أن عوائد سياحة المؤتمرات تحقق أكثر من هدف في آن واحد، فمن خلالها تقدم مصر صورة حقيقة للخارج عنها من حيث مستوى الأمان والاستقرار وجمال المناظر الطبيعية والسياحية، إضافة إلى تشجيع الاستثمار فيها، وهو ما انعكس على أعداد الرحلات السياحية الوافدة إلى المدينة بعد أن وصلت إلى 100 رحلة أسبوعيا، ومن المتوقع أن تصل ذروتها اعتبارا من بداية العام الجديد.

وبدا واضحا أن مدينة شرم الشيخ تستعد للترويج لنفسها من خلال سياحة المؤتمرات، بعد أن بدأت في تشييد أكبر قاعة مؤتمرات على مستوى العالم تصل درجة استيعابها إلى أكثر من 6 آلاف شخص وبها 5 قاعات مزودة بأحدث وسائل الأجهزة التكنولوجية العالمية، وهو ما روّجت له من خلال زيادة حركة السياحة الوافدة إليها بالتزامن مع احتفالات رأس السنة الميلادية.

وقال باسم حلقة، رئيس المجلس التأسيسي لنقابة السياحيين، إن مصر أصبحت لديها أجندة سياحية خاصة بالمؤتمرات التي تستضيفها سنويا، وأن ذلك لا يشمل مدينة شرم الشيخ فقط وإنما يتضمن جميع المدن السياحية، لافتا إلى أن توزيع تلك المؤتمرات على مدار السنة يضمن استمرار وصول وفود أجنبية من بلدان مختلفة في توقيتات مختلفة.

وأضاف في تصريحات لـ"العرب"، أن سياحة المؤتمرات تضمن زيادة نسب إشغالات الفنادق، إذا ارتبطت بحدث دولي تشارك فيه وفود أجنبية مختلفة، كما أنها لا ترتبط بمواسم معنية، وبالتالي فإن النجاح في تحقيق صورة ذهنية تدعمها يضمن بشكل أساسي زيادة نسب السياحة الوافدة إلى تلك المدن، مشيرا إلى أن الهدف المصري في البداية كان بإعادة وضع مدينة شرم الشيخ على خارطة سياحة المؤتمرات مرة أخرى على مستوى العالم، وهو ما نجحت فيه بالفعل وتحقق ذلك بإرادة سياسية وظفت المدينة لإقامة العديد من الفعاليات الرئاسية لإعادة الزخم إليها مرة أخرى.

مركز المؤتمرات

تعد مدينة شرم الشيخ من أهم المدن السياحية المهيأة لاستقبال سياحة المؤتمرات، حيث يتمتع مطارها الدولي بدرجة تأمين عالية بشهادات دولية معتمدة راجعت خطط التأمين عقب حادث الطائرة الروسية، كما أنها منطقة تتميز بوجود أماكن ترفيهية سياحية متنوعة من الممكن أن تجذب العديد من الجهات الدولية إليها.

وتوجد بالمدينة أكبر قاعات المؤتمرات مجهزة لاستقبال الإعلاميين وقاعات للترجمة الفورية لمختلف لغات العالم، علاوة على عدد كبير من فنادقها ومنتجعاتها السياحة التي تحوي قاعات مخصصة لإقامة المهرجانات والفعاليات المختلفة، فقد تم استحداث مهرجان الجونة السينمائي الدولي، خلال العام الماضي، لجذب السياحة إلى تلك البقعة السياحية، كما أن شرم الشيخ استضافت لأول مرة مهرجان السينما العربية والأوروبية والذي انتقل لأول مرة إليها للهدف ذاته.

ونظمت مصر فعاليات أخرى داخل بقع سياحية عدة داخلها منها مهرجان الأغنية الدولي الثالث، المهرجان الدولي لصيد الأسماك، والمهرجان الدولي الأول للفروسية، وبطولة الأهرام الدولية للإسكواش.

وقال زين الشيخ، مستشار مصر السياحي باليابان سابقا، تتوافر بمصر جميع المقومات السياحية التي تجعلها جاذبة للمؤتمرات، لكنها غير مستغلة بالشكل الأمثل إلى حد الآن، لقلة التنسيق بين الوزارات المختلفة، كما أن قاعات استضافة تلك الفعاليات مازالت غير مجهزة بالشكل الذي يضمن جذب السياحة إليها، موضحا أن الصورة الذهنية المشوشة عن الأوضاع داخل مصر وعدم وجود خارطة تسويقية خارجية سليمة يؤثران سلبا على نوعية المؤتمرات التي قد تنجذب إلى الإمكانيات المصرية في هذا المجال.

وتعمل وزارة السياحة حاليا على جذب هذا النوع السياحة من خلال أمرين، الأول يرتبط بتخفيض المقابل المادي للاستضافة هذه المؤتمرات مقارنة بالدول الأخرى، فيما يركز الثاني على جذب المؤتمرات التي لها علاقة بالسياحة، وهو ما يضمن لها ترويجا خارجيا على أرض الواقع.

«الجنة البيضاء» توفر لزائريها السياحة والعلاج معا

❑ **دنيزلي (تركيا)** – تعتبر منطقة "باموق قلعة"، في ولاية دنيزلي (جنوب غربي تركيا)، مركزا سياحيا وعلاجيا معا، بفضل المناظر الطبيعية الخلابة فيها وحوض المياه الساخنة في مدينة هيرابوليس الأثرية، والينابيع الحارة المتدرجة المستخدمة للعلاج، فضلا عن المنشآت السياحية التي تحويها.

وتعد باموق قلعة المعروفة بأنها مركز للعلاج بالمياه الحارة منذ عصور قديمة، وجهة للراغبين في السياحة العلاجية، بفضل مياهها الغنية بالكالسيوم والمعادن التي شكلت عبر العصور مصاطب من ترسبات الترافرتين (حجر جيري).

وتشكل حوض المياه الساخنة في مدينة هيرابوليس الأثرية عبر عوامل طبيعة من تراكم المياه الحارة وبقايا حطام أعمدة المدينة جراء زلزال وقع في المنطقة عام 692 بعد الميلاد.

وتسمح درجة حرارة المياه في الحوض الأثري التي تبقى ثابتة عند 36 درجة مئوية رغم اختلاف الفصول بين الصيف والشتاء، للزوار بخوض تجربة فريدة من نوعها وسط المعالم الأثرية.

ويعود تاريخ مدينة هيرابوليس إلى نحو ألفين و800 عام، حيث بدأ اهتمام السياح الأجانب يزيد بالحوض الأثري الواقع خلف الينابيع المتدرجة، إذ يأخذ الحوض زواره في رحلة عبر الزمن نحو الماضي وهم جالسون داخل المياه وسط الأعمدة وأحجار الرخام المحطمة.

ويؤمن زوار الحوض بأن السباحة في مياهه الحارة يمكنها أن تسهم في علاج العديد من الأمراض مثل القلب والأوعية الدموية، والروماتيزم، والجلد، والسكتة الدماغية، والأعصاب، وشربها يساعد في التخلص من الاضطرابات المعوية والأمعاء.

كما يُعتقد أن كليوباترا آخر ملكات مصر القديمة في العهد الإغريقي، قدمت إلى هيرابوليس من أجل الحصول على المياه الحارة.

ويضع السياح ضمن أولوياتهم إلى جانب الحوض الأثري، زيارة منطقة قاراهيت القريبة من الحوض، والمشهورة بمياهها الحارة التي تكتسب اللون الأحمر والتي تبلغ درجة حرارتها 60 درجة مئوية، بفضل غناها بالمعادن التي تسهم في علاج اضطرابات الروماتيزم والدورة الدموية، والربو، والبشرة.

وتقدم باموق قلعة خدمات سياحية لزوارها عبر 10 فنادق تحوي 6 آلاف و500 سرير، إضافة إلى شقق فندقية ونزل بقدرة 4 آلاف سرير.

وتتيح المنطقة للسياح الاستمتاع بمشاهدة المناظر الطبيعية الخلابة والتقاط صور لتلك الينابيع من على ارتفاع نحو ألف متر أثناء قيامهم بجولة جوية بواسطة المناطيد.

وأوضح غازي مراد شن، رئيس جمعية الفنادق والمنشآت السياحية في دنيزلي، أن باموق قلعة تعتبر أحد أهم المواقع في تركيا التي تجذب السياح، وباتت في الآونة الأخيرة مركز اهتمام الباحثين عن العلاج.

ولفت إلى أن الفنادق في المنطقة امتلأت بنسبة تقارب 100 بالمئة جراء عطلة منتصف العام الدراسي، وقال إن "معظم منشآتنا في المنطقة أغلقت حجوزاتها بسبب الطلب الكبير"، مضيفا "أعتقد أنه في حال إعلان منطقة قاراهيت 'مدينة الصحة العلاجية للمياه الحارة'، فإن ذلك سيزيد من الاستثمارات السياحية في مدينتنا".

وأشار نجدت جاتالباشي، خبير بالعلاج الفيزيائي والتأهيل، إلى أن الناس يرجحون المنطقة للسياحة والعلاج في آن معا.

وأوضح أن باموق قلعة تجذب الزوار إليها بفضل مناظرها الطبيعية الخلابة، مؤكدا "يأتي الزوار إلى المنطقة من كافة أنحاء العالم من أجل العلاج".

وتعرف الينابيع المتدرجة في باموك قلعة التي تبعد عن مركز مدينة دنيزلي نحو 18 كم، بـ"الجنة البيضاء"، بسبب اللون الأبيض الناجم عن ترسبات الجير، والذي يختلط ببياض الثلوج في الشتاء، ليكونا لوحة فريدة يتوجها دخان الينابيع الساخنة.

تفرد وتنوع

تقنيات الذكاء الاصطناعي تعزز قدرات الهواتف الذكية

الشركات التكنولوجية تتنافس على تقديم أجهزة غير تقليدية

باتت تقنيات الـذكاء الاصطناعي محرك العصر فـي الكثير من المجالات التقنية، فلم يعـد عملها يقتصر على الشـركات والجهات الحكومية للاستفادة منها فقط، بل قامت أيضا الهواتف الذكية التي تمثل الرفيق الدائم للمستخدمين بالاعتماد على هذه التقنيات لتوفيـر مزاياها وخدماتها للمستخدم النهائي مباشرة.

❑ **لندن** – يتطـور الذكاء الاصطناعي بوتيرة سريعة، فبعد استخدامه في مختلف قطاعات التكنولوجيا، مـن المتوقع أن تتحول مزاياه إلى خدمات الهواتف الذكية.

وتتنافـس الشـركات الكبـرى المصنعة للهواتـف الذكيـة مثـل سامسـونغ وآبـل، وهـواوي، علـى اسـتثمار مبالـغ طائلة في مجال الذكاء الاصطناعي بوتيرة يصعب على منافسيها من الشركات الصغرى مجاراتها.

وبـات الذكاء الاصطناعـي معيارا جديدا للهواتف الذكيـة ويدعمها لتتجاوز مفهومها السـابق وتصبـح أول منصـة حوسـبة متنقلـة ومن شـأن التطـورات فـي مجالات الـذكاء الاصطناعي والتعلم الآلـي أن تمكن الخوارزميـات مـن مراقبة طريقة اسـتخدام الناس لأجهزتهم، واسـتخدام تلـك البيانات للتنبؤ بالسلوكيات وفهمها، وتمكين وتشغيل هذه الأجهزة عند مستويات ذروة الأداء.

وتتوقـع مؤسسـة غارتنـر أن تتمتع 80 بالمئـة مـن الهواتـف الذكيـة المشـحونة بتقنيات ذكاء اصطناعي مدمجة بحلول العام 2022، ويتم توفير قـدرات الذكاء الاصطناعي على الهواتف الذكية ذات المواصفات العالية فقـط، حيث توفـر حمايـة أفضـل للبيانات وتحكمـا أكبر بالطاقة، وذلك بسـبب معالجة البيانـات وتخزينهـا بشـكل داخلـي ضمن الأجهزة.

ومـن المتوقع أن تمتـاز الهواتف الذكية المعـززة بتقنيات الـذكاء الاصطناعي بأداء منقطـع النظيـر بواقـع 25 مـرة مقارنة مع الأداء التقليـدي لوحدات المعالجة المركزية، وبمسـتويات كفاءة أعلى بمقدار 50 مرة لهذا النوع من وحدات المعالجة.

> الهواتف الذكية المعززة بتقنيات الذكاء الاصطناعي تمتاز بأداء منقطع النظير بواقع 25 مرة مقارنة مع الأداء التقليدي

وقد حددت مؤسسـة غارتنر استخدامات مؤثـرة للغايـة فـي الهواتف الذكيـة، حيث ستسـمح أنظمـة استشـعار العواطـف والحوسـبة العاطفيـة للهواتـف الذكية بأن تكتشف وتحلّل حالات المستخدمين المزاجية والعاطفية والاستجابة لها.

وسـيتم تحسـين قدرات الهواتف الذكية على التعرف على الكلام، وفي ذات الوقت فهم نوايا المستخدمين بالتحديد وبشكل أفضل.

يذكـر أنّ النتائـج التـي توصـل إليهـا الباحثـون في مجال الـذكاء الاصطناعي من خلال دراسـة الكلمات المنطوقة ولغة الجسد كانـت صحيحة بدقّـة 75.6 بالمئة من مجمل

هواتف بخدمات كمبيوترات

الحـالات التي تمـت دراسـتها، بينما بلغت دقة تنبؤات الـذكاء الاصطناعي 79.3 بالمئة، استنادا إلى الخصائص الصوتية فقط.

وتكمن أهمية هذه التجربة في كشفها مدى تشفير البشر للمعلومات المتعلقة بمشاعرهم الأساسية عن طريق الأسلوب الذي يتحدثون به.

ويرى الباحثـون أن مكتبة الواقع المعزز ومكتبـة التعلـم الآلي، سـوف تغيـران عالم التطبيقـات، ورؤيـة الـذكاء الاصطناعـي المستقبلية في الهواتف الذكية، وقامت شركة آبل بتوفيـر مكتبة التطبيـق "آركيت" ضمن نظـام التشـغيل آي أو إس 11، هـذه المكتبة تجعـل تطويـر تطبيقـات تسـتخدم الواقع المعـزز سـهلا جدا مـع إتقان شـديد وغير مسـبوق في هـذا المجال، فـلا توجد أجهزة ذكية حتى المدعومة بكاميرات خاصة للواقع المعزز تقوم بعمل أداء مشابه.

وعن طريق استخدام الواقع المعزز يمكن مشـاهدة الأثاث في مكانـه الحقيقي وحجمه الحقيقـي قبـل الشـراء، لكن هـذه التجربة أصبحت مذهلة أكثـر مع الذكاء الاصطناعي، لأن المطور مكن المزيد من التحكم عبر تغيير حجم الأثاث ولونه، حتى مؤثر سـقوط الأثاث على الأرض رائع جدا.

وتسـعى شـركة هواوي إلى الدخول في المنافسـة المحتدمة على الذكاء الاصطناعي في الهواتف الذكية مـن خلال معالج "كيرين 970" الذي يحتوي على ذكاء اصطناعي معزز قادر على منافسـة أقوى مصنعـي الهواتف الذكية.

وسـتركز وحـدة التشـغيل العصبية من هواوي، والتي تعد جزءا أساسـيا من معالج "كيريـن 970"، على مهام الـذكاء الاصطناعي المرتبطـة بالخدمات السـحابيّة، إلى جانب الاهتمـام بالعمليات الحسـابية الفوريّة في الوقت الحقيقي بمختلف مراحل عمل الجهاز.

ومـن خـلال توظيـف مزايـا الـذكاء الاصطناعي القائمة على المنصات السحابيّة، سـتقوم هـواوي بتوفير خدمـات مخصصة ومتاحة بسـهولة على جهازها الثوري "مايت 10".

ومـن الأمثلة عن الوسـائط الجديدة التي سيسـتفيد منها مسـتخدم الهاتـف الجديد، أنـه يمكـن أن تحدد عدسـة الهاتـف الذكي وجه الإنسـان والحيوانات، وحتى النباتات، بالإضافة إلى سرعة عالية في الأداء.

وأعلنـت غوغـل عـن أداة "آركـو ار" للمطوريـن، وهـي خاصـة بنظام التشـغيل أندرويـد، وتخطط الشـركة لتضمين تقنيات الواقـع المعزز في 100 مليـون جهاز أندرويد بحلول نهاية العام الحالي.

وسـوف تتيح ميزة التعلم الآلي للهواتف الذكية التصرف بشكل مستقل، أي الاستجابة لأحـداث معينة بشـكل صحيـح دون تلقين، فمع العديد من أجهزة الاستشـعار، سـتتمكن الهواتـف الذكية من فهم سـلوك المسـتخدم بشـكل أفضل وتعلّم ما يناسـبه، مثل القدرة على تحديد الوقت المناسب لاستخدام تطبيق ما.

وسيمكن استخدام الذكاء الاصطناعي في الهواتف الذكيـة جمع الكثير من البيانات عن سلوك المستخدم وخصائصه الشخصية.

ومـن خـلال ذلـك يمكـن للمسـتخدمين الحصول على حماية ومسـاعدة أكبر بشـكل ديناميكي بالاعتماد على ماهية النشـاط الذي يجري تنفيذه وبيئة الاستخدام التي هم فيها.

ويرصـد الـذكاء الاصطناعـي أنمـاط السلوكيات التي يتعذر على البشر ملاحظتها، كما يمكنـه التدخـل لإيقاف النشـاط المثير للريبة قبل أن يخرج عن السـيطرة، ويسـاهم ذلك في حماية البيانات المصرفية الموجودة على الهاتف الذكي وكشـف محاولات الدخول إليها من غير المستخدم الحقيقي لها.

ويمكن أيضا اكتشـاف المحتوى الممنوع بشـكل تلقائي، كمـا يمكن وضـع علامة على الصـور أو مقاطـع الفيديـو أو النصـوص المرفوضة، ويمكن تفعيل حالات تنبيه متنوعة لإبلاغ المستخدم عنها.

وتشـمل مزايا التصوير الشـخصي على الهواتـف الذكية التـي يمكنهـا إنتاج صور جميلة بشكل تلقائي بالاعتماد على تفضيلات المسـتخدم الجماليـة الخاصـة بـه وذلـك باسـتخدام الشـبكات العصبيـة المترابطـة لمسـاعدة الـذكاء الاصطناعـي علـى تحديد الصور التـي نصنفها نحن كبشـر على أنها جيدة أو جذابة.

ومـع الـذكاء الاصطناعـي سـيصبح ميكروفـون الهاتف الذكي قـادرا على التقاط أصوات العالم الحقيقية بشكل مستمر، ومن ثم تسـتطيع قدرات الذكاء الاصطناعي المتوفرة في الجهاز التعرف على هذه الأصوات وإرشاد المستخدمين، أو تفعيل أحداث معينة.

ومـن خـلال تقنيـات الحمايـة والتعلـم الآلـي والقياسـات الحيويـة بالإضافـة إلى سلوك المستخدم، سـوف يتم تحسين تجربة الاسـتخدام وتعزيز قـدرات الخدمـة الذاتية للهواتف الذكية.

وسـوف تصبح الهواتف الذكيـة امتدادا للمسـتخدمين، حيـث سـتكون قـادرة علـى التعرف عليهـم والتنبؤ بخطواتهـم التالية. وسـوف تفهم الهواتـف الذكية المسـتخدم، ومـاذا يريـد؟ ومتى يريـد ذلك؟ وكيـف يريد القيام بالأمر؟ بالإضافة إلى تنفيذ المهام تحت إشراف المستخدم.

شبكات البلوك تشين الخاصة تقدم وعودا لمفهوم إنترنت الأشياء

❑ **دبي** – يتوقـع جيـرون شلوسـر، مديـر "إكوينيكـس" الإداري فـي الشـرق الأوسـط وشـمال أفريقيا، أن تسـود شـبكات البلوك تشين الخاصة وتتكاثر، ومن شأنها أيضا أن تكتسب صدى واسـعا يضاهي ما حدث عند ظهور الإنترنت لأول مرة.

والبلـوك تشـين هـي تقنيـة للتخزيـن والتحقـق من صحـة وترخيـص التعاملات الرقميـة على الإنترنـت بدرجة أمـان عالية ودرجة تشفير قد يكون من المستحيل كسرها في ظـل التقنيات المتوفـرة اليوم. الإنترنت الحالية هي شـبكة معلوماتية، فعندما تقوم بإرسال إيميل أو صورة ما لشخص آخر، فأنت في الواقع ترسل نسخة إلى ذلك الشخص ولا ترسـل الأصل، ومع أن هذا النظام مناسـب جدا لتبادل المعلومات بصيغها المختلفة، إلا أنه لا ينفع عندما يتعلق الأمر بتبادل الأصول الثابتـة والمتحركـة مثـل المـال والملكية الفكريـة والأسـهم والسـندات والأصـوات الانتخابية وغيرها من الأشـياء التي لا تقبل أن تنسـخ أو تتكرر. وعندما تعطي شـخصا مئـة دولار فإنـه مـن المهـم أن تنتقل هذه النقـود منك إلى الشـخص الآخـر، ولا تبقى معـك ومعه في آن واحد، لتحقيق هذا، مازلنا نعتمد على مؤسسـات وسـيطة مثل البنوك والمؤسسـات الحكومية، هـذا الاعتماد على الشـركات والمؤسسات الوسيطة أصبح، في نظر البعض، غير فعال وغير عادل.

يقول دون تابسـكوت مؤلف كتاب "ثورة بلوك تشين" موضحا "مع أن هذه المؤسسات الوسـيطة العملاقة قامت بعملها بشكل جيد حتـى الآن، إلا أن مشـكلاتها تنمو يوما بعد يوم، فبطبيعتها إن هذه المؤسسات مركزية، ممـا يجعلهـا عرضـة للاختـراق مـن قبل قراصنة الإنترنت".

تقنية بلوك تشـين هي عبارة عن سلسلة طويلة من البيانات المشـفرة والموزعة على الملايين من أجهزة الكومبيوتر والأشخاص حول العالم، تسـمح لأطـراف كثيرة بإدخال المعلومـات والتأكـد منهـا، كل جهـاز كومبيوتـر أو جهة في هذه السلسـلة يملك نفـس المعلومات، وإذا تعطـل جزء منها أو تم اختراقه لا يؤثر على باقي السلسلة، هكذا تكـون عبارة عن سـجل علني مشـفر وآمن، وسلسـلة قوية من الثقة. وفـي حالة إضافة عقود واتفاقيات إلكترونية لبلوك تشين، يتم التأكـد من تحقق الشـروط آليا ودون تدخل أو عبث بشـري. ويرى مايك شـوارتز خبير تقنيات بلوك تشـين أن "شـركات الإنترنت مثل فيسبوك وغيرها، أيضا أصبحت عبارة عن مستودعات هائلة للمعلومات الشخصية علنا وتتحكم فيها، هذه الشـركات الوسيطة هي عبـارة عن قلاع ضخمة تحـدد لنا كيف نتعامل مـع بعضنا البعـض وتتدخل حتى فـي علاقاتنـا الاجتماعية، فـي المقابل فإن اسـتخدام تقنيات بلوك تشين سوف يجعلنا نتخلـص مـن هـذه المركزيـة البوليسـية ويسـمح لنا بأن نتبادل ما نريد دون الحاجة إلى الأخ الأكبر".

وتختلف شـبكات البلوك تشـين العامة التي ترتكز عليها مختلف العملات المشـفّرة عن البلوك تشـين الخاصة التي يرى جيرون شلوسر أنها تجذب المزيد من الشركات عام 2018.

فالفارق الأهمّ أنّ شـبكات البلوك تشـين الخاصـة تحتاج إلى إذن وليسـت مفتوحة، ما يجعـل إدارة هويتها الرقميـة أكثر أمنا ومسـتويات الثقة بها أعلى، كما أنها قادرة على إنجاز قدر أكبر بكثير من العمليات.

وتنصح مؤسسـة غارتنر بالنظر أولا في البلوك تشين الخاصة التي تسميها "سجلات عامة حاصلة على أذونات"، علما أنّ إمكانية الوصـول إليها تديرها قواعد محددة ولكنها تتيح مع ذلك النفاذ إليها.

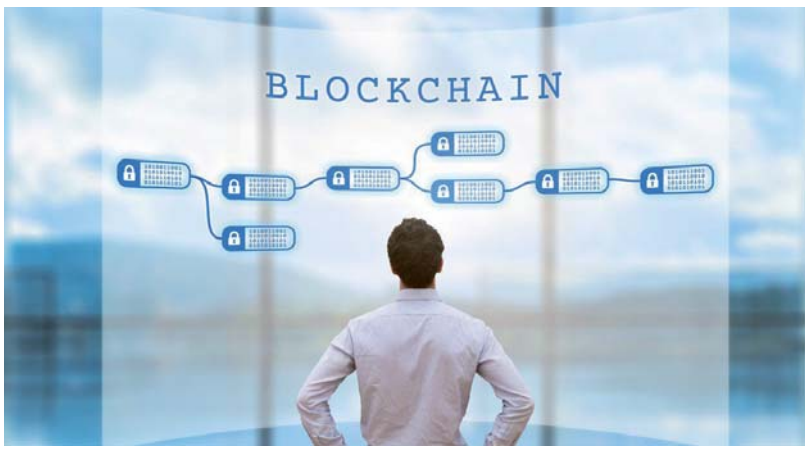

البلوك تشين تضمن العقود والوثائق وتحميها من القرصنة

أخبار التكنولوجيا

مظلة ذكية تتحرك مع الشمس

❑ ابتكرت شـركة أميركية ناشـئة مفهوما مبتكرا لمظلة شـاطئ ذكية على شكل عباد الشـمس تؤدي عدة مهام مرة واحدة، فهي أكثر من مجرد مظلة لحجب أشعة الشمس عن الجالس تحتها، إذ تعمل، بفضل تقنيتها الحديثـة، على حراسـة المحتمي بها على شـكل روبوت، وتقوم بتشغيل الموسيقى، إضافـة إلـى دورها كمظلة وقايـة، بتعقب حركـة الشـمس وضبـط وضعهـا لوقاية أصحابها في جميع الأوقات.

روبوت لكي وطي الملابس

❑ استعرضت شركة أميركية ناشئة روبوتا جديـدا قادرا علـى طي الملابس بسـرعة ومهارة عاليتين مقارنة بالبشر.

ويعمـل الروبـوت بالطريقـة والكيفية التـي تعمـل بهـا الطابعـات، حيث يضع المسـتخدم قطعـة الملابس المـراد طيها تماما كما يضع الورق داخل الطابعة.

وقالت الشركة المُصنعة "فولدي ميت"، إن عمليـة طي أي قطعة تأخذ نحو 4 دقائق فقط من بدء وضعها داخل الماكينة وحتى خروجها مطوية ومكوية.

أظافر ذكية تحمي من حروق الشمس

❑ كشـفت شـركة فرنسـية عـن أظافـر اصطناعيـة ذكيـة قـادرة علـى تنبيـه الأشـخاص إلـى أنهم معرضـون لمخاطر الإصابة بحروق الشـمس، نظرا لقضائهم فترات طويلة تحت أشعة الشمس.

وأوضحت شـركة لوريال الشـهيرة أن الأظافر عبارة عن مستشعرات صغيرة جدا مصممة لوضعها على ظفر الإبهام لتكشف عن الأشـعة فوق البنفسجية ونسبتها في الجلد، لتخبر مرتديها بأن بشرتهم معرضة لخطر بسـبب قضائهم فترات طويلة تحت أشعة الشمس.

«هاي ميرور» خبير تجميل ذكي

❑ استعرضت شـركة "هاي ميرور" أحدث منتجاتها للمرايـا الذكية التي تعد بمثابة خبيـر تجميـل واستشـاري صحـة، فهي تدرس وتفحص البشـرة بمنتهى العناية والدقة لتخبرك بكل ما يتعلق ببشرتك.

فمرآة هـاي ميـرور تعتمد علـى تقنية مسـح الوجه والـذكاء الاصطناعي لتعطيك بشـكل مفصل أفضل المنتجـات التجميلية المناسـبة لنوع البشـرة بفاعليـة وأفضل الأوقـات لتجربـة منتجـات جديـدة تجنبا لحدوث أي ردود أفعال عكسية تضر البشرة.

لمن لا يريد الرياضة والحميات طريقة واعدة لخفض الوزن

شريط لاصق خاص يحرق الدهون دون آثار جانبية

لا يزال إنقاص الوزن من أكثر المسائل التي تشغل الناس والباحثين، فقد سئم الكثيرون من اتباع كل أنواع الحميات ومن ممارسة التمارين الرياضية التي يبذلون فيها جهدا ووقتا كبيرين دون بلوغ النتائج التي يبتغونها. يرغب كل من يحلم بالجسم الرشيق في امتلاك حل سحري يخلصه من دهونه دون مشقة. هذا الحلم يمكن أن يتحقق بعد تجربة طريقة جديدة تذيب الدهون مباشرة تحت الجلد.

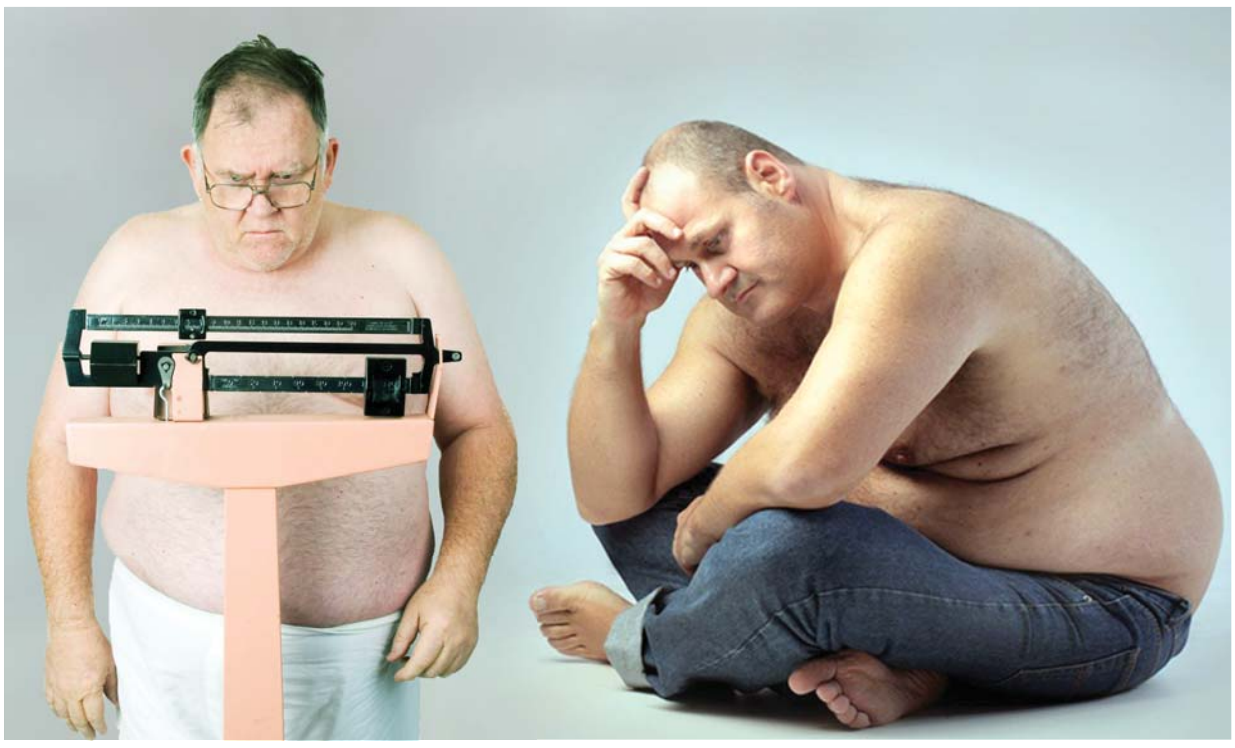

الطريقة الجديدة لا تتطلب بذل الجهد أو الحركة

❑ **بون (ألمانيا)** – يبدو ما ذكره باحثون من سنغافورة مؤخرا أجمل من أن يكون حقيقة، حيث أعطوا فئرانا مادة فعالة عن طريق شريط لاصق يجعلها لا تصبح بدينة رغم تناولها أغذية دسمة، بل ويساعدها على خفض دهونها أيضا.

حولت هذه المادة الفعالة ما يعرف بالدهن الأبيض الذي يخزن الطاقة إلى دهن بني، وهو نوع من الأنسجة الدهنية البنية وظيفتها حرق الدهون المتراكمة بالجسم وتحويلها إلى طاقة.

فهل عثر العلم بذلك على وسيلة لمكافحة "وباء" البدانة؟

لم يصل الأمر إلى هذا الحد حتى الآن، ولكن الكثير من الباحثين يعتبرون أن مجرد فكرة تحويل الدهون أمر واعد في حد ذاته.

وهناك بحث دؤوب عن استراتيجية فعالة ضد البدانة المتزايدة وذلك في ضوء العواقب المحتملة للبدانة مثل مرض السكري وأمراض القلب والدورة الدموية والسرطان "حيث أن عدم وجود مادة دوائية في الوقت الحالي يمثل موقفا غير سار، نحن بحاجة إلى ذلك بشكل ملح"، حسبما أوضح ألكسندر بفافير، مدير معهد العواقير والسموم التابع لجامعة بون. وأضاف "ولكن هذا المجال في حراك دائم، هناك تقدم مستمر في هذا المجال".

> الطريقة الجديدة تتمثل في إعطاء المادة الفعالة للإنسان عبر شريط لاصق يوضع مباشرة في المنطقة المطلوب خفض دهونها

تخضع الخلايا الدهنية منذ وقت طويل بالفعل للدراسة كبداية محتملة للعلاج الدوائي. وهناك في جسم الإنسان إلى جانب الخلايا الدهنية البيضاء والبنية سابقة الذكر خلايا دهنية صفراء تتكون من الخلايا البيضاء وتحرق الطاقة مثل الخلايا البنية تماما.

فإذا نجح الباحثون الآن في تنشيط الدهون البنية دوائيا أو في تنشيط التحول من الخلايا البيضاء إلى الخلايا الدهنية الصفراء فربما نجحوا في تطوير دواء لمكافحة السمنة، هذه هي الفكرة.

يرى توبياس فرومه، أستاذ الطب الغذائي الجزيئي في جامعة ميونخ للعلوم التطبيقية، أن هذه الفكرة ليست غريبة "حيث ينجح ذلك بشكل جيد تماما لدى الحيوانات الثديية الصغيرة".

تبين لفرومه والفريق المساعد له مؤخرا أن كمية الدهون البنية تصل لدى البالغين إلى ثلاثة أمثال ما كان يفترض حتى الآن وأن ذلك أيضا أثار اهتمام الصناعات الدوائية بإحراق الدهون باستخدام عقاقير.

وبالفعل فإن الخبراء أصبحوا يعرفون العديد من المراسيل التي تساعد على نشاط تحويل الأنسجة الدهنية.

من بين هذه المراسيل الكاتيكولامين مثل الأدرينالين ونورإبينفرين وهورمونات مثل أوستروجين و تيستوستيرون وبروجيستيرون أو عوامل نمو، كما أوضح ذلك الباحثون تحت إشراف مارسيل شايدلر من معهد السكر والسرطان في ميونخ في مقال لهم مؤخرا.

حصل الباحثون على الكثير من النتائج التي توصلوا إليها حتى الآن من خلال تجارب على حيوانات أو خلايا حيوانية. شرح شايدلر وزملاؤه مؤخرا كيف يمكن، على الأقل تجريبيا، تحويل خلايا دهنية بشرية بيضاء أيضا إلى خلايا بنية.

وأوضح شايدلر أنه يتم "ترميم" نحو 10 بالمئة من الخلايا الدهنية البشرية كل عام أي يتم إبدالها بخلايا دهنية جديدة".

تتميز طريقة إعطاء المادة الفعالة للإنسان عبر شريط لاصق بالطريقة التي وضحها باحثو سنغافورة في دراستهم بأنها يمكن أن يستخدم العقار بشكل مباشر في المنطقة المطلوب خفض دهونها مما يحول حسب الباحثين دون حدوث آثار جانبية أو يخفضها على الأقل.

وعن ذلك يقول شوش ينجي من جامعة نانيانغ للعلوم التقنية "مما يخفض التكاليف، كما أن إعطاءها بشكل بطيء يخفض الآثار الجانبية".

غير أنه لا يوجد حتى الآن شريط لاصق أو قرص يجعل الطبقات الدهنية تذوب، حيث لا تزال الأبحاث في هذا المجال في بداياتها حسبما أوضح فريق شايدلر في بحثه.

من الناحية النظرية، ليس أمام من لا يريد ممارسة الرياضة أو اتباع نظام غذائي خاص فرصة أخرى لإنقاص الوزن.

كما أنه من الممكن أيضا تحفيز نشاط الخلايا الدهنية البنية من خلال علاج بالبرد "حيث ينتج جسمنا عند الشعور بالبرد وإلى أن نبدأ في الارتعاش على الأقل الحرارة اللازمة له بمفرده من خلال تنشيط دهون بنية"، حسبما أوضح فرومه. لذلك فإن الأشخاص الذين يتعرضون للبرودة بشكل منتظم ربما يخسرون بعض الكيلوغرامات من وزنهم، حيث كشفت أحدث الدراسات المتعلقة بالسيطرة على الوزن، والتي استغرق إنجازها 10 سنوات وتناولت آثار البرد على عملية التمثيل الغذائي، أن البرد يساعد على إنقاص الوزن. وانتهى الباحثون إلى نتيجة مفادها أن المنازل والمكاتب الدافئة يمكن أن تساهم في زيادة عرض الخصر وارتفاع الوزن.

وأظهرت الدراسة أن الارتجاف الذي يحدث للجسم كرد فعل على انخفاض الحرارة، يستهلك حوالي 30 بالمئة من طاقة الجسم، ما يعني أن انخفاض درجات الحرارة يرفع بشكل كبير من معدل حرق الجسم للسعرات الحرارية بدلا من أن تخزن في شكل دهون. ونصحت دراسة سابقة أجريت بجامعة توركو الفنلندية باستثمار فصل الشتاء في إنقاص الوزن، لأن الشعور بالبرد قادر على حرق الدهون أسرع من أي برنامج غذائي آخر.

وكشفت الدراسة أن التعرض لدرجات الحرارة المنخفضة يقوم بتحفيز نوع من الأنسجة الدهنية بالجسم المسؤولة عن حرق الدهون والسكريات من أجل إنتاج الحرارة. وهذه الأنسجة توجد في الخصر والأكتاف والرقبة، حيث يقوم البرد بزيادة استهلاك الغلوكوز.

من يعيشون قرب قاعات الرياضة يتمتعون بجسم أنحف

❑ **لندن** – أفادت دراسة بريطانية بأن من يعيشون قرب صالات رياضية ومسابح وملاعب يتمتعون بوزن أقل وخصر أنحف مقارنة بمن يعيشون على مسافات أبعد من المنشآت المخصصة لممارسة التمرينات الرياضية.

كما قال الباحثون في الدراسة التي نشرت في دورية لانسيت للصحة العامة إنه يبدو أن العيش بعيدا عن مطاعم الوجبات السريعة يساعد أيضا على الاحتفاظ بأوزان أقل، رغم أنهم لم يتأكدوا من هذه الصلة بقدر تأكدهم من فائدة السكنى قرب الصالات الرياضية.

وقال كبير الباحثين في الدراسة ستيفن كامنز من كلية لندن للصحة العامة وطب المناطق المدارية "من المرجح أن سكان المجتمعات التي تفتقر إلى منشآت قريبة تشجع على اتباع نمط حياة صحي يكونون أكثر عرضة للبدانة".

وأضاف كامنز في رسالة بالبريد الإلكتروني "يمكن إصلاح ذلك بفرض قيود على عدد مطاعم الوجبات السريعة الجديدة في كل حي ومدى قربها من المنازل وتحفيز منشآت الأنشطة البدنية على فتح فروع لها في مناطق سكنية تقل فيها مثل هذه الأماكن، أو تمويل السلطات المحلية لتوفر هي هذه المنشآت".

وتفيد تقديرات منظمة الصحة العالمية بأن أكثر من 1.9 مليار بالغ يعانون الوزن الزائد أو السمنة. وتسهم هذه المشكلة في الإصابة بمشاكل صحية شائعة تشمل أمراض القلب وداء السكري وأنواعا من السرطان.

وفي هذه الدراسة فحص الباحثون بيانات خاصة بالوزن وقياس الخصر ونسبة الدهون لأكثر من 400 ألف رجل وامرأة تتراوح أعمارهم بين 40 و70 عاما.

واستخدم الباحثون بيانات جمعت بين عامي 2006 و2010 مثل دخل الأسرة وأنواع الطعام والخيارات المتاحة لممارسة الرياضة في أماكن قريبة من المنازل مثل الصالات الرياضية والمسابح والملاعب. ولم ينظر الباحثون إلى التريض في الحدائق العامة أو مسارات المشي أو قيادة الدراجات.

ووجدت الدراسة أنه في المتوسط أتيحت للمشاركين منشأة واحدة لممارسة التمارين تقع على مسافة لا تزيد عن كيلومتر واحد من المنزل، وأن نحو ثلث المشاركين لا يجدون مكانا لممارسة الرياضة بهذا القرب من منازلهم.

كما وجد الباحثون أن المشاركين في المجمل عليهم قطع مسافة 1.1 كيلومتر فقط لبلوغ مطعم للوجبات السريعة، وأن هناك مطعما لتقديم هذه الوجبات لا يبعد أكثر من نصف كيلومتر عن منازل نحو خمس المشاركين.

وتوصلت الدراسة إلى أن سهولة الوصول إلى أماكن ممارسة التمرينات تعني التمتع بوزن صحي أكثر.

فقد كانت أوزان المشاركين الذين أتيحت لهم ستة أماكن على الأقل لممارسة التمرينات الرياضية أقل ممن لا توجد أماكن كهذه قرب بيوتهم. كما كانت خصورهم أنحف بمقدار 1.22 سنتيمتر ونسبة دهون الجسم لديهم أقل بمقدار 0.81 في المئة في المتوسط.

في الوقت نفسه كانت خصور من يعيشون على بعد كيلومترين على الأقل من مطعم للوجبات السريعة أنحف بمقدار 0.26 سنتيمتر مقارنة بمن يعيشون على بعد أقل من نصف كيلومتر من مطعم لهذه الوجبات.

قال خبراء إن الأفارقة يتناولون وجبات سريعة أكثر ويفضلون أنماط الحياة قليلة الحركة مع زيادة دخولهم، مما أدى إلى ارتفاع نسب الإصابة بالسمنة والأمراض المرتبطة بها ومنها السكري والسرطان.

وقال تقرير غلوبال نيوتريشن ريبوت، إن نسب السمنة وزيادة الوزن ترتفع في كل دول العالم تقريبا، واصفا سوء التغذية بأنه "الوضع الطبيعي الجديد".

وقال التقرير إن واحدا من كل ثلاثة بمختلف أنحاء الأرض يعاني سوء التغذية وإن 44 في المئة من دول العالم تشهد مستويات خطيرة من نقص التغذية المزمن والسمنة.

وتعد السمنة من أشكال سوء التغذية وفيه لا يستقبل الجسم العناصر الغذائية الكافية، بينما يستوعب كميات أكثر من اللازم من الملح والسكر والكولسترول.

وقال شين نوريس، خبير التغذية في جامعة فيتفاترسراند في جنوب أفريقيا لمؤسسة تومسون رويترز عبر الهاتف، "تواجه العديد من دول القارة الآن عبء سوء تغذية مزدوج.

يوجد نقص تغذية في المراحل المبكرة من الحياة وزيادة في الوزن وسمنة في المراحل التالية". تقتفي الدول الأخرى التي تشهد توسعا حضريا أثر جنوب أفريقيا؛ حيث يصطف أبناء الطبقات المتوسطة أمام مطاعم الوجبات السريعة الشهيرة مثل دجاج كنتاكي المقلي.

وفي كينيا أظهرت بيانات حكومية أن 84 في المئة من الناس يضيفون دائما أو في الكثير من الأحيان السكر إلى وجباتهم ومشروباتهم، بينما يأكل 94 في المئة عددا أقل من قطع الفواكه.

التحفيز الكهربائي للعضلات يضر الكلى

❑ **واشنطن** – حذرت الجمعية الألمانية للفزيولوجيا العصبية السريرية من المبالغة في ممارسة تقنية التحفيز الكهربائي للعضلات المعروفة اختصارا بـ "إي أم اس"؛ حيث أنها قد تلحق أضرارا بالكلى.

وأوضحت أن السبب في ذلك يرجع إلى أنه أثناء ممارسة هذه التقنية يفرز الجسم الكثير من إنزيم "كيناز الكرياتين"، الذي يمد العضلات بالطاقة، ولكنه قد يؤذي الكلى في أسوأ الحالات.

ولتجنب هذا الخطر ينبغي ممارسة تقنية التحفيز الكهربائي للعضلات بمعدل مرة أو مرتين في الأسبوع على أقصى تقدير. وتجب استشارة طبيب على الفور في حال الشعور بآلام أو بخفقان في القلب بعد ممارسة التمرين.

يشار إلى أن تقنية التحفيز الكهربائي للعضلات تعتمد على ومضات كهربائية تنشط خلايا عضلات الجسم ولا تتطلب سوى 20 إلى 30 دقيقة، وهي تعمل على تنشيط عضلات الجسم عبر سترة خاصة، بها عشرة أقطاب كهربائية موجهة على أجزاء العضلات الرئيسية كالصدر والبطن وأعلى وأسفل الظهر والذراعين والقدمين. ويتم توصيل السترة بجهاز "إي أم اس" ليقوم بعدها الشخص بتمارينات بسيطة ومتنوعة كل منها يركز على منطقة معينة من الجسم.

تجديف الصالات يدرب جميع عضلات الجسم

❑ **برلين** – تعتبر رياضة تجديف الصالات واحدة من الرياضات الحديثة الهامة التي تساعد على منح الجسم المزيد من الصحة واللياقة البدنية؛ حيث إنها تعمل على تدريب جميع عضلات الجسم، كما أنها لا تحمل على جانب واحد دون الآخر، علاوة على أنها تعالج واحدا من أكثر الآلام شيوعا، ألا وهو ألم الظهر.

وقال عالم الرياضة البروفيسور كلاوس بوس من معهد كارلسروهه للتكنولوجيا، إن التجديف إحدى رياضات قوة التحمل، التي تعمل على تقوية العضلات، وهي توليفة نادرة. وعلى غرار الركض يعمل التجديف على تدريب جميع عضلات الجسم.

ومن جانبه، قال اختصاصي الطب الرياضي أولريش كاو إن التجديف على الإرجوميتر يعد رياضة مناسبة لكل مستويات اللياقة البدنية وكذلك لكل الأعمار من 6 إلى 95 سنة.

وأضاف أن تجديف الصالات يعمل على تحريك جميع العضلات، لكنه وفي الوقت نفسه لا يحرك جميع العضلات بشكل شديد؛ فهو مثل السباحة يتميز بعدم التحميل على جانب واحد فقط من الجسم.

وبدورها أشارت مدربة اللياقة البدنية سوزان آرنت إلى أن الساقين هما أكثر أجزاء الجسم استفادة من ممارسة التجديف؛ حيث أن 70 في المئة من القوة لدى التجديف تأتي من الساقين.

ويعتبر التجديف من العلاجات الجيدة لأحد الأمراض الشائعة، ألا وهو آلام الظهر؛ حيث تتولد قوة دفع من الساقين على الدواسة.

مآلات الثورات العربية أكبر درس للشباب بأهمية تحرير العقول

الخطاب الديني المتصلب عقدة المنشار أمام ثورة العقل العربي

يراهن الشباب العربي اليوم على إصلاح المجتمعات وإحداث التغيير الحقيقي والخروج من حالة اليأس والتردي بثورة العقل، لا سيما بعد النتائج الكارثية التي حققتها ما تسمّى بثورات الربيع العربي، التي أدخلت الشباب في نفق أكثر ظلمة وأظهرت مدى تحكم الموروث الديني بالعقلية الجمعية.

من يشعل الشرارة الأولى لثورة العقل

❑ **لندن** – يستفيض الشباب بالحديث عن "انحدار العقل العربي" في الجامعات والمقاهي وخلف الشاشات والمنابر الثقافية التي تفضل الابتعاد عن هذه القضية ومواراتها، في حين أنها تتفاقم فعليا في المجتمع، وتعكسها مواقع التواصل الاجتماعي التي تنعى كل يوم صحوة العرب إلى مثواها الأخير، ليبقى صوت من ينادي بثورة العقل العربي خافتا.

ويرى الكثير من الشباب أن مآلات الثورات العربية أكبر درس بالنسبة إليهم، بأن إصلاح العقل هو نقطة الانطلاق لإصلاح المجتمعات، وهي القضية التي أثيرت من قبل كتاب عرب كبار، لكنها بقيت حبيسة الكتب ولم تطرح للنقاش على نطاق واسع، حتى وصل الأمر إلى ما هو عليه اليوم من تدهور ويأس، جعل الحديث عنها يشوبه الإحباط أكثر من الأمل بالتغيير.

> الإسلام السياسي لم يرفض مقررات العقل السياسي التونسي وإنما عمل على احتوائها واستلابها وتحويل وجهتها لصالحه

ويذهب بعض المفكرين والكتاب إلى أن من الخطأ الحديث عن القضية بشكل عام دون النظر إلى خصوصية كل مجتمع على حدة، وسبق أن تناول الدكتور هيثم الزبيدي، رئيس تحرير صحيفة العرب اللندنية، هذه المسألة في مقال بعنوان "خرافة إصلاح العقل العربي"، وقال فيه "يتجرأ كل مفكر عربي على استخدام مفهوم الوحدة اللغوية في العالم العربي لكي يطرح أسئلة من نوع، كيف نصلح العقل العربي؟".

وأضاف "لأنه مشرقي أو شمالي يتحدث العربية، ولأنه من عاصمة مشعة ثقافيا، يفترض أن بوسعه توفير حلّ فكري شامل وموحد لأزمة العقل العربي التي يفترض أنها نفسها في أقصى الغرب أو الجنوب.

كلنا يعرف أن هذا الجواب مفقود بعد عقود من إطلاق السؤال. كلما جاء جيل جديد، يطلق نفس السؤال، ويتراجع مكتئبا بأن العقدة في العقل الجمعي، وأن من الصعب أو حتى المستحيل، العثور على الجواب. لم يسأل الكثيرون ممن طرحوا السؤال إن كان هو السؤال المناسب. هل هناك عقل عربي حقا لكي نصلحه؟ أم هي عقول عدة، قد تكون عقولا متعددة في كل بلد وليس في بلدان مختلفة وحسب؟".

الانطلاق من المجتمع المحلي

إذا كان البعض من المفكرين قد أطلقوا السؤال بصيغة جمعية كما أشار الزبيدي، فإن الشباب بالعموم حين يتناولون القضية ينطلقون من إطار محلي، ومن البيئة التي يعايشونها ويخضعون لمعاييرها وأحكامها.

ويقول محمد عامر، الطالب في كلية الاقتصاد من جامعة دمشق، "من الخطأ الاعتقاد بأن القضية محصورة بالوعي السياسي، فنحن بحاجة إلى ثورة العقل على كافة المستويات الاجتماعية والثقافية، ولا نغفل المشكلة الأكثر تعقيدا، ألا وهي التجديد في المفهوم الديني".

ويضيف عامر "نحن محبوسون في نص ديني جامد عفا عليه الزمن، ونرفض الخوض في إمكانية مواكبته مع مستجدات العصر، ومن يتجرأ بالحديث عنها يتّهم بالهجوم على الدين والإساءة إليه، وتخريب العقول".

وتشكل مسألة تجديد الخطاب الديني عقدة المنشار في ثورة العقل العربي، فالعقلية الجمعية الغالبة ترفض أي مقاربة للإصلاح الديني وتغيير خطابه العام، الموروث منذ مئات السنين، والمشكلة الأكبر أنها ليست متعمّقة فيه بما يكفي لتحليله وقراءته وتبيان ما هو حقيقي أو مزيف ومختلق، وفق ما يقول أحمد دياب، الطالب السوري في كلية الآداب.

ويضيف "أننا بحاجة أولا إلى تحرير العقل العربي قبل الثورة على المفهوم السائد، فمن طرح هذا المفهوم من المفكرين، تعرض للهجوم والمحاربة، كما أن الإعلام نادرا ما يتطرق إلى هذه المسألة، وبالتالي مازالت مستهجنة بالنسبة إلى الكثير من الناس العاديين غير المثقفين الذين لم يفكروا أصلا بالمسألة ولم تطرح عليهم".

النص الديني بلغة العصر

ينوّه إلى أهمية هذه المسألة بالقول إن النخب الثقافية تستثني الناس العاديين من هذا النقاش رغم أنهم المعنيون بالموضوع، وهم القاعدة الأساسية التي يجب البدء منها لإصلاح العقل العربي.

أشار عامر إلى مشروع المفكر السوري محمد شحرور، على مدى خمسين عاما، الذي أسس لمشروع فكري مختلف يعيد عبره قراءة النص الديني بلغة العصر، إلا أن الكثيرين انتقدوه وهاجموه دون أن يتمعنوا في الفكرة ومناقشتها بشكل عقلي، وذلك منذ إصداره كتابه الأول "الكتاب والقرآن" عام 1990.

ويقول شحرور إن "دراسة القرآن فتحت على مشروع أوسع بدراسة العقل العربي الجمعي، والشروع في تقديم أجوبة حول عجزه عن إنتاج المعرفة".

ويضيف أن "العقل العربي الجمعي يعاني من ثلاث مشكلات تكفي واحدة منها كي تعطّل عملية إنتاج المعرفة".

لا نعرف كيف نفكر

من جهتها انطلقت الدكتورة نوال السعداوي، إحدى المفكرات الأكثر تمردا من مشكلات المجتمع المصري حين تناولت القضية، وقالت إن "العقل العربي والمصري بشكل خاص، لا يعرف كيف يفكر حقا".

وأضافت، "أنا ضد تقسيم الناس إلى مفكرين وغير مفكرين، كأنما التفكير مهنة محتكرة. الفكر عمل إنساني. المشكلة أن المثقف لا يعرف كيف يفكر الفلاح. بل نحن جميعا لا نعرف كيف نفكر، وهذه مشكلة كبيرة جدا بالنسبة إلى الصحافة والإعلام والجامعة والطب".

وتابعت، "لماذا لا يلعب المثقف دورا حقيقيا في حياتنا العامة. هذه النخبة التي تتوقف عن تحصيل العلم بعد التخرج، فيتوقف ما عندها من علم في ماض سرعان ما يصبح سحيقا، بفعل تقدم العلوم والمعارف في هذا العالم".

وبالنسبة إلى الشباب المصري، فإن الغالبية منهم بدأوا يفكرون بمنظور مختلف بعد اندلاع ثورة يناير، فيقول ياسر فوزي في صفحته على فيسبوك، "المجتمع المصري يعاني من أزمتين مرتبطتين ببعضهما البعض هما فساد المجتمع وفساد العقل".

ويضيف أن "المواطن الفرد نفسه عقله قد فسد ويظهر هذا واضحا في أزمة المواطن مع التابو والدوغما سواء العقائدية أو حتى في تعامل الثوار أنفسهم مع الثورة، حيث تحولت فكرة الثورة لدى الكثير من الناشطين المصريين إلى دوغما (فكرة معينة لدى مجموعة دون قبول النقاش فيها) غير قابلة للنقد، أضف إلى ذلك تحكم السلطة الدينية في عقل الإنسان المصري والإيمان بالخرافات والتفكير الدائم في الماضي".

وتابع "في 25 يناير ثار المصريون على المجتمع ولكن بعدها لم تحدث ثورة على العقل أو عملية إصلاح لهذا العقل الفاسد، وبالتالي تعثر إصلاح المجتمع، وقد يحتاج إصلاح العقل إلى سنوات كثيرة ولكنه ضرورة إن لم تتم، لا يمكن لثورة أو إصلاح في المجتمع المصري أن ينجح لأن العقل المكون لهذا المجتمع فاسد".

عقدة الإسلام السياسي

لعل المفهوم الديني الجامد في المجتمعات العربية الذي غذى أفكار الإسلام السياسي، هو قاسم مشترك ضد ثورة العقل العربي برأي الشباب، ويتناول التونسيون هذه الإشكالية بكثير من الحنق بعد الثورة، حيث طفت على السطح أفكار المتشددين والأصوليين. ويقول الكاتب والباحث التونسي مصطفى القلعي، إن "أول عملية صدّ واجهها العقل السياسي التونسي من قبل الإسلام السياسي، وذلك عندما كان المشهد السياسي ملتبسا إبان سقوط النظام السابق، فقرر هذا العقل السياسي بعد تردد أن يختار فكرة المحو والبدء من الأول على فكرة إصلاح الموجود".

وأضاف "لم يكن للإسلام السياسي أي دور في هذا الاختيار لأنه لم يكن قادرا على التّقييم والمبادرة باعتباره لم يكن مقيما في تونس ولا قدرة له على التفكير في الشأن التونسي والتأثير فيه عبر المداخل العقليّة والفكرية والمؤسّساتية الاستشرافية. ولهذا اشتغل بأدواته الشعبوية الدخيلة على المشهد التونسي وغير الأصيلة والتي تقوم على أدوات شوفينية تصنف المواطنين والناشطين عبر ما يُظهرونه من إيمان وتقوى لا عبر برامجهم وأفكارهم".

> العقلية الجمعية الغالبة ترفض أي مقاربة للإصلاح الديني وتغيير خطابه العام، الموروث منذ مئات السنين

وتابع "لم يرفض الإسلام السياسي مقررات العقل السياسي التونسي وإنّما عمل على احتوائها واستلابها وتحويل وجهتها لفائدته. ههنا تلقى العقل السياسي التونسي الضربة القاصمة التي جعلته يترنّح إلى اليوم فاقدا روح المبادرة. فالإسلام السياسي لم يكن كما قلنا وراء فكرة إجراء انتخابات تأسيسية ولكنه وظّف كل إمكانياته ليكون المستفيد منها". ومن جهته يتناول المفكر الدكتور مراد وهبة، المسألة من منظور علمي، مبيّنا أن القضية قديمة متجددة لا تقتصر على المرحلة الراهنة، وبين أن الشرط المطلوب لكي تكون فيلسوفا هو "إعمال العقل الناقد في الموروث أيا كان، مع تحمل النتائج المترتبة على ممارسة هذا الشرط".

ويقول وهبة، إن اهتمامي برجل الشارع مردود إلى اهتمامي بالثورة العلمية والتكنولوجية، فالإرهاب يقوم به رجل الشارع لأن رجل الشارع ليس متنوّرا ولا يوجد فلاسفة يهتمون به، فقد ترك للتيارات الأصولية تعبث بعقله إلى أن المناخ الدولي أصبح محكوما برجل الشارع.

ونضرب مثالا علي ذلك، فعندما ذهب فرج عبدالسلام صاحب كتاب "الفريضة الغائبة" لرقيب اسمه حسين عباس وكان حاصلا على بطولة في الرماية، وقال له "مبروك أنت هتروح الجنة"، قال له لماذا؟ فرد قائلا "لأنك ستقتل السادات" فوافق بالطبع وكانت الطلقة الأولى لاغتيال السادات من حسين عباس..

ثورات في غياب الوعي

غياب المتصوفات يفتح المجال أمام الدجالات

الظهور المحتشم للمرأة المتصوفة محاولة مستميتة لكسر الهيمنة الذكورية

تراجع دور المتصوفات ترك المجال لبروز سيدات يحاولن نشر أفكار مغلوطة، لكن هذا التراجع لا ينفي أن المرأة المنضوية تحت لواء التيار الصوفي لطالما حملت إرثا ضخما ساهم في ترسيخ الدين ونشر القيم الروحية وإرساء مفاهيم أخلاقية وتربوية.

شيرين الديدامواني
كاتبة مصرية

❏ **القاهرة** – اختفى نموذج المرأة المتصوفة المرتدية لثوب "التشيّخ" التي يمكن لنساء أخريات أن يسرن على دربها وينهلن من علمها، وصار من النادر ظهورها الآن في الدول العربية، ففي مصر تركت المتصوفات الساحة فارغة أمام سيدات متشبّعات بأفكار التشدد داخل المساجد.

ولم يعد هناك وجود كما في الماضي للمرأة "الولية" العالمة التي يراهن عليها أتباعها ومريدوها، وأصبح كل ما تبقى من تراث المتصوفات سيرة عطرة وحكايات عن أضرحة ومقامات لعارفات بالله من نسل الرسول الكريم، كمقام السيدة نفيسة والسيدة زينب بالقاهرة، أو صالحات يتم التبرك بزيارتهن.

ويجد الباحث عبر محرك البحث "غوغل" عن المرأة الصوفية في مصر، أن أخبارها قليلة للغاية، وربما كان آخر ظهور لها في 2009 عندما تم الإعلان عن تأسيس "جمعية النساء المتصوفات" بمنطقة العباسية بالعاصمة المصرية القاهرة، ومن بعدها لم تظهر أي أنشطة لتلك الجمعية أو لهؤلاء النساء المؤسسات لها.

ولم تفلح العديد من المحاولات للوصول إلى مقر جمعية النساء المتصوفات، فلم تكن هناك وسيلة اتصال أو مكان محدد للاستدلال به، لكن في النهاية تم التواصل مع السيدة نفيسة زكريا مؤسسة الجمعية من خلال زوجها الشيخ عبدالخالق الشبراوي، رئيس جبهة الإصلاح الصوفي في مصر وشيخ الطريقة الشبراوية.

واحتفظت السيدة بقدر كبير من العلم والجمال والرؤية المتزنة للأمور، ولم تنف زكريا ما أسمته بـ"التقاعس الإجباري" من النساء في ميدان التصوف. وقالت لـ"العرب" "نعلن أننا مقصرات ولا يشعر بنا أحد لكننا ظللنا منكفئات على ذواتنا لأننا شعرنا بالغربة في وطننا، بعدما طالتنا الاتهامات لحد تكفيرنا واستهدافنا من قبل الجماعات المتشددة، فنحن مختلفات في طريقة التعبد لله وفي الاختلاف تكامل"، مضيفة "لسنا مخالفات كما يتهمنا البعض، وظهورنا الآن نتج عن إحساسنا بالخطر وأن الدولة في حاجة إلى مجهوداتنا لطرد الفكر المتشدد".

واعترفت بأن حركة المرأة الصوفية ضيقة للغاية، لكنها عللت ذلك بأن تلك الطرق تعمل بمجهودات أبنائها وتبرعاتهم وليس هناك من يدعمها، فالتواجد والانتشار يحتاجان مبالغ مالية كبيرة جدا ليست في حوزتهن، عكس تيارات أخرى يأتيها الدعم من الداخل والخارج مثل المنتسبات لجماعة الإخوان المسلمين، وهو ما ساعدها على الانتشار بقوة داخل المجتمع، وهناك سلفيون لهم منابر في مصر ينفقون عليها ببذخ.

وأكدت زكريا أن العقبات لم تكن عائقا أمام النساء لاعتناق الفكر الصوفي، فهناك الملايين من اللاتي يترددن على مقرات الطرق منهن الطبيبات والمدرسات والمذيعات وربات المنازل، ومعظم السيدات الريفيات يمارسن التصوف دون أن يدخلن إلى الطريقة.

«الولية» المتصوفة

أفسح غياب صورة المرأة الصوفية الحقيقية في المجتمع المصري وخفوت صوت المتواجدات على الساحة، المجال لصورة أخرى أكثر ضبابية ناتجة عن تصرفات بعض العامة من النساء لهن شطحات بادعائهن معرفة الغيب وكشف الحجب والكرامات والأفعال الخارقة وغير ذلك.

وزاد من تلك الصورة المرتبكة أن متصوفات كثيرات لا يظهرن انتماءاتهن للصوفية ولا يحاولن نشر الفكر الصوفي المعتدل لمحو الصورة السيئة، على الرغم من ذهابهن للمساجد وزيارتهن بيوت الأولياء الصالحين وتعلقهن بسير العارفين بالله وأقطاب الصوفية، واستخدامهن تعبيرات صوفية في أحاديثهن الإعلامية وعلى مواقعهن الإلكترونية.

وأصبح المجتمع المصري محتارا بين صورة تراثية لنساء مثل رابعة العدوية وأخرى سلبية لبسطاء الموالد، وبين هذه وتلك هناك مريدات تحكمهن قيود وقواعد وتيارات دينية متعددة اتخذت من التصوف أحيانا موقفا عدائيا.

وترى متصوفات، رفضن ذكر أسماءهن، أن خفوت الصوت الأنثوي يرجع لطبيعة التصوف، فهو ليس طريقا لتحقيق الصيت وذيوع الشهرة والتباهي بالطاعات، لكنه طريق البحث عن رضا الله وتلك العلاقة يجب أن تكون سرّية وصامتة، فهي فقط بين المتصوف وربه.

وتعتبر التفسيرات المختلفة لانزواء المرأة الصوفية استكمالا لعوامل أخرى كثيرة تسببت في اختفائها من الحياة العامة، فهناك عقبات أخرى كثيرة وقفت حائلا بينها وبين حضورها التاريخي والمجتمعي.

وأشار أبوالفضل الإسناوي، المتخصص في الحركات الصوفية، إلى أن العابدات والزاهدات استطعن التحرّر من القيود التقليدية على حركتهن، فالتصوف قديما كان فرديا روحيا، ليس خاضعا لطريقة أو هيكل تنظيمي ذكوري.

أما الآن فالنزعة الذكورية سيطرت على المشهد وظهر ذلك جليا في اللوائح التنظيمية الحديثة بالمجلس الأعلى للطرق الصوفية الذي لا يقبل عضوية النساء داخله، وهو ما يشكل حاجزا أمام الاعتراف بمقام المرأة ودورها البارز في ترسيخ الدين الإسلامي ونشر القيم الروحية وإرساء مفاهيم أخلاقية وتربوية.

وتنتقل طبقا للقانون 118 لسنة 1976 المنظم لعمل الطرق الصوفية في مصر، مشيخة الطريقة بعد وفاة شيخها لأقرب أقربائه الذكور، وهو ما أسهم في إبعاد المرأة عن الصورة.

وأضاف الإسناوي لـ"العرب" أن التصوف في مصر تتحكم فيه القبلية (نظام القبيلة الواحدة والتي لا يستطيع شخص الخروج عن أعرافها) ومعظمهم من أبناء الجنوب، حيث لا يوجد للمرأة دور يذكر غير أنها تابعة للرجل.

ولم ينكر الإسناوي أن هناك صورة مشوّهة عن المرأة المتصوفة، ودليله في ذلك أن مصطلح "الولية" هو العنصر الأنثوي لـ"الولي" في العالم الذكوري الصوفي، ويعني المرأة الصالحة إلا أنه تم تحويره في الموروث الشعبي المصري للإشارة إلى المرأة في أدنى مراتب انتمائها الطبقي وعُدّ سُبّة إذا نديت أنثى به.

ليست عورة

يرى البعض من المراقبين أن التيار الصوفي يشتمل على بدائل ثقافية واجتماعية وفكرية ثرية يمكنها الإسهام في فك القيود الدينية التي تم تكبيل المرأة العربية بها في المجال العام، فقد استطاعت نساء صوفيات في عصور ولت تغيير الخطاب المُنتج حول وضعية المرأة في الإسلام، وأصبحن ذوات أثر في التصوف الإسلامي وتتلمذ على أيديهن كبار العلماء.

وللمرأة شأن كبير في المذهب الصوفي، وهناك مرونة نسبية وانفتاح إزاء حقوق النساء، فقد خرجن من خطاب الفقهاء المتشددين المكتنز بالتمييز والإقصاء والتهميش، ورفضن وصفهن بـ"العورة" كما يصفها بعض أقطاب السلفية.

وذكر عبدالمنعم حنفي، كاتب أكاديمي في كتابه "فهرس أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية"، أن المرأة

غائبات حاضرات في الذاكرة الشعبية

مخلوقة من الضلع الأعوج في صدر آدم، هذا الضلع ليس دليلا على العوج عند الصوفيين، لكنه إشارة إلى كونها مخلوقة من أقرب نقطة إلى القلب رمز المحبة والود.

وأوضح علي زين العابدين، وكيل الطرق الصوفية بمحافظة الشرقية (شمال شرق القاهرة)، أن المرأة في الصوفية لها موقع أفضل مما هو عند السلفيين والإسلاميين، خاصة في المناحي التي تمس جوهرها البشري.

ولا يقيم التصوف بوصفه حالة روحانية وزنا للجسد ولا يفرق بين الأبدان، فكفة المرأة في ميزان التصوف تعادل كفة الرجل وتتفوق عليها في بعض الحالات، ولا مانع من وصول المرأة إلى أعلى مراتب الولاية فلا سقف يحدّها إلا مرتبة النبوة، فكل ما يناله الرجل من مقامات ومراتب يكون للنساء نظيرها.

وشرح زين العابدين لـ"العرب" أن الصوفية تكاد تتشابه في شروط الانتساب والمواصفات المطلوبة وآلية تولي خلافة الطريقة، وقد أجازت بعض الطرق للمرأة أن تكون سالكة للطريقة مثل الرجل.

وتنقسم الصوفية إلى درجات روحية وفكرية، إذ يبدأ المهتم بالصوفية كمريد، وتتبع ذلك مرتبة "السالك"، ثم في النهاية مرتبة "العارف"، وهي مرتبة لم تصل إليها امرأة في مصر من قبل.

وأشار زين العابدين، عن الطريقة التي يتم بها تسليك المرأة، إلى أن أهم شروط السالك هو الوضوء والطهارة بعدهما تجلس المتصوفة وراء أحد محارمها مثل الأب أو الزوج أو الأخ، ليضع يده في يد الشيخ عوضا عنها، وتبدأ في ترديد العهد وراء الشيخ، وهو عبارة عن التوبة وعقد النية ظاهرا وباطنا بالسير إلى الله واتّباع أوامره والبعد عن نواهيه، ثم ترديد لفظ الجلالة لعدة مرات، وعليها بعد ذلك أن تلتزم بأوراد الطريقة التي تتبعها، وهي عبارة عن مجموعة من الأذكار والاستغفار.

وأوضح أن زوجات المشايخ هن أمهات للملايين من المريدات لما لهن من باع طويل مع الفكر الصوفي، وفي الفترة الأخيرة دفع شيوخ الصوفية بزوجاتهن للحياة العامة لنشر قيم التسامح الصوفي المبرّأ من الجهل والضلالات والقائم على المجاهدة والمصابرة المستمدة من الكتاب والسنة.

وأكدت شفيقة شريف، سيدة صوفية في العقد السادس من العمر شبّت على حب جميع الطرق الصوفية لكنها تتبع الطريقة القادرية، أن المرأة لها مكانة كبيرة في الطريقة والسالكات منهن يعتبرن وسيطا بين شيخ الطريقة والمريدات اللاتي يخجلن من سؤال الشيخ، ومنهن من لديها خبرة كافية للرد على الأسئلة المطروحة. وأوضحت لـ"العرب" أن المرأة في الصوفية تهتم بالأعمال الخيرية وتعمل على شرح الفكر الصوفي للسيدات والفتيات ممن يرغبن في الانضمام إليهن، ويحاولن الوصول إلى المناطق النائية في الصعيد وفي القرى والنجوع لتبيان حقيقة الإسلام المعتدلة وفقا لأدلة نقلية وعقلية وقراءات صوفية بعيدا عن الفتاوى الغريبة التي يطلقها المتشددون.

وأشارت إلى أن الصوفيات من مختلف الطرق يتجمّعن في الموالد الدينية رافعات أعلام تضم تحت رايتها الآلاف من المريدات.

وتبوّأ التصوف مكانة هامة في المغرب العربي ومثّل جزءا أساسيا في التراث الإسلامي، وتجادل فيه الفقهاء وعلماء الكلام إضافة إلى جهود المستشرقين، وكانت المرأة المتصوفة حاضرة بقوة في الذاكرة الجماعية بمختلف البلدان المغاربية إلى اليوم.

وعلى الرغم من غياب نساء مغربيات متصوفات في العصر الحديث، فإن المرأة المتصوفة ظلت موجودة في المجتمع المغربي.

وقال خالد التوزاني، باحث مغربي في التصوف الإسلامي، إن غياب المتصوفات اليوم عائد "أولا: إلى أن مفهوم التصوف يقتضي الانقطاع عن الخلق والاتصال بالحق، وثانيا: لأن المجال العام لا يسمح ببروز نساء متصوفات، فوسائل الإعلام الديني تركز على نساء فقيهات ومرشدات".

وأكد التوزاني في تصريحه لـ"العرب" أنه يمكن إرجاع غياب المرأة المتصوفة أيضا إلى وجود تأثيرها الواضح في المحيط القريب منها، فهي تربي رجالا وأجيالا وتؤدي دورها كاملا في توجيه مسار عائلات بأكملها، فقد كانت المرأة المتصوفة زوجة للولي الصالح وأمّا للولي فيما بعد، كما أسهمت في تربية المريدين الذين صار منهم أولياء، وهي تعلم الأبناء وترشد الأحفاد وتنصح الأقارب والجيران، وهي سفيرة للخير والبر والإحسان.

ويرى أن حضور المرأة المتصوفة المغربية في مجريات الأحداث التاريخية الكبرى بالمغرب كان فاعلا ومؤثرا وموجها للكثير من الأحداث والوقائع. وكانت مريدة وعالمة وزاهدة وصالحة وصاحبة كرامات، وأسهمت في تنشيط الحياة الروحية والعلمية في المغرب، حيث برزت في تاريخ المغرب نساء نابغات وشهيرات، سجل التاريخ أسماءهن بمداد الفخر، وخلّد ذكرهن في ميادين الولاية والصلاح والعلم والمعرفة.

شواهد تاريخية

من النماذج التي نستدل بها على رسوخ قدم المرأة المغربية في العلم والثقافة والسلوك الصوفي والمكانة الاجتماعية الرفيعة، نستحضر الأمثلة الآتية: رقية بنت الحاج العايش اليعقوبية، وآمنة بنت سيدي عبدالرحمن الفاسي وفاطمة بنت محمد المشهورة بـ"تاعلات الهلالية".

وشدد التوزاني على أن هذا الحضور مازال مستمرا في العصر الحاضر، ويظهر ذلك في اليوم الوطني للمساجد عندما تقيم وزارة الأوقاف المغربية احتفالا بهذا اليوم لتكريم بعض أهل الخير ممن بنوا المساجد، فتحضر المرأة المغربية بقوة في هذا الجانب ومعظم النساء يرفضن الإعلان عن أسمائهن ولا يظهرن في المنصة.

ارتباط المرأة المتصوفة بالرقعة المغاربية لا يتجلى فحسب في المغرب بل ويمتد إلى تونس والجزائر، فبالرغم من عدم وجود أدلة ملموسة للحضور الفعلي للمرأة المتصوفة بتونس في الوقت الحالي، إلا أن التصوف في أذهان التونسيين يبدأ وينتهي عند عائشة المنوبية التي تختزل كل معاني التفرّد النسوي في التصوف.

وتعد "السيدة المنوبية" كما يسمّيها التونسيون رمزا للنساء المتصوفات بأفريقيا بلا منازع، وهذا لا يعني أن التاريخ التونسي خال من أخريات بل إنه مليء بالنساء الصالحات والمتصوفات سليلات بيوتات العلم والمعرفة على الرغم من أن جل المصادر لم تفرد لهن أبوابا أو تراجم بذاتها بل جاءت أخبارهن مضمّنة إلى سير الرجال الصالحين.

كما أن المرأة المتصوفة في الجزائر تكتسب دورها وأهميتها في توجهها الروحي من نفوذ الطريقة الصوفية التي تنتسب إليها، وقد صنعت إنجازات وملاحم بطولية دوّنها التاريخ، فالقائدة والمناضلة التاريخية ضد الاستعمار الفرنسي لالة فاطمة انسومر هي أصيلة الطريقة الصوفية الرحمانية بمنطقة القبائل.

> حضور المرأة المتصوفة المغربية في مجريات الأحداث التاريخية الكبرى بالمغرب كان فاعلا ومؤثرا وموجها للكثير من الأحداث والوقائع

وتذكر شهادات تاريخية أن المرأة التي تنحدر من عائلة تشرف على زاوية لتعليم القرآن وأصول الدين بمنطقة بوغني (محافظة تيزي وزو 120 كلم شرقي العاصمة)، قادت مقاومة شرسة ضد الجيوش الفرنسية بوسط البلاد، وضمت إلى صفوفها مئات المقاومين من الرجال الذين آمنوا بأفكارها ونضالها ضد الاستعمار.

ولم يمنع انتماءها لمدرسة دينية تتسم بالالتزام وبذكورية المجتمع، بأن تحول مرجعيتها الصوفية (الطريقة الرحمانية) إلى مصدر لاستلهام قيم الحرية والدفاع عن الأرض وإقناع الرجال بقدرتها على قيادة المقاومة ضد الاستعمار في المنطقة.

وتعد لالة زينب نموذجا مشعا في مسار المرأة المتصوفة، فقد قادت وأشرفت على الزاوية القاسمية التابعة للطريقة الرحمانية الصوفية، بمنطقة بوسعادة (محافظة المسيلة)، 200 كلم جنوبي العاصمة، أثناء الحقبة الاستعمارية وذلك بعد وفاة والدها.

وتذكر شهادات تاريخية أن "لالة زينب استطاعت، رغم تضييق السلطات الاستعمارية، الحفاظ على تراث ومخطوطات الزاوية وجنبتها الحرق والإتلاف، كما شيدت المسجد القاسمي، وسهرت على التعليم الفقهي واللغوي للبنات، وأشرفت على تسيير شؤون الطلاب والزاوية رغم صعوبة الاعتراف في تلك الفترة بإقناع المحيط الذكوري بتعليم المرأة".

شارك في إعداد التقرير:
* محمد بن امحمد العلوي
* صابر بليدي

هل العلاقة بين الأشقاء صداقة وتكامل أم غيرة وتنافس

المودة بين الأشقاء مرتبطة بزيادة السلوكيات المحببة في المجتمع

يشكو بعض الإخوة من عدم وجود علاقة صداقة قوية في ما بينهم، وفي بعض الحالات قد تتجاوز الأمور هذا الحد لتصل إلى الشجار المستمر بينهم، وربما إلى العداء. ويمثل كل من الأخوين رايتس اللذين قاما باختراع طائرة والأخوين كوينز اللذين يقومان بالاشتراك في إخراج الأفلام واستطاعا الحصول على جائزة الأوسكار، دليلا قويا على ما تستطيع الصداقة والتعاون بين الأخوة الوصول إليه من نتائج مثمرة قد تفيد البشرية.

الترابط بين الأخوة يحقق نتائج مثمرة

❑ **القاهرة** – كشفت دراسة حديثة أن معظم الرجال صرحوا بوجود تنافس بين الأشقاء في مرحلة الطفولة أكثر من النساء ومع ذلك تتلاشى هذه الاختلافات مع سن البلوغ.

واعتقدت مؤلفة الدراسة هيلاري مردوك التي قامت بإجراء البحث عندما كانت تدرس علم النفس في كلية أولبرايت في ولاية بنسلفانيا وجود تنافس أكبر بين الأشقاء من نفس الجنس. لكن الدراسة أظهرت أنه لا يبدو أن تماثل الجنس أو اختلافه بين الأشقاء له تأثير على علاقتهم، في المقابل قالت مردوك إن الجنس بقي عاملا بارزا في الدراسة، إذ أن الذكور الذين شملهم الاستطلاع شعروا بتنافس أكبر في صغرهم مقارنة بالنساء.

وتعمل أساليب التربية وطبيعة شخصية كل أخ وفارق العمر وعوامل كثيرة أخرى على تشكيل طبيعة هذه العلاقة، وإذا ما أغمضنا أعيننا على طبيعة العلاقة بين الأخوة في بيوتنا باعتبارها أمرا ثانويا وغير مؤثر على استقرار البيت، وأغفلنا ما يدور بينهم منذ الصغر من صداقة أو غيرة وتنافس، فقد تنفجر قنبلة موقوتة تهدد كيان الأسرة بأكمله.

> وجود شقيقات في حياة الإنسان يجعل منه شخصا ألطف، وللأشقاء أيضا فوائد، طالما كانت العلاقة في إطار المحبة أكثر من كونها في إطار المنافسة

ويؤكد الدكتور محمد ربيع، أستاذ علم الاجتماع، أن رابطة الدم أقوى الروابط الإنسانية لكنها لا تكفي بمفردها للدخول في علاقات اجتماعية وإنسانية ناجحة، وقد تكون فطرتنا الإنسانية هي أن يحب الأخوة بعضهم البعض، لكن الواقع يفاجئنا بحالات كثيرة للكراهية بين الأشقاء، وهنا علينا النظر إلى طبيعة العلاقة التي ربطت هؤلاء الأشقاء منذ طفولتهم، لأنها ستحدد لنا في ما بعد الترابط أو التباعد بينهم، وهنا الأسرة هي المسؤول الأول عن تحديد أسلوب التعامل مع الأبناء والذي سيترك ظلاله على علاقتهم في المستقبل، فإذا فضل الأب الكبير على الصغير، والولد على البنت، فإن هذا سيغرس جذور الغيرة والفرقة بينهم منذ الطفولة، كذلك من الضروري ألا نعاير الطفل بأي شيء أمام أشقائه، وألا يتدخل الأهل لصالح أحد الأطراف على حساب طرف آخر بشكل غير عادل، لأن هذه المواقف سوف تساعد على بناء فجوة كبيرة في علاقة الأخوة.

وأضاف ربيع "إذا كان من الصعب تكوين صداقات مع الأبناء لاختلاف التجارب والمراحل العمرية، فمن السهل جدا خلقها بين الأبناء بشرط أن يبذل الوالدان مجهودا لتحقيق هذا الأمر، وأن يستوعبا جيدا أن الخلافات والمشاجرات بين الأخوة أمر طبيعي وصحي. والترابط الداخلي بين أفراد العائلة هو الحماية الحقيقية للشاب من الوقوع في أي شكل من أشكال الانحراف".

ومن جانبه يرى الدكتور يسري عبدالمحسن أستاذ الطب النفسي أن "الترابط الأسري وإمكانية البوح بالأسرار داخل الأسرة أول خط علاجي نلجأ إليه في حالة حدوث أي مشكلة نفسية، ووجود هذا الترابط يحمي من الوقوع في الأزمات النفسية، لكن للأسف لا تهتم الكثير من الأسر بهذا البعد، فهي تقوم بتربية الولد بطريقة والبنت بطريقة أخرى، واختلاف الطرق يجعل من الصعب وصول الاثنين إلى نقطة اتفاق. وفي الوقت نفسه هناك صداقات قوية جدا بين الأشقاء في بعض العائلات إلى درجة أنه أحيانا يأتيني مريض يعاني أزمة ما وأتحدث معه فأشعر بأن جزءا كبيرا من علاجه مرتبط بشقيقه أو شقيقته، وأن حدوث خلاف مع هذا الشقيق كان سببا في تعرضه لأزمة نفسية".

وأضاف عبدالمحسن "إن الفجوة تزداد بين الأشقاء في الأجيال الجديدة، لأنهم لا يقضون وقتا كافيا داخل منازلهم، فما بين الأصدقاء والنادي والموبايل والكمبيوتر ينسون بعضهم البعض. وقد جاءتني سيدة تشكو من أن أبناءها لا يتحدثون معا أو معها، وعندما يتواجدون في البيت يجلس كل منهم على جهاز الكمبيوتر الخاص به، فنصحتها بضرورة وضع اتفاق بإغلاق الكمبيوتر عدة ساعات، ليتعايش أولادها كأخوة، فالترابط بين الأخوة يحمي من الاكتئاب والتوتر والقلق، ويساعد على حدوث حالة من الاطمئنان النفسي، لكن الكثيرين لا يدركون ذلك والخطأ يقع على الأسرة".

وكشف بحث أجري في جامعة دي مونتفورت في إنكلترا وجامعة أولستر في أيرلندا الشمالية أن وجود شقيقة يجعلك أسعد وأكثر تفاؤلا. شملت الدراسة 571 شخصا بين عمر 17 و25 عاما، ملأ المشاركون استبيانات كانت تهدف إلى تقييم مجموعة من المواضيع، بما فيها الصحة النفسية والمظهر الإيجابي، وتوصلت الدراسة إلى أن أولئك الذين نشأوا بصحبة شقيقات كانوا أسعد على ما يبدو.

كما أفادت بأن الشقيقات ساعدن أشقاءهن على أن يكونوا أكثر انفتاحا بشأن مشاعرهم، الأمر الذي يعتقد الباحثون أنه ساعد على تطوير صحة نفسية جيدة لديهم.

وأوضح الأستاذ توني كاسيدي الذي ساعد في إجراء الدراسة قائلا "يبدو أن الشقيقات يساعدن على إيجاد المزيد من التواصل المفتوح والتماسك في العائلات، ومع ذلك يبدو أن للأشقاء التأثير البديل. ويعد التعبير العاطفي أساسيا للصحة النفسية، ووجود أخوات يحفز ذلك في العائلات".

وأضاف كاسيدي "قد يرجع ذلك إلى ميل الفتيان الطبيعي إلى عدم الحديث كثيرا عن حياتهم أو أشيائهم الخاصة. أما الفتيات فيملن إلى كسر ذلك الحاجز".

كما أشار كاسيدي إلى أن النتائج كانت أوضح في العائلات التي انفصل فيها الأبوان، حيث قال "أعتقد أن هذه النتائج قد تكون مفيدة لأولئك الذين يقدمون الدعم للعائلات والأطفال الذين يمرون بأوقات عصيبة.

ربما يجدر بنا التفكير مليا بشأن الطريقة التي نتعامل بها مع الأسر التي تضم العديد من الفتيان". وأكدت هذه النتائج ما توصلت إليه دراسة أميركية أجرتها جامعة بريغهام يونغ على 395 أسرة تضم أكثر من طفل واحد، حيث أثبتت أن وجود شقيقات في حياة الإنسان يجعل منه شخصا ألطف. وفي مقابل ذلك أظهرت الدراسة أن للأشقاء أيضا فوائد، طالما كانت العلاقة في إطار المحبة أكثر من كونها في إطار المنافسة.

وقالت لورا باديلا ووكر، الباحثة الرئيسية في الدراسة، "كانت المودة الأخوية بين الأشقاء من كلا الجنسين مرتبطة بانخفاض الميول المرفوضة وزيادة السلوكيات المحببة في المجتمع مثل اللطف، والكرم، والتطوّع، ومساعدة الآخرين".

ضريبة تطور الحياة مكلفة نفسيا وجسديا

عبدالستار الخديمي
كاتب تونسي

❑ ما أكثر التأثيرات والارتدادات الجانبية للتطوّر العلمي والتكنولوجي على الإنسان عموما وعلى العلاقات الأسرية والاجتماعية. هل هي ضريبة تطوّر مستوى العيش وتطوّر آلياته التقنية المساعدة؟

إنها فعلا مفارقة عجيبة بين التطوّر الكمي والنوعي لحياة الإنسان وبين ما انجرّ عن ذلك من تأثيرات سلبية لعل أبرزها أمراض العصر مثل الضغوط النفسية والانهيار العصبي والكآبة وغيرها من مظاهر التوتر النفسي، وهو ما يحدث خللا نفسيا يرتدّ لا محالة على الحياة الفردية والجماعية في إطارها العائلي والاجتماعي عموما.

وانطلاقا من تجربة خاصة، كثيرا ما كنت أحسّ باختناق وتشنّج وعصبية تنتابني في بعض الأوقات حتى أنني أحاول البحث عن أمر إيجابي أدفع به الأحاسيس الإيجابية إلى الظهور على السطح فلا أجده، وترافقني رغبة في الابتعاد عن الناس وعدم القدرة على إدارة حوارات فاعلة ومثمرة، بل تقود في أغلبها إلى التشنّج العصبي، وهو ما انعكس سلبا على علاقتي بأفراد عائلتي. تتضخّم المشكلة حين أبحث عن الأسباب الحقيقية لهذا التوتر النفسي ولا أجد شيئا مخصوصا، فهي ضغوط فرضتها طبيعة العمل والحياة اليومية بكل تفاصيلها وحيثياتها.

واكتشفت، بواسطة طرح الموضوع مع أفراد عائلتي ومع أصدقائي، أن الضغوط النفسية وانعكاساتها أضحت ظاهرة اجتماعية توسّعت وانتشرت آثارها السلبية حتى لامست جميع شرائح المجتمع دون اعتبار للمراحل العمرية أو المستوى الثقافي أو المادي. فحتى المراهقون وصغار السن في المدارس أصبحت تعتريهم توترات نفسية تساهم في لخبطة حياتهم الدراسية.

لسائل أن يسأل: أليس من المفروض أن الحياة البشرية شهدت تطورا كبيرا ومتسارعا في جميع المجالات، ما يُيسّر هذه الحياة ويجعلها أكثر راحة ومتعة؟ ما سبب الضغوط النفسية، وما سبب تفشي أمراض العصر الجسدية والنفسية؟

إنّ ضريبة التطور التكنولوجي والعلمي مُكلفة جدًا على المستوى النفسي خاصّة. فبقدر ما ساهمت هذه الوسائل في تيسير الحياة؛ وسائل نقل ووسائل اتصال وآلات مساعدة ومواد استهلاكية مختلفة ووسائط تعليمية إلكترونية وغزو للفضاء والبحار.. بقدر ما كانت الآثار الجانبية كارثية.

ويمكن تصنيف الضغوط النفسية بحسب المجالات الكبرى التي يمارس فيها الشخص نشاطاته اليومية المتعددة، إلى ثلاثة أصناف.

أولا: مجال العمل الذي أصبح يتطلب تركيزا كبيرا وحرفية مدروسة ليؤدي العامل في أي مجال من مجالات الإنتاج المادي أو الفكري، دون اعتبار نوع العمل أو طريقة أدائه، مهامه على أكمل وجه، على المستويين الكمي والكيفي، وهو ما يسلّط عليه ضغطا ناتجا عن طبيعة العلاقة الشغلية التي تقوم في الغالب على الاستغلال والاستنزاف للمجهود والقدرة على الأداء وضعف المقابل المادي، وعن آثار الآلة الميكانيكية أو التكنولوجية، وعن طول ساعات العمل، وغيرها.

ثانيا: متطلبات الحياة الأسرية أصبحت كثيرة ولا تعدّ، ما يجعل الساهرين على توفيرها، سواء أكانوا الآباء أم الأمهات، يجاهدون أنفسهم وأوقاتهم وإمكانياتهم المادية ليكونوا على قدر المسؤولية الملقاة على عاتقهم. وفي حالات تقصيرهم أو عجزهم أو عدم قدرتهم تنتابهم مشاعر الإحباط فتتوتر نفسياتهم ويمرضون جسديا ونفسيا، وهو عبء ينضاف إلى ثقل العمل وضغطه.

ثالثا: سارت العلاقات الاجتماعية في ركب "قاطرة الحياة السريعة" فأضحت "معلّبة" شأنها شأن أغلب المواد الاستهلاكية اليومية، وطغت عليها الحسابات في شكلها العادي أو الانتهازي. قيم الروابط الدمويّة والعائلية والزواج والجيرة والصداقة والمواطنة وعلاقات العمل والزمالة وغيرها، أضحت تمثل ثقلا وضغطا نفسيا على جميع الأطراف المشاركة في اللعبة، لأن كل المعايير والمقاييس التي تؤطّر هذه العلاقات تغيّرت بل انقلبت انقلابا هستيريا، والمبرّر بطبيعة الحال، مواكبة التغير الحاصل على التركيبة النفسية والذهنية للأشخاص وملاءمة التركيبة الجديدة للأسرة والمجتمع. فلا بدّ إذن من تقييس جديد لمنظومة القيم تصبح فيه الانتهازية والأنانية وحب الذات قيما مشرعنة اجتماعيا.

أصبحنا نخاف من عقد أي علاقة بتلقائية وبصدق، وقد أُجبرنا على ذلك جبرا لتخفيف الآثار الناتجة عنها، مجرد التفكير في ذلك يسلط علينا ضغطا فما بالك بالانكسارات والإحباطات التي نلاقيها من ذوينا وأهلنا المقربين، فكم من صديق غدر بنا، وكم من عامل جلبناه لإسداء خدمة ما فغشنا، وكم من شخص ائتمنّاه على أمر فنكث وعده وخان أمانته.

كل العوامل التي ذكرناها سرّعت في انتشار ما أصبح يسمى بـ"أمراض العصر" التي تصيب الجسد ونذكر منها؛ ارتفاع ضغط الدم، السكري، التهابات المفاصل، التهابات العنق والعمود الفقري، هشاشة العظام، وغيرها كثير. أما الأمراض النفسية فتبدأ بالتوتر النفسي ثم تتطوّر سريعا فتصبح اكتئابا أو انهيارا عصبيا، وإذا لم تعالج هذه الأمراض في الوقت المناسب فقد تقود إلى الجنون.

نلاحظ إذن أن الكمّ الهائل من الضغوط النفسية والجسدية يجعل الإنسان في فضاء من الصعب أن يتصالح فيه مع نفسه ومع أفراد أسرته ومع جيرانه وأصدقائه ومع أطياف المجتمع على اختلافها. إنها بكل بساطة ضريبة ندفعها نظير تطوّرنا.

طبق اليوم

لازانيا ثمار البحر

* **المكونات:**

- 200 غرام من لروبيان النيء متوسط الحجم
- 100 غرام فيليه سمك موسى.
- محار منظف.
- 2 حبات كراث.
- 3 ملاعق من الزبدة.
- ملعقة كبيرة من الزيت النباتي.
- أوراق لازانيا.
- لتر من كريمة الطهي.
- رشة من جوزة الطيب.
- من 6 إلى 8 أعواد من الريحان والبقدونس الطازج.
- ربع ملعقة صغيرة من الفلفل الحار.
- جبن جروبير.
- ملح وفلفل أسود حسب الرغبة.
- 3 حبات بندورة مقشرة ومقطعة.

* **طريقة الاعداد**

- تسخن الزبدة في قدر متوسطة الحجم.
- يضاف الكراث المقطع ويشوح مع التقليب إلى أن يطرى دون أن يحمر.
- يضاف الروبيان والمحار ويتبل الخليط بالملح والفلفل.
- تضاف مكعبات السمك والبندورة وتقلب.
- يضاف الريحان والبقدونس ويقلبا معا.
- تخفض درجة الحرارة ويطهى الخليط على نار متوسطة الحرارة لمدة 10 دقائق.
- تدهن صينية الخبز بالزبدة.
- توضع الكريمة وأوراق اللازانيا والحشو والجبن في طبقات.
- تكرر الخطوة مع بقية المكونات.
- تخبز اللازانيا في فرن ساخن لمدة تتراوح بين 30 و40 دقيقة.

موضة

تصاميم تمزج بين الرومانسية والحيوية

❑ أطلقت مصممة الأزياء اللبنانية ريم عكرا مجموعتها الجديدة من فساتين سهرة لما قبل خريف 2018 احتوت على 36 إطلالة مختلفة ومميزة. جمعت التصاميم بين الرومانسية والأنوثة من ناحية، والحيوية والألوان الزاهية من ناحية أخرى، اللون الزهري خيّم على العديد من إطلالات هذه المجموعة. وقد اختلطت رقته في بعض الأزياء مع جرأة الأحمر، كما ظهرت بعض التصاميم بألوان الأزرق، والأصفر، والأسود، والبنفسجي الذي تمّ اعتماده كلون أساسي للعام 2018.

وقال خبراء الموضة إن مجموعة عكرا جاءت مفعمة بروح الشباب والأناقة، وشملت المجموعة فساتين مصنوعة من القماش الشفاف، مثل الفستان المنفوش باللون الوردي الباهت المزين بربطة، والفستان الشفاف المنسق مع كروب توب أحمر، كما مزجت المصممة بين الأسلوب القوي والكاجوال وفساتين السهرة، مثل فستان دون حمالات دمج بين أسلوب الآرت ديكو والأسلوب العصري، وفساتين أخرى مطرزة ومزينة بالريش، وبنهايات قصيرة.

وحرصت المصممة على أن تكون أزياؤها انتقالية بين فصلين مما يسمح باعتمادها في مختلف الفصول.

وعرفت عكرا مجموعتها قائلة "ركّزت على التصاميم المريحة التي لا تثقل الإطلالة مع الحفاظ على الطابع الرومانسي الأنيق". وتجلّت الرومانسية في التطريزات والعقد التي زيّنت الأزياء بأساليب مبتكرة تبتعد عن الطابع الكلاسيكي لهذا التفصيل الأنثوي المميز.

بيتزي.. كلمة سر الكرة السعودية في المونديال

المنتخب السعودي يتطلع إلى تكرار إنجازه التاريخي في عام 1994

أوضح الأرجنتيني أنطونيو بيتزي، المدير الفني للمنتخب السعودي الأول لكرة القدم، أن هدف فريقه الأساسي في نهائيات كأس العالم المقررة بروسيا الصيف المقبل هو تحقيق إنجاز تاريخي للكرة السعودية.

اليد في اليد من أجل تحقيق المجد العالمي

❑ **الرياض** – عقد عادل عزت، رئيس الاتحاد السعودي، مؤتمرا صحافيا، بحضور الأرجنتيني خوان أنطونيو بيتزي، المدير الفني الجديد للأخضر، وتم الكشف فيه عن برنامج إعداد المنتخب لمونديال روسيا. ويبدأ برنامج المنتخب السعودي، خلال الفترة من 21 حتى 27 يناير الجاري، بمعسكر داخلي في الرياض دون مباريات ودية، وذلك للتعارف بين بيتزي ولاعبي الأخضر. فيما سيقام المعسكر الثاني خلال الفترة من 21 إلى 27 فبراير المقبل، يجري فيها المنتخب مباراة ودية دولية أمام العراق في البصرة. كما سيتم عقد المعسكر الثالث خلال الفترة من 15 حتى 27 مارس المقبل، حيث سيخوض فيه الأخضر، مباراتين وديتين في إسبانيا أمام أوكرانيا وبلجيكا.

ويقام المعسكر الرابع عقب نهاية الموسم الكروي، في آخر أسبوع من شهر أبريل، حتى 15 مايو، وذلك في أوروبا، ولا يزال الاتفاق جاريا على خوض مباراتين وديتين. وفي المرحلة الأخيرة من الإعداد للمونديال، قرر بيتزي إعطاء لاعبي الأخضر إجازة في أول 4 أيام لشهر رمضان المبارك، بعدها يبدأ المعسكر الأخير في أوروبا، وسيلعب الأخضر 3 مباريات قوية أمام إيطاليا وبيرو وألمانيا على الترتيب، قبل المغادرة إلى روسيا.

وأضاف بيتزي في نهاية المؤتمر الصحافي قائلا "أتمنى تحقيق إنجاز تاريخي في المونديال يُسعد السعوديين، أحتاج إلى مساعدة الجميع، لتحقيق الهدف المرجوّ". كما أوضح بيتزي أنّ باب المنتخب مفتوح أمام جميع اللاعبين، سواء الذين شاركوا في مرحلة التصفيات، أو في كأس الخليج أو لاعبي المنتخب الأولمبي المتواجدين حاليا في الصين للعب كأس آسيا.

وتابع بيتزي "وضعنا هذه المراحل، حتى نصل إلى أفضل النتائج، ونكون جاهزين عند انطلاق كأس العالم". ويذكر أن الأخضر السعودي سيلعب المباراة الافتتاحية للمونديال أمام روسيا، البلد المنظم للبطولة، ضمن مباريات المجموعة الأولى التي ضمّت أيضا مصر وأوروغواي.

وزاد "اطلعنا وحضرنا مباريات عديدة في الدوري السعودي، أعتقد أن هذا البرنامج للمنتخب مناسب جدا، وسيعزز من فرصنا في الظهور بمستوى مميز في البطولة العالمية". وأردف "نهدف من المرحلة الأولى إلى التعرف أكثر على اللاعبين، وهي مرحلة مهمة جدا للتعارف في ما بيننا فالمرحلة تعتبر قصيرة قبل انطلاق كأس العالم، اللاعبون الذين سيخوضون المرحلة الأولى سيكون عددهم كبيرا بلا شك، حيث ستشارك فيها العناصر التي ساهمت في التأهل لكأس العالم، بالإضافة إلى بعض الوجوه الجديدة، وهو ما يعني أن كل اللاعبين المشاركين في المرحلة الأولى لن يتواجدوا جميعهم معنا في روسيا".

مرحلة الاختيار

وتابع بيتزي "المرحلة الثانية أهمّ ما فيها أننا سنلعب مباراة ودية أمام العراق، وسنبدأ في هذه المرحلة الاختيار بشكل أضيق، أعتقد مباراة العراق ستكون هامة وسنواجه ضغطا كبيرا بحكم الظروف". وأكمل "المرحلة الثالثة سنلعب مباراتين وديتين أمام أوكرانيا وبلجيكا وهما يعتبران من المنتخبات القوية، وبعد نهاية المرحلة سيعود اللاعبون إلى أنديتهم".

واستمر "المرحلة الرابعة ستكون الأصعب لنا، والمرحلة الخامسة سنلعب خلالها أمام منتخبات من العيار الثقيل مثل ألمانيا وإيطاليا، وأحد المنتخبات الكبرى في قارة أميركا الجنوبية".

واختتم بيتزي تصريحاته قائلا "لكي نحقق أهدافنا نريد تعاون الجميع، والأهم أن تكون وسائل الإعلام معنا، ومتأكدون أننا سنعمل بشكل أفضل".

ويأمل المنتخب السعودي، الذي يلعب في المجموعة الأولى بدور المجموعات في كأس العالم، برفقة منتخبات مصر وروسيا وأوروغواي، في تكرار إنجازه التاريخي الذي حققه في نسخة البطولة عام 1994 بالولايات المتحدة بالتأهل إلى الأدوار الإقصائية للمونديال.

وكان المنتخب السعودي تأهل في سبتمبر إلى المونديال للمرة الخامسة في تاريخه والأولى منذ 2006، بحلوله ثانيا خلف اليابان في المجموعة الآسيوية الثانية. وتأهلت السعودية إلى المونديال للمرة الأولى عام 1994 في الولايات المتحدة، وبلغت دور الـ16. كما شاركت في كأس العالم 1998 (فرنسا) و2002 (كوريا الجنوبية واليابان) و2006 (ألمانيا)، حيث خرجت في المرات الثلاث من الدور الأول.

وتمكّن المنتخب من بلوغ المونديال بقيادة المدرب الهولندي بيرت فان مارفيك إلا أنه أقيل من منصبه بعد أيام من التأهل. وفي نهاية سبتمبر، عيّن الاتحاد السعودي الأرجنتيني إدغاردو باوزا مدربا، قبل أن يقيله أيضا بسبب النتائج المتواضعة التي حققها في مبارياته الودية.

وعيّن بيتزي مدربا خلفا لباوزا في نوفمبر، ومن المقرر أن يقود المنتخب الذي أوقعته القرعة في المجموعة الأولى مع روسيا ومصر والأوروغواي.

من المقرر أن تكون مواجهة المنتخب البلجيكي الودية هي المباراة الأولى لبيتزي كمدرب للأخضر بعد أن جاء ليخلف مواطنه باوزا المقال في أكتوبر الماضي. وأفادت تقارير صحافية، أن أحد الوسطاء اجتمع أخيرا مع إدارة المنتخب الأول من أجل عرض إمكانية لقاء منتخب بلجيكا وديا، ووافق بيتزي على اللقاء، في الوقت الذي اشترط فيه البلجيكيون أن تكون المواجهة في العاصمة بروكسل، وهو ما جعل القائمون على الأخضر يفكرون في إقامة معسكر أوروبي خلال شهر مارس في إحدى الدول الأوروبية، ولم يستقروا بعد على هوية البلد التي سيقصدونها.

كما تم الاتفاق بين المنتخبين السعودي والبلجيكي على أن يخوضا المباراة بالصف الأول، وينتظر أن يتقدم إيدن هازارد لاعب وسط تشيلسي الإنكليزي لاعبي منتخب بلاده في المباراة.

واستقر المدرب بيتزي في العاصمة السعودية الرياض بعد توقيعه عقدا لتدريب المنتخب السعودي الأول المتأهل لمونديال روسيا المقبل، وفشل المدرب الأرجنتيني في قيادة المنتخب التشيلي نحو مونديال روسيا بعد الخسارة في الجولة الأخيرة أمام البرازيل بثلاثية نظيفة ضمن تصفيات أميركا الجنوبية المؤهلة للمونديال.

وسيكون خوان بيتزي حاضرا في المحفل العالمي على عكس نجوم تشيلي الذين يتوجب عليهم مشاهدة مدربهم السابق وهو يقود الأخضر السعودي في المباراة الافتتاحية لكأس العالم أمام منتخب البلد المضيف روسيا في الرابع عشر من يونيو المقبل.

تحديات كثيرة

وتعوّل الجماهير السعودية على بيتزي لقيادة منتخبها نحو تحقيق نتائج إيجابية في المونديال، وقد يبدو ذلك ممكنا بعدما أوقعت القرعة منتخب السعودية إلى جانب منتخبات روسيا والأوروغواي بالإضافة إلى مصر في مجموعة تبدو متوازنة إلى حد ما.

وتوجد تحديات كثيرة وصعوبات أمام بيتزي وذلك من أجل إعداد الأخضر للمشاركة بقوة في بطولة كأس العالم 2018 بروسيا.

وستكون العقبة الأولى أمامه هي متابعة مباريات بطولة دوري المحترفين من أجل اختيار العناصر المُثلى للأخضر خلال الفترة المقبلة، وتتمثل العقبة الثانية في قدرته على إيصال فكره للاعبين وتنفيذ أفكاره بسرعة كبيرة من أجل تطور المنتخب السعودي قبل انطلاق المونديال.

القاسم المشترك في مشاركات المنتخب السعودي الأربع في كأس العالم، أن الدوري قبل الذهاب للمونديال، يشهد منافسات قوية بين العديد من الفرق ويبرز عدد كبير من اللاعبين بمستويات فنية مميزة؛ ما يجعل أصغر مشجع قادرا على اختيار تشكيلة المنتخب المثالية. في تلك المراحل التي تعاقب عليها أكثر من جيل من اللاعبين الدوليين، كان أمام المدربين كنز من الخيارات في مختلف المراكز، حتى أصبح هناك دكة من اللاعبين البدلاء لا يختلفون في المستوى الفني عن الذين يركضون فوق المستطيل الأخضر.

في تلك الحقب الزمنية، كان ارتداء قميص الصقور الخضر غالي الثمن، يحتاج من كل لاعب يتشرف بتمثيل منتخب الوطن، أن يبذل قصارى جهده في أرض الملعب مع فريقه أثناء منافسات الدوري، وكأن المشهد اللاعب في الملعب كالجندي في المعركة، يقاتل لينتصر ويقهر خصومه.

اليوم يعيش الشارع الرياضي السعودي حالة من القلق بسبب منافسة الدوري السعودي للمحترفين الضعيف فنيا وبدنيا، والدليل على ذلك أن المنافسة محصورة بين فريقي الهلال والأهلي، وبقية الأندية مجرد كومبارس تتبادل الأدوار صعودا وهبوطا في سلم ترتيب الدوري، وأصبح الجميع يدرك نهاية سيناريو المنافسة ونحن في منتصف الدوري، بأن البطل إما القرش الأزرق أو الأسد الأخضر.

باعث القلق الحقيقي يكمن عندما تسدل ستارة نهاية الدوري المحلي، بأن مدرب المنتخب السعودي خوان أنطونيو بيتزي عاجز عن اختيار أي ممثل يستحق أن يرتدي قميص الصقور الخضر في مونديال كأس العالم في روسيا عام 2018.

حتى هذه اللحظة لا يعرف حارس المنتخب الأساسي، وكذلك في الجانب الهجومي لا يوجد لدينا مهاجم هداف. وفي جميع المراكز الأخرى المستويات الفنية متذبذبة، لا يوجد أي لاعب بارز ولافت للنظر.

مسؤولية صعبة

كل هذه الأمور تصعب مسؤولية مدرب المنتخب في اختيار التشكيلة الأنسب، واللاعبون المشاركون في التصفيات الآسيوية المؤهلة لمونديال روسيا تشهد مستوياتهم الفنية انخفاضا بشكل كبير، يجعلنا نشكك في استحقاقهم ارتداء شعار المنتخب في المحفل العالمي الصيف القادم. الجميع يعرف أن المنتخب السعودي غير مستقر فنيا بسبب تغيير الجهاز الفني ثلاث مرات في فترة زمنية قصيرة، ولكل مدرب فلسفته التدريبية المختلفة عن الآخر على مختلف الأصعدة التكتيكية هجوميا أو دفاعيا.

مدرب المنتخب السعودي الجديد خوان أنطونيو بيتزي القادم بعد تجربة فشل تأهل منتخب تشيلي لمونديال روسيا، عاش قبلها مرحلة ناجحة مع نفس المنتخب بتحقيق بطولة كوبا أميركا، ويعتبر من المدربين المعروفين عالميا بالانضباط التكتيكي داخل الملعب، من خلال قوة شخصيته واعتماده بشكل كبير على الجانب النفسي للاعبين. كل هذه العوامل مهمة في صنع تشكيلة مثالية، خاصة أن ثقافة اللاعب السعودي يؤثر فيها بشكل كبير العامل النفسي.

وكان بيتزي قال في تصريحات صحافية بعد القرعة المونديال "يسود التوتر دائما المباريات الافتتاحية، لكن أن تلعب أول مباراة في أي بطولة فهو أمر سعيد بالنسبة إلى أي شخص".

> برنامج المنتخب السعودي، خلال الفترة من 21 حتى 27 يناير الجاري، يبدأ بمعسكر داخلي في الرياض دون مباريات ودية، وذلك للتعارف بين بيتزي ولاعبي الأخضر

واعتبر بيتزي القرعة أسفرت عن "مجموعات متوازنة للغاية، وهذا هو السبب نفسه الذي يفرض أهمية الانطلاق في مرحلة المجموعات بشكل جيد".

وأعرب المدرب عن أمله بأن يتمكن خلال الشهور المتبقية على البطولة من التعرف على لاعبي السعودية بشكل جيد، والوصول للمستوى المناسب؛ لكي يحقق الفريق أهدافه.

واختتم بيتزي "أتمنى أن نتمكن من العمل والمنافسة مع أفضل الفرق. في يومنا هذا أي معلومة لها فائدتها بالنسبة للمدرب، ونرغب في تصميم أفضل أسلوب؛ لكي ننافس بشكل جيد".

من جانبه، قال مدرب منتخب روسيا ستانيسلاف تشيرتشيسوف، أنه سعيد بما أسفرت عنه قرعة مونديال 2018. وقال تشيرتشيسوف تعليقا على القرعة "لا توجد الآن مجموعة موت. المجموعات كلها متوازنة". وعن المنتخبين العربيين علق "لا أعرف شيئا عن المنتخب السعودي. أما المنتخب المصري فعلى دراية بها، خاصة النجم محمد صلاح لاعب ليفربول، الذي تعرفه أوروبا كلها".

وأعلن رئيس الاتحاد السعودي لكرة القدم عادل عزت أن لاعبي المنتخب السعودي الأول سيحصلون على رخصة الإفطار في شهر رمضان.

وأشار عزت إلى أن "التدريبية التي سيخضع لها اللاعبون ستكون عالية جدا"، وفق ما نقل موقع "هافنغتون بوست" عن صحيفة "الرياض". إلى ذلك، أكد عزت توفير كل حاجات المدير الفني للمنتخب أنطونيو بيتزي، وقال إن "اتحاد الكرة حريص على ظهور المنتخب بشكل مشرف في كأس العالم وتمثيل المملكة خير تمثيل في المونديال".

> خوان بيتزي سيكون حاضرا في المحفل العالمي على عكس نجوم تشيلي الذين يتوجب عليهم مشاهدة مدربهم السابق وهو يقود الأخضر السعودي في المباراة الافتتاحية لكأس العالم

ليستر سيتي يرغم تشيلسي على تعادل مخيّب للآمال

ليفربول يسعى للاقتراب أكثر من كوكبة الطليعة في البريميرليغ

أهدر فريق تشيلسي فرصة الانفراد مؤقتا بوصافة الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم، وتعادل مع ضيفه ليستر سيتي سلبيا السبت ضمن المرحلة الثالثة والعشرين من المسابقة.

الامتياز للحراس

❑ **لندن** – سقط حامل اللقب تشيلسي في فخ التعادل السلبي (0–0) مع ضيفه ليستر سيتي، مساء السبت، على ملعب "ستامفورد بريدج"، ضمن الجولة الثالثة والعشرين من الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم.

وارتفع رصيد تشيلسي بهذا التعادل إلى 47 نقطة، وبات معرّضا لفقدان المركز الثالث من قبل ليفربول (44 نقطة) الذي يستضيف الأحد متصدّر الدوري مانشستر سيتي، أما ليستر سيتي فرفع رصيده إلى 31 نقطة في المركز الثامن.

ويتصدر مانشستر سيتي جدول ترتيب الدوري الإنكليزي برصيد 62 نقطة قبل مواجهته أمام مضيفه ليفربول الأحد، فيما يلتقي مانشستر يونايتد مع ضيفه ستوك سيتي الاثنين.

ولم تشهد تشكيلة تشيلسي أي مفاجآت، فاعتمد على قوّته الضاربة بقيادة ثنائي الهجوم إيدن هازارد وألفارو موراتا، ولعب جاري كاهيل مكان أندرياس كريستيانسن في عمق الدفاع.

أما ليستر سيتي، فأعاد إلى صفوفه هدافه جيمي فاردي بعدما غاب عن المباراة الأخيرة للإصابة، وغاب قائد الفريق ويس مورغان للسبب ذاته وشارك بدلا منه ألكسندر دراغوفيتش، فيما لعب بن تشيلويل كظهير أيسر على حساب النمساوي كريستيان فوخس.

وتبادل موراتا الكرة مع هازارد قبل أن تتحوّل إلى كانتي الذي سدّد مباشرة في الدفاع لتنتقل إلى ركنية لم تثمر أي شيء، في الدقيقة الثالثة، ورد ليستر في الدقيقة التاسعة عندما مر تشيلويل من اليسار ليوجّه الكرة نحو القائم القريب عند المهاجم الياباني شينجي أوكازاكي الذي سدّد بدوره أمام المرمى دون أن تجد متابعا، وبعدها بدقيقتين مرّر ماتي جيمس الكرة إلى فاردي الذي سدّد بعيدا عن المرمى.

وأنقذ حارس تشيلسي تيبو كورتوا ببراعة رأسية من ويلفريد نديدي في الدقيقة 13، والأمر نفسه فعله كاسبر شمايكل في الجهة المقابلة عندما تصدّى لمحاولة سيسك فابريغاس.

واحتفظ ليستر بأفضليته النسبية، وأفسد فاردي على زميله مارك ألبرايتون فرصة خطيرة عندما قطع الكرة قبل أن تصل إليه دون أن يتمكّن من تهديد المرمى في الدقيقة 23، وتعرّض كاهيل لإصابة مبكرة ليخرج من الملعب ويدخل مكانه كريستيانسن في الدقيقة 33، وبقي صاحب الأرض دون خطورة حتى الدقيقة 41 عندما أبعد شمايكل كرة فابريغاس فوق العارضة. ومع بداية الشوط الثاني، استمرت أفضلية ليستر من حيث تشكيل الهجمات، وطالب لاعبوه بركلة جزاء إثر سقوط الدولي الجزائري رياض محرز داخل المنطقة في كرة مشتركة مع كريستيانسن، إلا أن الحكم مايك جونز لم يعلن شيئا، وأجرى تشيلسي تبديلا مزدوجا بخروج هازارد وفابريغاس وإشراك بيدرو رودريغيز ووليليان.

ولعب ليستر منذ الدقيقة 68 بعشرة لاعبين إثر نيل لاعبه تشيلويل البطاقة الصفراء الثانية، بعد إعاقته ظهير تشيلسي فكتور موسيس، فأجرى الفريق الضيف تبديلا بإخراج أوكازاكي وإشراك فوخس لتأمين الناحية الدفاعية، وعانى تشيلسي كثيرا لاقتحام دفاع ليستر فيما تبقى من زمن المباراة، ولم يتمكّن من صناعة الفرص حتى الدقيقة الأخيرة من الوقت بدل الضائع عندما نفّذ ماركوس ألونسو ركلة حرة مباشرة أبعدها شمايكل باقتدار.

وعلى ملعب "ذا هاوثورنس"، تقدم جوني إيفانز بهدف لوست بروميتش في الدقيقة الرابعة، ثم أضاف كريج داوسون الهدف الثاني في الدقيقة 55.

ورفع الفوز رصيد وست بروميتش إلى 19 نقطة في المركز التاسع عشر قبل الأخير، في حين تجمد رصيد برايتون عند 23 نقطة في المركز الخامس عشر.

وعلى ملعب "جالفارم ستاديوم"، نجح ويستهام يونايتد في اكتساح مضيفه هيديرسفيلد بأربعة أهداف مقابل هدف، وجاءت أهداف ويستهام بتوقيع مارك نوبل وماركو أرناوتوفيتش ومانويل لانزيني (هدفين) في الدقائق 25 و46 و56 و61، وتكفل جويل لولي بتسجيل الهدف الوحيد لأصحاب الأرض في الدقيقة 40. ورفع رصيد ويستهام إلى 25 نقطة في المركز الحادي عشر بفارق نقطة واحدة أمام هيديرسفيلد صاحب المركز الثالث عشر. فيما فرط ساوثهامبتون في انتصار بمتناول الأيدي على ملعب مضيفه واتفورد وتعادل معه بهدفين لكل منهما، وسجل جيمس وارد هدفي ساوثهامبتون في الدقيقتين 21 و44، وأحرز أندري جراي وعبدالله دوكوري هدفي واتفورد في الدقيقتين 58 و90.

ورفع ساوثهامبتون رصيده إلى 21 نقطة في المركز السادس عشر، مقابل 26 نقطة لواتفورد في المركز العاشر.

شيطان في بيت الملك

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❑ توج ريال مدريد السنة المنقضية كأبهى ما يكون، فهذا الفريق الملكي حقّ له أن يكون ملكا متربعا على العرش المحلي ثم الأوروبي فالعالمي، لقد نجح في فرض هيمنة كلية على أغلب المسابقات وكان بطلا دون منازع.

في الموسم الماضي جدّد الفريق الملكي العهد مع لقب الدوري بعد جفاء دام خمس سنوات، بما أن آخر تتويج بهذا اللقب يعود إلى سنة 2012، وفي الموسم ذاته "تسيّد" الريال المشهد الأوروبي محققا إنجازا قياسيا، بما أنه بات الفريق الأول الذي يحرز لقب دوري أبطال أوروبا في موسمين متتاليين، والأكثر أنه عزّز رقمه القياسي في عدد التتويجات بهذه البطولة بعد أن وصل إلى كأسه الثانية عشرة.

حصاد سنة 2017 الفريد بالنسبة لـ"الميرنغي" تواصل إثر تتويجه في فترة بين الموسمين بكأس السوبر الأوروبي على حساب مانشستر يونايتد، وغنم أيضا كأس السوبر المحلي بعد أن أطاح بغريمه التقليدي برشلونة ذهابا وإيابا، قبل أن ينهي عامه الاستثنائي بالحصول على كأس العالم للأندية، وهي الثالثة في سجله.

بيد أن كل شيء بدأ يتغيّر وينقلب إلى الضدّ، فالمسيرة الباهرة التي تحققت خلال العام الماضي بدت وكأنها من ذكريات الماضي "السحيق"، فلا الريال بقي ريالا متلألئا، ولا زيدان بقي مدربا استثنائيا، ولا حافظ اللاعبون على توهجّهم البرّاق.

الكبوة تلو الأخرى، والعثرة تتبعها عثرات في منافسات الدوري المحلي، والوضعية الحالية توحي بأن هذه القلعة البيضاء التي كانت أسوارها عالية وعتيّة على الغزاة، باتت أشبه ببيت زجاجي ومرتعا لكل "المتطاولين" على كبرياء بيت ملكي مبهر، وليس برشلونة ذلك الغريم التقليدي القوي من تلاعب لوحده بكيان هذا الفريق "الميرنغي"، بل كل الفرق المتربصة أصبحت قادرة على زعزعة المكان والعبث بأركان القلعة البيضاء.

والمحصلة الراهنة تشير إلى الريال الذي هيمن الموسم الماضي على منافسات الدوري يوجد حاليا في المركز الرابع، وبفارق 16 نقطة كاملة عن برشلونة المتصدّر، أي عين ضربتك يا ريال؟ وأي مصاب جلل أصابك؟ وأي أسباب قهرتك وجعلتك تتراجع؟

ربما كل من يتابع مباريات الريال يدرك حتما وجود خلل ما دفع الفريق إلى خسارة ذلك التوهّج والقوّة الرهيبة التي ساعدته العام الماضي على التربّع على العرش، هذا الخلل قد يكمن أساسا في عدم الاستفادة من مكاسب العام السابق واستثمارها بالشكل المطلوب، وببساطة "أعمت" النشوة المفرطة بعد النجاح الاستثنائي في عام مميز الجميع، وجعلت الفريق يتراجع القهقرى.

في الموسم الماضي كان الفريق متحفزا ومتحمّسا بشكل مفرط، فالغياب عن منصة التتويج في الدوري المحلي لفترة طويلة بالنسبة لفريق ينافس دوما من أجل الألقاب كانت بمثابة "الوقود" الذي زاد في قوّة الفريق، وساعده ذلك في التغلب على كل الصعوبات والعراقيل وقهر جميع المنافسين سواء محليا أو أوروبيا.

كانت هناك كلمة سر وحيدة تجمع بين كل اللاعبين والجهاز الفني والإدارة على حد سواء، وهي تحقيق الفوز تلو الآخر دون التفكير في ما سيحصل بعد ذلك، فكانت المحصلة رائعة وموفقة للغاية.

هذا الأمر تغيّر كليا في الموسم الحالي، فالحافز غاب وكلمة السر لم يعد لها أي تأثير، فتراجعت النتائج محليا وبدأ اللقب يبتعد، والمعجزة لوحدها قد تمنح الريال شرف الحصول على لقب الدوري المحلي للموسم الثاني على التوالي.

لقد تعدّدت التفسيرات والتحاليل بخصوص تراجع نتائج الريال ومستواه، إلى درجة أن البعض بدأ "يشيطن" في بعض سكان "البيت الملكي"، ولم يسلم أحد سواء كان رئيس النادي بيريز أو المدرب زيدان أو اللاعبين.

بعض أنصار الريال يعتبرون أن سياسة بيريز هذا الموسم كانت فاشلة، حيث لم ينجح في تقوية الفريق وكانت أغلب الانتدابات مخيبة للآمال، فبيريز الذي فوّت في لاعبين جيدين ساهموا في تحقيق مكاسب الموسم الماضي مثل موراتا وخاميس وبيبي، كانت تحركاته في سوق الانتقالات الصيفية محبطة، هذا الفشل دفع البعض إلى "شيطنة" بيريز واتهامه بكونه سقط في اختبار "الميركاتو".

بالمقابل ذهب البعض الآخر إلى أكثر من ذلك، "فالشيطان" المذنب هذا الموسم كان من وجهة نظرهم المدرب زيدان، واتهامات هؤلاء الموجهة ضد قائد سفينة الريال، مفادها أنه لم يحسن التعامل مع متطلبات الموسم الراهن ولم ينجح في تطوير أساليبه التدريبية، الأمر الذي ساعد بقية الفرق على فهم طريقة لعب الريال والتعامل معه بشكل جيد، زيدان "الشيطان" لدى البعض تمّ اتهامه منذ الموسم الماضي بكونه محبطا لعزائم بعض اللاعبين الجيدين مقابل منح الفرصة للاعبين آخرين مستواهم تراجع بشكل رهيب.

وكانت حجة هؤلاء أن زيدان تجاهل سابقا موراتا وخاميس، واليوم يتجاهل أسونسيو مقابل منح مواطنه بن زيمة "كارت بلانش" في كل المباريات، رغم أن أداء الأخير يدعو إلى الحيرة والقلق.

بعد زيدان جاء الدور على اللاعبين، حيث يعتقد البعض أنهم يتحمّلون المسؤولية الكبرى في تراجع الفريق، والسبب في ذلك أن هؤلاء اللاعبين عانق مستواهم خلال الموسم الماضي الروعة قبل أن "يضربهم" الغرور والتقاعس حاليا، الأمر الذي أدى إلى انخفاض أدائهم بشكل كبير، والحديث هنا يخص أساسا بن زيمة الذي "تفنّن" من وجهة نظر منتقديه في القضاء على أحلام البيت الملكي بعد إضاعته في أغلب المباريات التي شارك فيها أهدافا عديدة للغاية.

ربما وجد "الشيطان" مدخلا لولوج بيت الملك، وربما كان يسكنه منذ فترة، إلا أنه كشّر عن أنيابه هذا الموسم، والأمر المؤكد حاليا أن الريال إذا أراد النهوض والانتفاض مجدّدا عليه أن يكنس البيت مليا ويطرد كل "الأرواح" الشريرة التي تملكت ساكني البيت الملكي.

باوتيستا يعود من أوكلاند باللقب

❑ **أوكلاند (نيوزيلندا)** – أحرز الإسباني روبرتو باوتيستا أغوت المصنف خامسا على البطولة لقب دورة أوكلاند النيوزيلندية في كرة المضرب، بفوزه السبت على الأرجنتيني المصنف ثانيا على البطولة خوان مارتن دل بوترو بنتيجة 1–6، 6–4 و5–7.

وتفوق الإسباني (29 عاما) والمصنف 21 عالميا، على منافسه الأرجنتيني (29 عالميا) والمصنف 12 عالميا، ليحرز لقبه الأول هذه السنة والسابع في مسيرته الاحترافية، وذلك قبل يومين من انطلاق بطولة أستراليا المفتوحة، أولى بطولات "الغراند سلام" للموسم.

وأحرز الإسباني لقبه الثاني في أوكلاند بعد 2016، وخالف التوقعات في النهائي، إذ أن دل بوترو لم يخسر أي مجموعة طوال الدورة، وحافظ باوتيستا أغوت على أدائه المثالي في المباريات النهائية، إذ فاز في النهائي الثالث له على التوالي في دورات كرة المضرب.

وتمكن الإسباني من كسر إرسال منافسه ثلاث مرات في المجموعة الأولى، وعاد دل بوترو في المجموعة الثانية، وتمكن من كسر إرسال باوتيستا أغوت في الشوط التاسع وتقدم 4–5 قبل أن يفوز بإرساله، ويقود المباراة إلى مجموعة ثالثة حاسمة.

وفي المجموعة الأخيرة، حافظ كل من اللاعبين على إرساله حتى بلغت النتيجة التعادل 5–5، ودخل اللاعبان الشوط الحادي عشر والإرسال مع دل بوترو، إلا أنه ارتكب خطأ مزدوجا (الوحيد له خلال المباراة)، وخطأين مباشرين، ما أتاح لباوتيستا أغوت كسر الإرسال والتقدم. ولاحت للأرجنتيني فرصة للتعويض في الشوط التالي مع فرصة لكسر الإرسال، إلا أن الإسباني تمكن من إنقاذها والفوز بالشوط والمباراة.

وقال باوتيستا أغوت بعد تتويجه "قدمت مباراة لا تصدق السبت، قاتلت كثيرا على أرض الملعب وقدمت شوطين ممتازين في ختام المباراة".

أمّا دل بوترو المصنف رابعا عالميا سابقا، والذي سيعود إلى نادي العشرة الأوائل للمرة الأولى منذ أغسطس 2014 مع صدور التصنيف الجديد للمحترفين الاثنين، فاعتبر أن بداية السنة لم تكن سيئة، على الرغم من فشله في تحقيق لقبه الحادي والعشرين في مسيرته الاحترافية.

للمرة الثانية بأوكلاند

مسلسلات باكستانية تحظى بشعبية بفضل طرحها محرمات اجتماعية

تسعى مسلسلات تلفزيونية باكستانية ذات طابع توعوي إلى أن تكون مرآة تعكس ما يدور في المجتمع وتسلط الأضواء على المحرمات الاجتماعية، محققة نسب مشاهدة كبيرة تعكس رغبة بعض الباكستانيين في إيجاد حلول لمسائل اجتماعية عالقة.

التكاتف لنقل الواقع

❏ **إسلام آباد** – كانت قنديل بلوش، نجمة مواقع التواصل الاجتماعي في باكستان، تحلم خلال حياتها بالشهرة وترك بصمة في بلدها، هذه الشابة التي قتلت على يد شقيقها دفاعا عن شرف العائلة قد تحقق مرادها بعد وفاتها عن طريق التلفزيون.

وباتت بلوش، أكثر شهرة اليوم من أي وقت مضى. وقد اقتبست سيرتها المأسوية في مسلسل تلفزيوني يحقق نسب مشاهدة مرتفعة يحاول مع أعمال أخرى من النوع عينه هز المحرمات الاجتماعية في هذا البلد المحافظ. ويروي مسلسل باغي أي المتمرد قصة الصعود الاجتماعي للشابة بلوش عبر مواقع التواصل الاجتماعي قبل نهايتها المأسوية.

وشوهدت الحلقة التجريبية أكثر من 1.6 مليون مرة عبر يوتيوب.

وانقسم الباكستانيون حيال مقتل بلوش، إذ علق البعض على هذه الجريمة مندد بجرائم الشرف التي تودي بحياة المئات من الباكستانيات سنويا ويفلت مرتكبوها عموما من العقاب.

إلا أن أصواتا أخرى لجهات محافظة تحاملت على الشابة باعتبار أنها تخطت الحدود مع صورها الذاتية وتسجيلاتها المصورة الاستفزازية بالمعايير الاجتماعية الباكستانية. وجدد اقتباس سيرتها في مسلسل تلفزيوني الجدل في شأن هذا النوع من الجرائم.

وهو واحد من المسلسلات التي تتطرق إلى مسائل اجتماعية مثل العنف الأسري والزيجات القسرية أو المبكرة والتمييز ضد النساء وحقوق المرأة.

وتحقق هذه الأعمال نجاحا كبيرا لدى سكان باكستان البالغ عددهم حوالي 207 ملايين نسمة.

وبحسب الهيئة الباكستانية لمراقبة وسائل الإعلام، ما يقرب من ثلثي المشاهدين شاهدوا في لحظة معينة في 2016 قنوات تبث هذه المسلسلات.

وبيّن كذلك استطلاع للرأي أجراه معهد غالوب أن 67 بالمئة نسبة المشاهدات البالغات و56 بالمئة من الذكور يشاهدون برامج ترفيهية وخصوصا مسلسلات.

ويجعل نجاح هذه الأعمال منها أدوات ذات فاعلية كبيرة وفق المحامية بنازير جاتوا التي تعمل لحساب مؤسسة أورا المتخصصة في مراقبة حقوق النساء.

ويتطرق مسلسل آخر هو مجهي جيني دو (دعوني أعيش) إلى مسألة تزويج القاصرات.

وقالت إنجلين مالك مخرجة المسلسل "من سيعلم أن هذا الأمر جريمة إن لم ننشر الوعي حوله؟".

وتحتل قناة "هم"، أبرز المحطات التلفزيونية الترفيهية في البلاد، موقعا رياديا في التطرق لهذا النوع من المواضيع الاجتماعية في المسلسلات. وعرضت القناة في 2016 مسلسل (الهروب) الذي يروي قصة فتاة تتعرض لاعتداء جنسي من زوج والدتها، ما أثار جدلا بشأن العنف الجنسي الذي يتعرض له الأطفال في المنزل.

وأشارت عبيدة راني إلى أن هذا المسلسل "نقل هذا الموضوع الحساس إلى كل الأسر حيث النقاشات بشأن الجنس محرمة دائما".

وأفادت سلطان صديقي منتجة مسلسل يدعى "سمّي" أنه يسعى لأن يكون مرآة عن المجتمع ومثالا عن طريقة "عرض موضوع محظور بالطريقة الصحيحة". كما أن جاتوي تدعو كتاب السيناريو إلى إظهار "مسؤولية كافية في معالجة هذه المواضيع الحساسة".

صباح العرب

عدلي صادق

الدفء أقصى الأمنيات

❏ من نافذة الطائرة، في ارتفاعها المنخفض، بدت الثلوج أكواما كالعهن المنفوش. تذكرت إحدى أشهر الأقاصيص الخرافية، التي ابتدعتها مخيّلة أديب دانماركي في القرن التاسع عشر، عن طفلة كانت تبيع الكبريت، في عهود الإقصاء والفاقة وأحلام الخلاص. يرى واحدنا في الأقصوصة، كيف تشتعل الأمنيات ثم تنطفئ، ليخسر الواهمون ويألمون.

ففي ليلة حزينة لم تلق الطفلة من يشتري بضاعتها. فقدت حذاءها، وكان الغطاء انحسر عن رأسها أصلا، فيما نثار الثلج في هطول. آوت إلى موضع بين منزلين، تستشعر الدفء من خيوط ضوء، تنبعث من نوافذ بيوت الآخرين الهانئين. لاذت إلى أعواد ثقابها. فهذه هي كلما تمتلك. أشعلت واحدا وتعمدت أن تداري ناره براحتي يديها. أحست بدفء لا يجلبه عود الثقاب. وما أن انطفأ العود الأول حتى أشعلت التالي وصولا إلى الثقاب الأخير. مع كل اشتعال مؤنس، تتبدى الصور والتمنيات في عيون الصغيرة، وكأنها تراها تحققت في الواقع. مدت ساقيها بجوار موقد نار حديدي كبير لتدفئهما؛ سرعان ما اختفى مع تلاشي الثقاب. يظهر في السياق الديك الرومي المحمّر الشهي، الشائع حضوره في تلك الأمسيات. ثم شجرة ميلاد متلألئة بشفاعة عود آخر، تختفي مع انطفاء شعلته الصغيرة. وكلما استحالت خلجة التمني، أكذوبة أو لقطة خداع؛ كانت بائعة الكبريت تحاول الإضاءة توخيا للدفء دون أن تيأس. ومع الثقاب الأخير، ظهرت جدتها الرهيفة الرحيمة. تخيلتها واقفة وسط الأنوار مستبشرة هانئة. عندئذ يستبد الخوف بالطفلة إذ ربما تختفي الجدة مثلما تلاشت كل الأحلام، فتسارع الصغيرة إلى إشعال عود الثقاب تلو الآخر، وهي تصيح "خذيني معك يا جدتي" وليس من جدة تلبي، حتى تنفد الأعواد.

في موضع بين منزلين، شوهدت الطفلة في الصباح ميتة ومتجمدة، ارتسمت على شفتيها بسمة صغيرة، إما ساخرة وإما ساذجة. الذين رأوها على هذا النحو، من المارّين في غير اكتراث؛ علقوا قائلين: ماتت الصغيرة في المساء الأخير، ولم تكن تطمح إلى ما هو أكثر من الدفء.

يا لهذا الصقيع اللئيم. ركام سميك، من نثار الثلج، يجثم على العقول وعلى المصائر. بائعة الكبريت، في استسلامها للهطول، اختارت الوهم بديلا عن التفكير العقلاني. أغوتها الصور الزائفة والبهاء المفترض، فانصرفت عن بعض الدفء الحقيقي والتواضع الجميل، تماما مثلما انتهت سائر الأحلام المضيئة في بلاد بلا ثلوج إلى ظلام مقيم. اتكأت الصغيرة على الوميض القصير، مثلما يتكئ الواهم بالوجاهة والعنفوان على مجد سخيف ليس له تعليل.

فرنسا تغلق طريقا مدة شهرين تحفيزا لتناسل الضفادع

❏ **باريس** – تقرر إغلاق طريق في غرب فرنسا أمام حركة السير لمدة شهرين بغية تشجيع الضفادع على التكاثر، وفق ما أعلنت بلدية سان-مالو في بيان صدر الجمعة.

وسيمنع سير المركبات على طريق بيتي بور (إقليم غوادلوب في جزر الأنتيل الصغرى)، الواقع بالقرب من بوانت دو لا فارد التي تعدّ موقعا محميا حساسا، وذلك بين 15 يناير الحالي و15 مارس المقبل، بموجب مرسوم بلدي.

وقد لوحظت العام الماضي "حالات نفوق متعددة عند هذه البرمائيات خلال موسم الهجرة" بسبب حركة السير في هذه المدينة الساحلية شمال بريتاني.

وقد اعتادت العلاجم التي تعد من الأنواع المهددة والمدرجة على القائمة الحمراء، على التناسل في مستنقع بالقرب من الطريق العام.

وأفادت البلدية أنها حظرت في العام 2017 حركة السير لمدة شهر في المنطقة، ما سمح "بالحد من نفوق الضفادع وأتاح تكاثرها".

وتجدر الإشارة إلى أن الفرنسيين مهووسون بأكل الضفادع، كما أن فرنسا من بين أكثر الدول التي تفاعلت مع خطر اندثار هذا النوع من خلال حظرها الصيد التجاري في العام 1980. وكانت بعض الشركات التركية أشارت العام الماضي إلى أن تصديرها لأرجل الضفادع لاقى إقبالا كبيرا في مطاعم دول أوروبية لا سيما فرنسا، التي تعتبر من أكثر الدول التي تستهلك منتجات الضفادع.

ابن يقاضي أمه بسبب نشرها صوره على النت

❏ **روما** – وقع منع أم إيطالية من نشر صور ابنها على حسابها في موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، وذلك بعدما رفع هذا الابن دعوى قضائية عليها يطالبها بعدم نشر صوره على صفحتها.

ووفقا لما ورد بصحيفة ديلي ميل البريطانية، فإن الأم مهددة بمواجهة غرامة مالية قد تصل إلى قرابة 10 آلاف يورو في حال أقدمت مرة أخرى على نشر صور ابنها على فيسبوك كما اعتادت.

وتقدم الابن الذي يبلغ من العمر 16 عاما، بشكوى ضد أمه أمام المحكمة في العاصمة الإيطالية روما، حيث قال إنها تنشر الكثير من الصور والفيديوهات له دون موافقته أو علمه.

وتمت إثارة هذه القضية خلال إنهاء محكمة الأسرة إجراءات الطلاق بين والدي الشاب المتقدم بالشكوى، إذ أعرب الابن عن استيائه من مبالغة أمه في حبها له على الإنترنت، معتبرا أن مشاكلها مع والده قد تكون سببا مباشرا في ذلك.

ووجهت المحكمة تحذيرا شديد اللهجة للأم، حيث باتت تواجه غرامة 10 آلاف يورو إذا لم تلتزم بالاتفاق، كما طالبتها بحذف كل صور وفيديوهات طفلها من صفحتها في فيسبوك.

ويعد نشر صورة شخص ما دون الحصول على موافقته أمرا مخالفا لقانون حقوق الطبع والنشر في إيطاليا ويعرض صاحبه لتتبّعات عدلية.

أعلنت المغنية الكندية سيلين ديون أنها ستتوجه الصيف المقبل في جولتها المرتقبة بشدة «لايف 2018» إلى منطقة آسيا والمحيط الهادئ. وأشارت صحيفة «ذا نيشن» التايلاندية إلى أنه من المقرر أن تنطلق الجولة في 26 يونيو المقبل، لتعود ديون إلى مدن لم تغن فيها منذ عشر سنوات، وأخرى تغني فيها للمرة الأولى

زهرة أقحوان مغطاة بالثلج في فرايبورغ، جنوب ألمانيا

شاب أميركي يرفض أكبر مبلغ لليانصيب

❏ **فلوريدا (الولايات المتحدة)** – قال مسؤولو جائزة الياناصيب في ولاية فلوريدا الأميركية إن شابا في العشرين من عمره من بلدة على ساحل خليج فلوريدا طالب بجائزة (ميغا مليونز) واختار تلقيها نقدا على دفعة واحدة لتكون بذلك قيمتها 282 مليون دولار فيما كانت قيمتها الإجمالية على أقساط 451 مليون دولار.

وكانت البطاقة الفائزة بكل الأزواج الستة لأرقامها التي جرى سحبها في الخامس من يناير الحالي، بما فيها الرقم الحاسم، في حوزة شين ميسلر من بورت ريتشي. وكانت الجائزة ستصبح أكبر مبلغ لليانصيب في البلاد لو كان ميسلر اختار أن يتسلمها على دفعات.

وقال بيان صحافي من جائزة الياناصيب في فلوريدا إن ميسلر كان الفائز الوحيد في المسابقة على المستوى الوطني وأفاد أنه كان يشعر ليلة السحب بأنه سيفوز بها.

وأضاف ميسلر "أنا عمري 20 عاما فقط، ولكن يحدوني الأمل في أن أستخدمها في تحقيق مجموعة متنوعة من الرغبات، ومساعدة عائلتي والقيام ببعض الخير للإنسانية".

واشترى ميسلر التذكرة الفائزة من متجر سفن إليفن في بورت ريتشي، وذلك باستخدام خيار "اختيار سريع" بما يعني أن الأرقام تم اختيارها عشوائيا.